

مُنُورٌ وَمَسَاحِدٌ
مِنْ

الحظائر الإسلامية

الجزء الأول

نصوصٌ منتخبةٌ من أمّات الكتب العربيّة



نشر
دار الكتب العربيّة
الرباط

تأليف
عبد الفتاح در الخلاوي

جُزُورٌ وَمُصَافِرٌ

مِنَ الْحَضَرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
مِنْخَبَاتُ الدُّبِّيَّةِ

الجزء الأول

تأليف :

عبد القادر الخلودى

مفتش بوزارة التربية الوطنية

نشر وتوزيع :

دار الكتب العربية

الرباط

الهراء

اهري هذا الكتاب

لاصدقائي أساتذة اللغة العربية ، ذوي القلوب الصافية والضمائر
الحية ، تقديرأ لايمانهم الصادق بقيمة التراث الاسلامي ، ولاهتمامهم
الواعي بدراسته وتدريسه بعقول مبتدعة منظمة متطورة .

كما اهري

لابنائني واخواني قدماء تلامذة ثانوية مولاي يوسف الرباطية ، حيث
تعلمت وعلمت ، تذكراً لما شاهدته فيهم من حماس للسان العرب ولما
كان ، ولازال ، يربطني وإياهم من أواصر التفاهم والاخاء .

رجب 1381

الرباط في

دسمبر 1961

الجزء الأول

فهرس المواضيع

تمهيد :

الباب الاول

الحياة الدينية

- (I) آيات من الذكر الحكيم
- (I) أحاديث نبوية
- (2) مؤامرة قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم
- (3) امرأة تستعذب المحنة فى سبيل عقيدتها
- (4) المسلمون الاولون فى الحبشة
- (5) الاعرابى الصائم والحجاج
- (6) زهد رجل من بنى العباس
- (7) الطوائف الدينية
- (الكلاعى - الاكتفاء)
- (ابن حجر العسقلانى - الاصابة)
- (الكلاعى - الاكتفاء)
- (التوحيدى - الامتاع والمؤانسة)
- (الابشيهى - المستطرف)
- (الناصرى - الاستقصاء)

الباب الثانى

الحياة السياسية

الفصل الاول :

الحكومة (1)

- (8) منزلة الامام من الرعية
- (9) نسخة بيعة
- (10) معاوية يمهّد البيعة لابنه يزيد
- (II) أمير المسلمين : يوسف بن تاشفين
- (12) مثال التواضع والحزم : ابوبكر الصديق
- (الطرطوشى - سراج الملوك)
- (القلقشندى - صبح الاعشى)
- (ابن عبد ربه - العقد الفريد)
- (الخلل الموشية - مؤلفه مجهول)
- (الحضرى - محاضرات)

- (I3) التعفف عن أموال المسلمين :
عمر بن عبد العزيز
(I4) الشريعة فوق الخلافة :
المأمون وقاضيه
(I5) الانقياد للحق : الحكم وقاضيه
(I6) سياسة رشيدة
(I7) وزير رزين متدين
(I8) يوم من أيام عضد الدولة
(I9) امتحان كاتب
(20) قاض يستقبل من القضاء
- (كشكول لمحمد جمال)
(ابن عبد ربه - العقد الفريد)
(التوحيدى - الامتاع والمؤانسة)
(ابن الطقطقى - الفخرى)
(ابو شجاع الروذراورى ذيل
كتاب تجارب الامم)
(ابن عبد ربه - العقد الفريد)
(محمد جاد المولى .. قصص العرب)

الفصل الاول

الحكومة (2)

- (I1) ابو جعفر وعماله
(22) المهدي ورئيس شرطته
(23) الحجاج بن يوسف وجيش عبد الملك
(24) الحجاج وصاحب شرطته
(25) عقد تولية محتسب
(26) دار العيار
(27) الحرس
(28) داريفة : القاضى وزوجته
- (الطبرى - تاريخ)
(على فكرى : السميع المذهب)
(ابن عبد ربه - العقد الفريد)
(ابن عبد ربه - العقد الفريد)
(القلقشندي - صبح الاعشى)
(المقرئى - الخطوط)
(ابن عبدون - كتاب الحسبة)
(المقرئى - نفح الطيب)

الفصل الثانى

السفارات والوفود

- (29) المقوقس ومبعوث الرسول صلعم
(30) وفد عمر بن عبد العزيز عند ملك الروم
(31) الخليفة عبد الرحمن الناصر ورسول الروم
- (التوحيدى - الامتاع والمؤانسة)
(المسعودى - مروج الذهب)
(المقرئى - أزهار الرياض)

- (32) رسل الروم في قصر المقتدر (الخطيب - تاريخ)
 (33) سيدى محمد بن عبد الله
 والعثمانيين
 (34) سودة عند معاوية
 (35) فتى عربى عند هشام
 (ابن زيدان - الاتحاف)
 (ابن عبد ربه - العقد الفريد)
 (أسامة بن منقذ - لباب الآداب)

الفصل الثالث

الوعظ وانهى عن المنكر

- (36) عمر بن عبد العزيز على فراش الموت
 (37) عبد الله بن مروان وملك النوبة
 (38) ان هؤلاء اتخذوك سلاما لشهواتهم
 (39) القاضي المنذر عند الناصر
 (40) وزير يعظ ملكا
 (41) الشجاعة الادبية
 (الجاحظ - البيان والتبيين)
 (المسعودى - مروج الذهب)
 (البيهقي - المحاسن والمساوى)
 (المقرئ - نفح الطيب)
 (ياقوت - معجم الادباء)
 (الشيخ محمد سليمان - كتاب أخلاق العلماء)

الفصل الرابع

الحروب

- (42) وصية أبى بكر لقائد الجيش
 (43) وصية أبى بكر للجيش
 (44) المكاتبة قبل انتشار الحرب
 (45) فتاة عربية فى ساحة الوغى
 (46) مبارزة بين بطليين
 (47) واقعة الزلاقة
 (48) معركة بحرية
 (ابن الاثير - تاريخ)
 (الطبرى - تاريخ)
 (التوحيدى - الامتاع والمؤانسة)
 (عفيفى عبد الله - كتاب المرأة العربية)
 (المسعودى - مروج الذهب)
 (الحلال الموشية - مؤلفه مجهول)
 (ابن خلدون - كتاب العبر)

الفصل الخامس

بعد الحروب

- (49) الانفال
 (أبو عبيد القاسم بن سلام - كتاب الاموال)

- (50) حسن الاستعطاف (عفيفى عبد الله - كتاب المرأة العربية)
- (51) عقد صلح (شكيب أرسلان - من كتاب الحلال السندسية)
- (52) فك الاسارى أيام الصليبيين (أسامة بن منقذ - كتاب الاعتبار)
- (53) رسم امان لحج بيت المقدس (القلقشندي - صبح الاعشى)
- (54) غنائم باردة فى سردانية (ابن عبد الحكم - فتوح افريقية والاندلس)
- (55) رجل مسالم (ابن خلكان - وفيات الاعيان)

الباب الثالث

العمارة

الفصل الأول

العواصم والمدن والبلدان

- (56) مصر وخيراتها (السيوطى - حسن المحاضرة)
- (57) مسجد دمشق وسوقها (ابن فضل الله وابن بطوطة - رحلة)
- (58) بخارى (ياقوت - معجم البلدان)
- (59) دعاية للوطن (الاصبهاني - الاغانى)
- (60) البصرة (ياقوت - معجم البلدان)
- (61) بغداد (ابن الطقطقى - الفخرى)
- (62) تلمسان (المقرئ - نفح الطيب)
- (63) فاس فى عهد الموحدين (ابن أبى زرع - الانيس المطرب)
- (64) قرطبة (شكيب أرسلان - الحلال السندسية)
- (65) الذ العز ماكان فى الوطن (شكيب أرسلان - الحلال السندسية)

الفصل الثانى

المنتزهات والقصور

- (66) قصر البديع بمراكش (الافرانى - نزهة الحادى)
- (67) مجلس ذى النون وبحيرتاقصره (ابن بسام - الدخيرة)
- (68) قبة من زجاج (المقرئ - نفح الطيب)
- (69) بركة الزئبق (المقرئ - الخطط)

- (70) حديقة السباع (المقریزی - الخطط)
 (71) مسرح الطيـور (المقریزی - الخطط)
 (72) حمام خصوصي ببغداد (المقری - نفع الطيب)
 (73) المنظر الحسن هذا ؟ ! (المراكشي - المعجب)

الفصل الثالث

المصالح العامة

- (74) قانون المباني بالاندلس (ابن عبدون - كتاب الحسبة)
 (75) عين زبيدة بمكة (عفيفي عبد الله - المرأة المغربية وشكيب ارسلان ؛ الارتسامات اللطاف)
 (76) جامع القرويين (ابن أبي زرع - الانيس المطرب)
 (77) يمارستان بمراكش (المراكشي - المعجب)
 (78) بعض مؤسسات أبي يعقوب المريني
 (79) الزوايا بمصر (الذخيرة السنية - مؤلف مجهول)
 (80) الاوقاف بدمشق (ابن بطوطة - رحلة)
 (81) المدرسة الحجازية بالقاهرة (ابن بطوطة - رحلة)
 (82) مسجد ببلخ (المقریزی - الخطط)
 (83) اعادة عمارة بغداد (ابن مسكوية - تجارب الامم)
 (84) بناء السكور (أبو شجاع الروذراوري - ذيل تجارب الامم)

الفصل الرابع

سكان البلاد

- (85) تأثير البيئة (ابن العربي - محاضرات الابرار)
 (86) العرب (التوحیدی - الامتاع والمؤانسة)
 (87) وصف اهل الاندلس (المقری - نفع الطيب)
 (88) الاصمعي في البادية (أبي علي القالي - ذيل الامالي)
 (89) خصائص أنواع المماليك (السقطي - آداب الحسبة)
 (90) صعلوك يتوق الى المحمـدة (التوحیدی - الامتاع والمؤانسة)

- (91) عبد يفك رقبتة بمال جليل (ياقوت - معجم الادباء)
 (92) الحشـم (أبو شعجاع الروذرورى - ذيل تجارب الامم)
 (93) افرنجى يضيف مسلما (أسامة بن منقذ - كتاب الاعتبار)
 (94) مسلم يستضيف يهوديا (المقرئ - نفح الطيب)
 (95) خفة العامة (أبو الفرج الاصبهاني - الاغانى)

الباب الرابع الحياة الفكرية

الفصل الأول

طلب العلم

- (96) كتاب ام مغنى ؟ (أبو الفرج الاصبهاني - الاغانى)
 (97) امتحان المتوذيبن (ياقوت - معجم الادباء)
 (98) حلية الادب تغنى عن حلية النسب (الشيخ محمد سليمان - كتاب أخلاق العلماء)
 (99) انت ريع القلب اشتغل بالدرس (ياقوت - معجم الادباء)
 (100) وصية الرشيد لمؤدب ولده (ابن عبد ربه - العقد الفريد)
 (101) كيف تعلم القاضى ابو يوسف (الشيخ محمد سليمان - كتاب أخلاق العلماء)
 (102) الكسائى فى بلاد العرب (ياقوت - معجم الادباء)
 (103) دأبى ادراك حقائق الامور (الغزالى - كتاب احياء علوم الدين)
 (104) طالب اندلسى عند الجاحظ (ياقوت - معجم الادباء)
 (105) الثقافة الكاملة (الحلل الموشية - مؤلفه مجهول)
 (106) غرفة طالب (ياقوت - معجم الادباء)

الفصل الثانى

الكتب والمكاتب

- (107) يعطى الجوز من لا له أسنان (المقرئ - نفح الطيب)
 (108) خزانة أبى يعقوب يوسف (عبد الواحد المراكشى - المعجب)
 (109) مصحف بخط ابى مقله (ياقوت - معجم الادباء)

- (II2) رجل مولع يجمع الخطوط المنسوبة (ياقوت - معجم الادباء)
 (III) يسأل عن كتاب في موسم عرفات (ياقوت - معجم الادباء)

الفصل الثالث

المنافرات ومجالس الآداب

- (II2) مناقشة ادبية في سوق عكاظ (تاريخ الآداب - عن شرح شواهد المفنى)
 (II3) مناظرة في فائدة النحو (ياقوت - معجم الادباء)
 (II4) الخارجى والمأمون (المسعودى - مروج الذهب)
 (II5) مناظرة في الشعر (ابراهيم على الحصرى - ذيل زهر الآداب)
 (II6) بين اندلسى ومصرى (ياقوت - معجم الادباء)
 (II7) مناظرة في الاعجاز (محب الدين الخطيب - الحديقة)
 (II8) فى النبىذ (محمد بن أحمد بن تميم - طبقات علماء افريقية)
 (II9) فى الغناء (التوحيدى - الامتاع والمؤانسة)

الفصل الرابع

الاحتفاء برجال العلم والادب

- (I20) حماد الراوية عند هشام (ياقوت - معجم الادباء)
 (I21) الحث على طلب العلم (الشيخ محمد سليمان - كتاب اخلاق العلماء)
 (I22) الكسائى وولد الرشيد (الشيخ على بكر - السميع المهدب)
 (I23) مجمع علمى (ابن مسكويه - تجارب الأمم)
 (I24) حبس ارضا للشعراء الغرباء (عبد الواحد المراكشى - المعجب)
 (I25) الحكم والفقيه ابو ابراهيم (المقرئ - ازهار الرياض)
 (I26) ابن عبدون والوزير ابو مروان (عبد الواحد المراكشى - المعجب)
 (I27) انصفها لجودة شعرها (المقرئ - نفح الطيب)
 (I28) ابن زهر ويعقوب المنصور (المقرئ - نفح الطيب)
 (I29) لمن هذا الكلام الذى اعذوب مورده ؟ (دوزى - أخبار بنى عباد)

الفصل الخامس

الاطباء والصيادلة

- (I30) تجربة طبية كيماوية
(I31) اختبار المتوكل لطيبه
(I32) المعالجة بالطرب
(I33) ملاحظة طبية لطيفة
(I34) اطباء فى البيمارستان
(I35) الاعتناء بمعالجة المسجونين
(I36) امتحان الصيادلة
(المسعودى - مروج الذهب)
(ابو الفرج الملقب - مجانى الادب)
(ابن القفطى - أخبار العلماء)
(ابن القفطى - أخبار العلماء)
(ابن ابى اصيبعة - عيون الانباء)
(ابن القفطى - أخبار العلماء)
(ابن القفطى - أخبار العلماء)

الفصل السادس

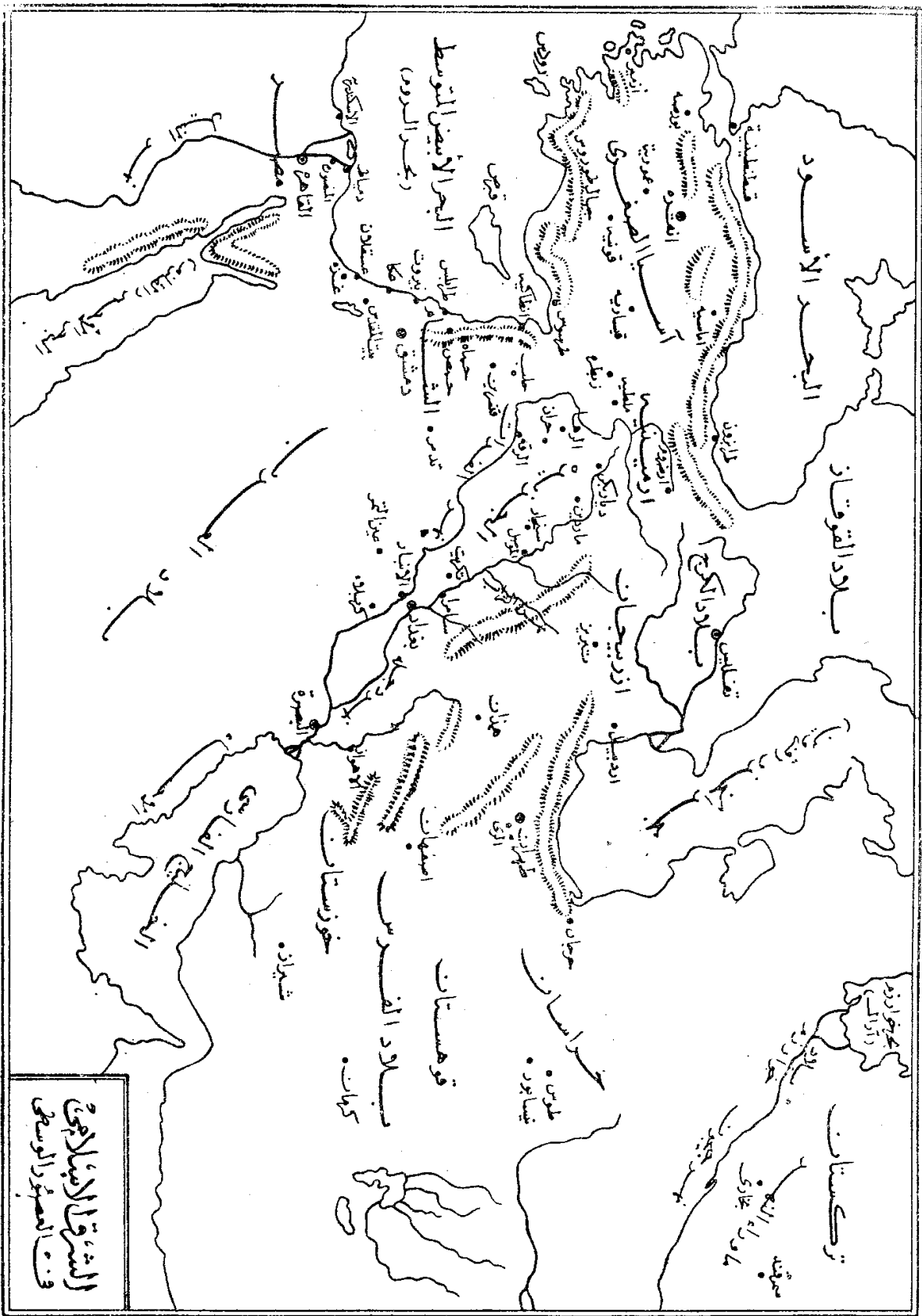
العلوم

- (I37) عالم مخترع
(I38) التشريح
(I39) معمل كيماوى
(I40) النباتات والادوية المفردة
(I41) الفلسفة
(I42) الجغرافيا
(I43) الزلازل
(I44) بناء مرصد
(I45) فكرة صائبة تحققت فى زماننا
(المقرئ - نفع الطيب)
(ابن ابى اصيبعة - عيون الانباء)
(ابن بسام - الدخيرة)
(ابن ابى اصيبعة - عيون الانباء)
(عبد الواحد المراكشى - المعجب)
(الادريسي - نزهة المشتاق)
(ابن سينا - الشفاء)
(ابن القفطى - أخبار العلماء)
(الف ليلة ليلة)

الفصل السابع

- الفنون -

- (I46) مباراة بين مصوريين
(I47) قلم الحبر « ستيلو »
(I48) المقصورة والمنبر « الاتوماتكيان »
(I49) شماسيات مسجد دمشق
(I50) مأدبة طريفة فى دار ظريفة
(المقرئ - الخطط)
(القاضى النعمان - المجالس
والمنامرات مسخوط)
(الحلل الموشية - مؤلفه مجهول)
(ابن جبير - رحلة)
(الحصرى - ذيل زهرات الادب)



الشرق الاوسط
ف. المصنوع والوسطى

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جعل الغاية من بعثته الشريفة تتميم مكارم الاخلاق ، ورفع شأن العلم حتى جعل تعليم الكتابة فدية للاسير ، واعتبر تعليم آيات من القرآن الكريم مهر زوجة للفقير ... وبعد فلا يخفى أن المسلمين لم يضيعوا رعاية ما ورثوه عن الامم الاخرى كالفرس ، واليونان والهند والصين من علوم وآداب وفنون . فانهم لم يقتصروا على حفظ ذلك التراث ، بل اضافوا اليه ثمرات عبقريتهم ، وزبدة تجاربهم ، فأمكن بذلك للحضارة استئناف سيرها الى الامام ، واستعادة نشاطها لفائدة الانام .

فان الباحث فى زاوية واحدة من زوايا صرح الحضارة البشرية - وهى زاوية التأليف - ليرى أن المصنفات التى حبرها المسلمون لا يحصى عددها الا الله . وليذكر على سبيل المثال أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى كان يكتب فى كل يوم أربعين صفحة وذلك مدة أربعين سنة ، وأن الوزير صاحب ابن عباد كان يحمل ما يحتاج اليه من كتب ، اثناء أسفاره ، على أربعين بعيرا ، وأن خزانة الحكم بن عبد الرحمن الناصر كانت تحتوى على أكثر من أربعمائة ألف مجلد . ورغم صروف الدهر وأيدى العتاة ، فان الذخيرة الادبية العربية - ولا أعنى الا ما ألف فى عهد ازدهار الحضارة الاسلامية - لا زالت ثمينة يستفيد منها المطلعون ويفيدون .

نعم لقد أخلص المسلمون فى خدمة الانسانية اخلاصا قدره رجال الغرب المنصفون ، ولذا تراهم قد اعتنوا منذ القديم ، ولا زالوا يعتنون ،

بالكتب العربية ، ينقحون ويعلقون ويطبعون ويترجمون ، جازى الله
المحسنين منهم أحسن الجزاء .

ولكن مما يؤسف له ، أن غالب شبابنا ، وإن كانوا مقتنعين بفضل
العلماء المسلمين ، يجهلون تفاصيل حياتهم ومحتويات مصنفاتهم وفى بعض
الاحيان حتى أسماء الافذاذ منهم ، وذلك اما لان المظان ليست فى متناول
أيديهم واما لانها خارجة عن دائرة مواد امتحاناتهم .

ولقد اخترت هذه القطع لاعطاء صورة مصغرة لجانب من التراث
الاسلامى ، فاصطفيتها تفيض حيوية لاستمالة النفوس ، ورتبتها ترتيبا
قد يكسب المطلع على فصل من فصول هذا الكتاب رأيا فى مظهر من مظاهر
التمدن الاسلامى .

فليست اذن الغاية من اختيار هذه القطع اضافة كتاب نكت ونوادر
الى جملة المؤلفات الموضوعة فى هذا النوع ، ولا انشاء بحث جديد فى
الحضارة الاسلامية واطوارها بطريقة تفصيلية ، بل المقصود منه هو ابراز
صور بعض ساسة الدول وقادة الفكر - فى العالم الاسلامى - وهم قائمون
بأشغالهم ، واطهار طوائف من العملة والصناع والفنانين وهم دائبون فى
أعمالهم ، وتجلية مشاهد بعض المنازل والمنتزهات وهى أهلة بالغادين
والرائحين والجادين والهازلين .

ولقد جمعت هذه الصور والمشاهد من مصادر كثيرة ، معتمدا تنويع
الاساليب الانشائية ، ونظمتها لاجعل منها شبه شريط سينمائى تتجلى فيه
بعض مظاهر الحضارة الاسلامية بكيفية حية بليغة تشويقا الى مطالعة ما
فصل فى تواريخ التمدن الاسلامى التى لا يقبل عليها غالبا الا من
يريدون التخصص .

وأرى أن هذه المنتخبات زهرات مختلفة الالوان والمغارس ، ولكنها
كلها طيبة الروائح ، جعلت منها باقة يضعها كل طالب على منضدته ، فتكون
معزية له عند الكروب ، ومشجعة وقت الخطوب ، ومغرية لدى الكلال ،

ومسلية حين الملل .

هذا ولم أحدد ميدان البحث لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان ،
لان الحضارة الاسلامية ، وان اختلفت مظاهرها مبنية على اعتقادات أساسية
وتقاليد متماثلة .

وحيث أن هذه المنتخبات موضوعة قبل كل شيء لابناء المدارس الثانوية
فانى قسمتها الى أبواب وفصول فى الحياة الدينية والسياسية فالاجتماعية
فالعقلية فالاقتصادية ، وصدرت كل فصل بلمحة تاريخية أتبنتها بذكر
مراجع للاستيعاب فى درس الموضوع ، ثم ذيلت كل قطعة بشرح المفردات
الصعبة وبتراجم موجزة للرجال الذين جاء ذكرهم فيها ، ثم ختمت الكتاب
بكلمة فى التعريف بالمؤلفين المنقول عنهم .

وخلاصة القول فما هذا الكتاب الا آلة يظهر قيستها من يحسن
استعمالها وهو ككل عمل بشرى لا يخلو من نقص « فأما الزبد فيذهب
جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ... وعلى الله قصد السبيل
والحمد لله رب العالمين » .

المؤلف

الباب الاول

الحياة الدينية

اكتفينا ، فى هذا الفصل ، بالإشارة الى بعض الحوادث التى وقعت فى عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لنعطى صورة بسيطة ، وفكرة وجيزة ، عن المحن التى لقيها المسلمون الاولون ، فى بداية البعثة الشريفة ، واتبعنا ذلك بقطعتين فى الصيام ، وفى الزهد ، وباخرى فى الطوائف الاسلامية ، لنظهر التطور فى فهم حقيقة الاسلام ، ولقد ارجينا الكلام عن الاعياد ، والمواسم الدينية ، الى فصل خاص ، واعرضنا عمدا عن ذكر المذاهب والمسائل الفقهية والفتن التى أحدثها التعصب .

المراجع

- 1) رسالة ابي زيد القيروانى
- 2) فجر الاسلام وضحى الاسلام ج 3 لاحمد امين
- 3) العقيدة والشريعة فى الاسلام : تأليف جولدزيهر - ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ؛ الدكتور على حسن عبد القادر والاستاذ عبد العزيز عبد الحق
- 4) العدالة الاجتماعية فى الاسلام للسيد قطب
- 5) الاسلام دين عام خالد لفريد وجدى .
- 6) وجهة الاسلام لجب وماسنيون تعريب ابو ريده



محمد الخامس ، رحمه الله ، يؤدي الصلاة في مسجد واشنطن

(1) آيات من الذكر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

«قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ : أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَأَيَّاهُمْ . وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَلَا تَقْرُبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ . وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ
وَالْعَهْدُ أَلْفُسْطٌ . لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ : وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .»

سورة الانعام

(ب) أحاديث شريفة

1 - قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَلَّا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ،
وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَحِجَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

2- وَقَالَ : إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ^(١) ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسُّوا ^(٢) ، وَلَا تَجَسَّسُوا ^(٣) ، وَلَا تَنَاجَشُوا ^(٤) ، وَلَا تَحَاسَدُوا ^(٥) ، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا ^(٦) ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا .



-
- (١) إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ = احذروا اتهام الناس بغير دليل
(٢) وَلَا تَحَسُّوا = لَا تَسْتَخْدِمُوا حَوَاسِكُمْ لِلْوُقُوفِ عَلَى سَيِّئَاتِ النَّاسِ
(٣) لَا تَجَسَّسُوا = لَا تَبْحَثُوا عَنِ الْمُسْتَوْرٍ مِنْ عَيُوبِ الْغَيْرِ
(٤) لَا تَنَاجَشُوا = لَا يَزِدْ بَعْضُكُمْ فِي ثَمَنِ شَيْءٍ وَهُوَ لَا يَرِيدُ شُرَاءَهُ
وَأَمَّا يَقْصِدُ أَنْ يُوَقَعَ غَيْرُهُ فِي خُسَارَةٍ .
(٥) لَا تَحَاسَدُوا = لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ زَوَالَ نِعْمَةِ أَخِيهِ
(٦) لَا تَدَابَرُوا = لَا يَهْجُر أَحَدُكُمْ الْآخَرَ

قائمة القوية =

القام : مصدر القام حذف منه تاء التعويض تخفيفا والمصدر القياسي هو القامة أصله القوام .

(2) مؤامرة قريش ضد النبي

صلى الله عليه وسلم

اجتمع نفر من قريش عند الوليد بن المغيرة (I) ، وكان ذا سِنٍَّ فيهم ، فقال لهم : يامعشر قريش ، قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم (2) هذا ؛ فأجمعوا به رأيا واحدا ؛ ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا . قالوا : فانت يا ابا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأيا نقول فيه . قال : بل انتم فقولوا اسمع . قالوا : نقول كاهن . قال والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهَّانَ ، فما هو بزَمَزَمَة (3) الكاهن ولا سَجَّعه (4) قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : وما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعمر فناه ؛ فما هو بخنقه ولا تخالجه (5) وَلَا وَسْوسَتِهِ (6) ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشَّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ (7) وقَرِيضَهُ (8) ومقبوضَهُ (9)

(I) الوليد بن المغيرة = بن عبد الله بن عمر المخزومي كان من أعداء النبي مات في السنة الاولى من الهجرة .

(2) موسم = أي موسم الحج ؛ صاحبكم = أي النبي صلى الله عليه وسلم .

(3) زمزم = تمتم وتكلم من غير ان يستعمل لسانه ولا شفته بل هو صوت يديره في خيشومه وحلقه لا يفهم .

(4) سجع = من عادة الكهان ان يستعملوا السجع في خطبهم ليؤثروا في الاسماع والنفوس .

(5) تخالج = الارتعاد والاضطراب

(6) وسوسة = من وسوس الرجل : اصاب في عقله وتكلم بغير نظام

(7) الرجز والهزج = بحران من بحور الشعر .

(8) القريض = المقروض : من قرض الشعر قاله القريض = الشعر

(9) المقبوض = القبض : زحاف يتضمن حذف خامس التفعيلة متى كان

ساكنا مثلا فعولن تصير فعول .

ومبسوطه (10) : فما هو بالشعر . قالوا : فنقول : سَاحِرٌ . قال : ما هو
 بساحر : قد رأينا السَّحَّارَ وَسِحْرَهُمْ ؛ فما هو يَنْفِثُهُ (11) ولا عَقْدِهِ . قالوا :
 فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : واللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ حَلَاوَةً ؛ وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَذَقٌ (12) ؛
 وإن فرعه كَجَنَاةٍ (13) وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا عُرِفَ أَنَّهُ باطلٌ ؛ وإن
 أَقْرَبَ القول فيه لأن تقولوا ساحر؛ جاء بِقَوْلٍ هو سحر؛ يفرق به بين المرء وابنه،
 وبين المرء وإخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه
 بذلك ؛ فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمرَّ بهم أحدٌ
 الا حَنَرُوهُ إِثْمًا ، وذكروا له أمره . وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذِكْرُهُ فى بلاد العرب كُلِّهَا .

الاكتفاء ج I ؛ ص 351



-
- (10) المبسوط = ربما هو الذى لا قبض فيه
 (11) نفث = نفخ ونفثه : سحره ؛ ونفث فى قلبى = اى ألهمنى
 وقال تعالى = « ومن شر النفاثات فى العقد » اى من شر الجماعات السواحر
 التى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها اى ينفخن مع ريق فيحدث
 مرض المسحور .
 (12) عذق = عنقود من التمر او العنب .
 (13) جناة = ما يجنى من الثمار

(3) امرأة تسنذب المحبة في سبيل عقيرتها

قال ابن عباس (I) : وقع في قلب أم شريك غزيرة بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية الاسلام ، وهي بمكة . فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهن وترغبهن في الاسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة . فاخذوها وقالوا لها : « لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكننا سنردك اليهم . قالت : فحملوني على بغير ليس تحتي شيء مؤطاً ولا غيره . ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني . فما أتت عليّ ثلاثٌ حتى ما في الارض شيء (2) . فنزلوا منزلاً . وكانوا اذا نزلوا وقفوني في الشمس واستظلوا ، وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا . فبينما أنا كذلك اذا بامرئ شيء باردٍ وقع على منه ، ثمّ عاد فتناولته ، فاذا هو دلو ماءٍ ؛ فشربت منه قليلاً . ثم نزع مني ، ثم عاد ، فتناولته ، فشربت منه قليلاً . ثم رُفِعَ . ثم عاد أيضاً . فصنّع ذلك مراراً حتى رويتُ ؛ ثم أفضتُ (3) ، سائرته على جسدي ونيابى . فلما استيقظوا اذاهم بامر الماء ، ورأوني حسنة الهيئة . فقالوا لي : أنحلتِ فأخذتِ سقاءنا فشربت منه ؟ فقلت : لا والله ما فعلتُ ذلك . كان من الأمر كذا وكذا . فقالوا ان كنتِ صادقةً فدينك خيرٌ من ديننا . فنظروا الى الأسقية فوجدوها كما تركوها فأسلموا لساعتهم . »

الاصابة ج I ص 248

عن كتاب « المرأة العربية : لعبد الله عفيفي .

(I) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب اى ابن عم النبي صلعم . وعليه يدور علم اهل مكة في التفسير والفقه توفي بالطائف سنة 68 هـ .

(2) حتى ما في الارض شيء = اى حتى صرت لا ارى ما على الارض لشدة الجوع والعطش .

(3) افضت = افرغت

(4) المسلمون الاولون في الحبشة

هجرَ نَفَرٌ من المسلمين الى الحبشة ؛ فبعث قريشٌ رجلين منهم الى النجاشي (1) ، ليسالاه ان يُسَلِّمَهُما اليهما .. فأرسل النجاشي الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دعا أساقفته (2) فنشروا مَصَاحِفَهُمْ حوله . فلما جاؤوا سألهم ؛ فقال لهم : « ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ » فكان الذى كلمه ، جعفر بن أبى طالب (3) . فقال له : « أيها الملك ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الأصنامَ ، وَنَأْكُلُ الميتةَ ، وَنَأْتِي الفواحشَ ، وَنَقْطَعُ الأرحامَ ، وَنُسِيءُ الجوارَ . وَيَأْكُلُ القويُّ منا الضعيفَ . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً مَتًّا ، نعرف نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأمانته (4) وَعَقَافَهُ (5) ؛ فدعانا الى الله لِنُؤَيِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعُ ما كُنَّا نَعْبُدُ نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ؛ وأمرنا بِصِدْقِ الحديثِ وأداء الأمانة ، وَصِلَةِ الرَّجِيمِ ، وَحُسْنِ الجوارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ المحارِمِ والدِمَاءِ . ونهانا عن الفواحش وقول الزُّورِ ، وأكل مال اليتيم وَقَذْفِ المحصنات (6) ؛ وأمرنا أن

(1) النجاشي : ملك الحبشة وقد اسلم فيما بعد

(2) اساقفته ج اسقف من رجال الدين المسيحي وهو فوق القسيس ودون المطران

(3) جعفر بن أبى طالب : هو اخو سيدنا على كرم الله وجهه سكن بعد رجوعه من الحبشة المدينة وقتل بمؤتة فى الشام سنة ثمان من الهجرة .

(4) امانة = ضد خيانة وكان النبی يعرف عند قريش بالامين قبل بعثته الشريفة .

(5) عفاف = من عفا أى كف وامتنع عما لا يحل او لا يجمل فهو عفيف وعف

(6) المحصنات = حصنت المرأة كانت عفيفة فهي حصان ؛ وأحصن المرأة = زوجها . أحصنت المرأة تزوجت ، فهي محصنة ؛ وأحصن الرجل تزوج فهو مُحْصِن .

نَعْبُدُ اللَّهَ لَا نَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ؛ وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ؛ فَصَدَّقْنَاهُ
وَأَمَّنَا بِهِ ... فَعَدَا قَوْمُنَا عَلَيْنَا ، فَعَذَّبُونَا ، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرُدُّونَا إِلَى
عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ... فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا ، وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ
دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَأَخْتَرْنَاكَ عَلَيَّ مِنْ سِوَاكَ ، وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ .
وَرَجَوْنَا إِلَّا نُظْلِمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : « هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ
عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ » فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَأَقْرَأْهُ عَالِيَةً . فَقَرَأَ عَلَيْهِ
صَدْرًا مِنْ كَهْيَعَصَ (7) فَبَكَى وَاللَّهُ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ
حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَاتَلًا عَلَيْهِمْ . فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : إِنْ هَذَا
وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةَ (8) وَاحِدَةً . انْطَلِقَا (9) فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمُهُم
إِلَيْكُمَا أَبَدًا .

الاكتفاء ص 390



(7) كهيعص = يلفظ بكل حرف على حدة وهي اول سورة مريم .
(8) مشكاة = الكوة غير النافذة ؛ يوضع فيها مصباح ؛ وهنا = منبع
(9) انطلقا = يخاطب هنا النجاشي الرسولين اللذين بعثهما قريش .

(5) الاعرابي الصائم والحجاج

قال سعيد بن ابى عُرْوَةَ (I) : نزل الحجاج (2) فى طريق مكة : فقال لحاجبه : انظر اعرابيا يتغذى معى واسأله عن بعض الامر . فنظر الحاجب فرأى اعرابيا بين شملتين : فقال : احب الأمير . فأتاه فقال له الحجاج : اذن فتنغذ معى . فقال : إنه دعانى من هو أولى منك فأجبته . قال : ومن هو ؟ قال : الله عز وجل ، دعانى الى الصوم فصمت ، قال : أفى هذا اليوم الحار ؟ قال : نعم صمته ليوم هو أشد حرّاً . قال : فأفطر وصُصم غداً - قال : إن صُمِنْتَ لى البقاء الى غدٍ - قال : ليس ذلك الى - قال : فكيف تسألنى عاجلاً باجلاً لا تقدر عليه ؟ قال : انه طعامٌ طيّبٌ قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الحَبَّازُ ، ولكن العافية طيّبته . ولم يُفِطِرْ وخرج من عنده .

الامتناع والمؤانسة ج 3 ص 10

(I) يظهر أنه ابن عروة بن المغيرة بن شعبة الذى كان زوجاً لام الحجاج قبل ان يتزوج بها يوسف بن الحكم ابو الحجاج :
(2) الحجاج بن يوسف الثقفى كان فى أول أمره معلّم صبيان بالطائف ؛ ثم ولاء عبد الملك بن مروان العراقيين بعد ان تحقق من كفاءته وحزمه واخلاصه : اشتهر بالفصاحة وبالبطش وسفك الدماء . بنى مدينة واسط واعتنى بتنظيم الرى بالعراق ويقال انه اول من أمر باعجام الحروف ؛ مات سنة 197 هـ (716م)

(6) زهر رجل من بني العباس

قال عبد الله بن المعلم (I) : : خرجنا من المدينة حجاجاً ، فاذا أنا برجل من بني العباس بن عبد المطلب قد رَفَضَ الدنيا ، واقبل على الآخرة . فجمعتني وإياه الطريق . فأنسيتُ به وقلتُ له : هل لك ان تُعَادِ لَنِي (2) ، فإنَّ معي فضلاً من راحِلَتَيَّ ؛ فجزاني خيراً ؛ ثمَّ أنسَ إليَّ ؛ فجعل يحدثني فقال : انا رجلٌ من وَلَدِ العَبَّاسِ ؛ كنتُ أَسْكُنُ البصرةَ ؛ وكنتُ ذا كِبَرٍ شديد ، ونِعْمَةُ طائلة ، ومال كثير ، وَبَذَخٍ (3) زائد ؛ فأمرت يوماً خادماً لي أن يحشُو لي فراشاً من حرير ومخدةً بِوَرْدٍ نثير (4) ؛ ففعل . فأتني لَنَائِمٌ اذا بِقَمْعٍ (5) وَرَدَّةٍ قد نَسِيَهُ الخادمُ . فقمْتُ اليه فاوجعته ضرباً ؛ ثم عدتُ الى مَضْجَعِي بعد إخراج القمع من المخدة . فاتاني آتٍ فى منامى فى صورة فظيعة فهِزَّنِي ، وقال : أَفِقْ من غَشَّيْتِكَ ، وانتبه من رَقَدْتِكَ ثم أنشأ يقول (كامل)

يا خَلِّ لَنَكَ ان تَوَسَّدَ (6) كَيْناً وَتَيَّدَتْ بعدَ اليومِ صُتْمَ الجَنْدَلِ (7)
فَأَمَّهْدَ لِنَفْسِكَ صَالِحاً تَسْعَدُ بِهِ فَلْتَنَدَمَنَّ غداً اذا لَمْ تَفْعَلِ

فانتبعت مرعوباً وخرجت من ساعتى هارباً الى ربى (8)

(المستطرف للابشيهى)

(I) ابن المعلم = اظنه يريد محمد بن النعمان بن المعلم البغدادي الذي نال حظوة فى دولة بنى بوية واحله عضد الدولة محلاً ماثوراً . كانت وفاته ببغداد سنة 413هـ (1023م) عن ست وتسعين سنة .

(2) عادله = وازنه اى يركب كل واحد منهما فى جهة من جهتي الهودج .

(3) البذخ = من بذخ ؛ ارتفع وتكبر

(4) ورد نثير = منشور اى باوراق الورد المنشورة

(5) قمع الوردة = عناقها المشوكة

(6) ان توسد = اى ان تتوسد

(7) امهد = مهد وهى .

(8) هارباً الى ربى = اى تائباً الى الله

(7) الطوائف الدينية

قال صاحب كتاب الاستقصاء (I) : قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها ، منذ اعصار متطاولة ، ولا سيما فى المائة العاشرة وما بعدها ، بدعةٌ قبيحةٌ ؛ وهى اجتماع طائفة من العامة ، على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم ، مَن يُشار اليه بالولاية والمُصوِصية ، ويُخصَّونه بمزيد المحبة والتعظيم ؛ ويتمسكون بخِدْمته والتقرُّب اليه قدرا زائدا على غيره من الشيوخ ، بحيث يرسم فى خيال جلَّهم ، ان كلَّ المشايخ او جلَّهم دونه فى المنزلة عند الله تعالى ؛ ويقولون : نحن أتباع سيدى فلان ؛ وخدام الدار الفلانية ؛ لا يحولون عن ذلك ؛ ولا يزولون خلفاً عن سلف ، وَيَنَادُونَ باسمه ؛ ويستغيثون به . ويفزعون فى مُهمَّاتهم اليه ، معتقدين أنَّ التقرب اليه نافع ، والانحراف عنه قَيْدٌ شَبْرٌ ضارٌّ ، مع ان النافع والضار هو الله وحده ... ثم استرسل هؤلاء الطغام (2) فى ضلالهم ، حتى صارت كل طائفة تجتمع فى أوقات معلومة ، فى مكان مخصوص أو غيره ، على بدعتهم التى يسمونها « الحضرة » فما شئت من طسَّيت وطار ، وطبل ومزمار ، وغناء ورقص ، وخبط بالرجل وفحص ، وربما أضافوا الى ذلك نارا أو غيرها ، يشتعلونها على سبيل الكرامة على زعمهم ، ويستغرقون فى ذلك الزمن الطويل ، حتى يمضى الوقت والوقتتان من أوقات الصلوات ، وداعى الفلاح ينادى على رؤوسهم ، وهم فى حيرتهم يعمهون (3) . فانهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ، ويجعلونها للصلاة بالمحراب والمَنَار وغير ذلك ، ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة . فكم

(I) هو ابو العباس احمد بن خالد الناصرى : أنظر ترجمته فى آخر الكتاب

مع تراجم المؤلفين

(2) الطغام = اوغاد الناس وجهالهم تقال للواحد والجمع

(3) يعمهون = متحIRON يخبطون خبط عشواء

رأينا فى محاريب الصلوات من عود ومزمار ، وَرَبَاب على افحش الهيئات . ومن بدعهم الشنيعة محاكاتهم أضرحة الشيخ لبيت الله الحرام ، من جعل الكسوة لها، وتحديد الحرم (4) على مسافة بعيدة، وسَوَّقِ الذبائح اليها على هيئة الهدى (5)، واتخاذ الموسم كل عام .. ثم يقع فى ذلك الموسم ، ولا سيَّما مواسم البادية، من المفاسد والمناكر العظام ، ما يصمُّ عنه الآذان .

الاستقصاء (فى تاريخ المغرب الأقصى)



(4) الحرم = هنا هو تحديد الدائرة التى يحرم على من دخلها فعل بعض الاشياء او لبس النعال ، وقد يامن المجرم اذا دخله من ان يلقي عليه القبض وذلك تشبيها بحرم مكة المكرمة

(5) الهدى = ما يهدى الى الحرم من النعم

الباب الثاني

الحياة السياسية

الفصل الاول : الحكومة (1)

الخلفاء - الملوك - الوزراء - الكتاب - القضاة

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ »

ان الخلافة نظام سياسى خاص بالاسلام وكانت فى عصر
الراشدين انتخابية دينية ، أساس احكامها التقوى والرفق والعدل بما لم
يسمع بمثله فى عصر من العصور . وقد صير معاوية الخلافة وراثية ؛ وسار
سيرته كل من جاء بعده من الخلفاء والملوك والسلاطين . وكانت تقام البيعة
فى الجوامع ويشهدها اشرف الدولة واعيانها ، فيستوثق من اخلاصهم
بالأيمان المغلظة . وكان رؤساء الامة ينظمون اداراتهم فيعينون الوزراء
واصحاب البريد والكتاب وقادة الجيش والمحتسبين والامناء والولاة والقضاة
الخ ؛ ولا يتأخرون عن عزلهم والتنكيل بهم اذا ظهر منهم عجز او خيانة .

حقاً لم يكن جميع الساسة عادلين فى احكامهم ، معثنين بمصالح
رعاياهم ؛ بل كان منهم من سفكوا الدماء وهلكوا الزرع والضرع . فالنقص
والظلم من طبيعة البشر ؛ ولكن لا ينبغى ان ينسينا هؤلاء القاسطون اولئك
الرجال العظام ذوى النفوس الكريمة والشمائل النبيلة الذين رفعوا لواء
انعدل عالياً وبذلوا فى مصالح رعاياهم مجهوداً سامياً .

واليك صور بعض اولئك الساسة المقسطين ، والقادة المنصفين ، لترى
كيف كانوا يراعون حقوق الناس ويؤثرون الانصاف فى الحكومة وينزعون
مادة الخلاف فى الخصومة .

بعض المراجع المهمة

- (I) الاسلام والحضارة العربية لكردي علي (ج2)
- (2) النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن
- (3) تاريخ التمدن الاسلامي لمرجي زيدان (جI و2)
- (4) صبح الاعشى للقلقشندي (للاطلاع على الوثائق الرسمية)
- (5) محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الحضري بك
- (6) كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري
- (7) قضاة قرطبة للخشندي
- (8) تاريخ قضاة الاندلس للنباهي
- (9) تاريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن .



(8) منزلة الامام من الرعية

قال الطرطوشي (1) : : اعلّموا أنّ منزلة السلطان من الرعية أشبه بمنزلة الروح من الجسد . فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة ، وسرت في جميع الجسد ، فأمن الجسد من الغير ، فاستقامت الجوارح والحواس . وإن تكدرت الروح او فسد مزاجها ، فيأويح الجسد ! فتسرى الى الحواس والجوارح كدرة ، وهي منحرفة عن الاعتدال ... ومثال السلطان أيضا مثال النار ومثال الخلق مثال الحشب . فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار ؛ وما كان منها متاودا (2) ، احتاج الى النار ليقام أودّه ، فيعدّل عوجه : فان أفرطت (3) النار ، احترق الحشب قبل أن يستقيم أودّه ؛ وان قصرت النار لم يلين الحشب ... ومثاله أيضا مثال ماء عيني خراة ، في أرض خورة (4) ؛ فإن خلا مشربه ، وعذب طعمه ، وسلمت من الكدر والفساد أوصافه ، اختلج في الأرض ، فابتلعه صافيا صرفا ؛ ثم شربته عروق الاشجار ، فاغتذت به كذلك ؛ فغلظت سوقها ، وتفرعت أغصانها ، وامتدت أفنانها ثم اخرجت أوراقها ، وأبرزت أزهارها ؛ ثم قذفت ثمارها ، فجاءت على أتم طباعها كبرا وطعما ولونا ورائحة ؛ فتقوت العباد ، واكلت حظوظها البهائم والحشرات ، وسقط عليها الطير ، فأحرز كل منها قوته ... وإن كان في العين كدر أو فساد أو ملح ، شربتها الاشجار كذلك ففسد مزاجها ، واضرّ الجزء الفاسد بالطيب ؛ فرقت سوقها ، وضعفت أغصانها وتغيرت أوراقها ، وقلت أزهارها وثمارها ، ودخل الفساد على جميع ذلك ؛ فجاءت الثمرة وهي نزر قدرها ، ردي طعمها ، كاسف لونها

كتاب سراج الملوك

(1) الطرطوشي = انظر ترجمته في آخر الكتاب مع المؤلفين المنقول عنهم .

(2) متاود = معوج والود = الاعوجاج

(3) أفرط = هنا جاوز الحد

(4) خراة = متدفقة المياه

(5) خورة = الرخوة المنخفضة

(6) افنانها = فروعها

(9) نسخة بيعة

تمهيد =

كان الخلفاء والولاة يكتفون بالقاء الخطب للاعلان بالبيعة ؛ ثم صاروا فيما بعد يحثرون عهود البيعة لتبقى حجة على الناس ؛ وكثيرا ما كانوا يحرصون على الاحتفاظ بها ، فيجعلونها احيانا فى الاماكن المقدسة كالكعبة مثلا. ولقد بدأت بذكر نموذج من هذه العقود لشيوع استعمالها .

« ... تُبايعُ الامامَ ، اميرَ المؤمنين فلانا ، بيعة طوع واِثَار (1) واعتقاد واضمار ، واعلان واسرار ، واخلاص من طويتك ، وصديق من نيتك ... طائعا غير مكره .. مُقرّاً بفضلها ... وعالما بما فيها وفى توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع الكلمة من الخاصة والعامة ... وعز الاولياء وقمع الاعداء على أن فلانا عبدُ الله وخليفته ، المفترض طاعته والواجب على الامة إقامته وولايته ، اللازم لهم القيام بحقه ، والوفاء بعهده ، لا تشك فيه ، ولا ترتاب به ... وإنك وليّ وليّه ، وعدوّ عدوّه ، من خاصّ وعامّ ، وقريبٍ وبعيدٍ ، وحاضرٍ وغائبٍ ... على ان أعطيت الله هذه البيعة من نفسك ، وتوكيدك لياها فى عُنُقك ، لفلان امير المؤمنين ، عن سلامة من قلبك ؛ واستقامة فى عزمك ... على الاتّأوّل عليه فيها ، ولا تسعى فى نقض (3) شيء منها ، ولا تقعد عن نصره فى الرخاء والشدة ... حتى تلقى الله مؤذنا (4) بها ، مؤذياً للامانة

(1) اِثَار = تفضيل اى تفضيل المبايع له على غيره

(2) الاولياء = هنا الاحباب والمقرون بفضل الامام المبايع والمعترفون باستحقاقه للخلافة

(3) نقض = نقض البناء هدمه - نقض الحبل = حله - هنا نقض العهد افسده بعد احكامه

(4) مؤذنا = من آذن فلانا الامر أو بالامر : أعلمه به

فيها ، اذ كان الذين يبايعون ولاية الامر وخلفاء الله فى الارض (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ (5) فَاِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

عليك بهذه البيعة ، التى طوقتها عنقك ، وبسطت لها يدك ، واعطيت فيها صَفَقَتَكَ (6) ، وما شُرط عليك فيها ... عهدُ الله ؛ ان عهدَ الله كان مَسْئُولًا ... وان نكثت هذه البيعة او بدلت شرطاً من شروطها ... او غيرت حُكْمًا من أحكامها ، مُعْلِنًا او مُسِرًّا او مُحْتَالًا او مُتَأَوِّلًا ... فكلُّ ما تملكه من عَيْنٍ او وَرِق (7) او آنية ، او عقار (8) او سائمة (9) ، او زرع او ضرع (10) او غير ذلك من صنوف الاملاك المَعْتَدَةِ ، والاموال المدخرة ، صَدَقَةٌ عَلَى المساكين ، محرم عليك ان ترجع الى شىء من مَالِكَ بحيلة من الحِيل .. وكل ما تعتدّه فى بقية عمرك من مال يقلُّ خطره أو يجلُّ ، فتلك سبيله (II) الى أن تَتَوَفَّاكَ مَنِيتُكَ او يَأْتِيكَ أَجْلُكَ ؛ وكل امرأة لك اليوم وأخرى تتزوّجها بعدها مدّة بقائك طالق ثلاثا بتاتاً ، طلاق الحرج والسنة ، لا مَثْنَوِيَّة (I2) فيه ولا رجعة ؛ وعليك المشى الى بيت الله الحرام ثلاثين حَجَّةً حافياً، حاسراً (I3) راجلاً؛ لا يرضى الله منك الا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً (I4) ؛ وَخَذَلَكَ (I5) يوم تحتاجُ اليه، وبرّأك من حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَالْجَأَكَ الى حولك وقوتك؛ والله عزّ وجلّ بذلك شهيدٌ . وكفى به شهيداً .

(صبح الاعشى)

(5) نكث = نكث العهد = نقضه ؛ نكثت المرأة غزلها افسدته
(6) الصفقة = من صدق له بالبيع. وصفق يده بالبيعة : ضرب يده على يده علامة على قبول ذلك وامضائه .

(7) العين والورق = الذهب والدرهم المضروبة
(8) العقار = الاملاك القائمة كالدور والبساتين وغيرها
(9) السائمة = البهائم والمواشى ؛ من سامت الماشية خرجت الى المرعى .
(10) الضرع = هو للبهيمة كالشدى للمرأة ؛ والزرع والضرع = اى المزروعات والماشية .

(II) فتلك سبيله = اى هو كذلك محرم عليه

(I2) المثنوية = الاستثناء والاحتياى للرجعة

(I3) حاسراً = عارى الرأس

(I4) صرفاً ولا عدلاً = تعويض

(I5) خذلك = ضد اعانك واخذ بيدك

(10) معاوية يهرس البيعة لابنه يزيد

تمهيد =

لقد قلنا ان معاوية هو اول من جعل الخلافة وراثية - وهذه القطعة تبين بعض ما لقيه من المقاومة - ولما مات اشتدت وطأة المقاومين ونتج عن ذلك حوادث مؤلمة فصلت في كتب التاريخ

«فلما كانت سنة خمس وخمسين ، كتب معاوية (I) الى سائر الأمصار ان يفدوا عليه ؛ فوفد عليه من كل مصر قوم ؛ وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم . فخلأ به معاوية وقال له : ما ترى في بيعة يزيد (2) ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الارض أحد هو أحب إليّ رشداً من نفسك ، سوى نفسي . وان يزيد أصبح غنياً في المال ، واسطاً في الحسب ؛ وان الله سائل كل راع عن رعيته ؛ فاتق الله وانظر من تولى أمر أمة محمد . فأخذ معاوية بهر (3) ، حتى تنفس الصعداء (4) وذلك في يوم شات (5) . ثم قال : « يا محمد ، انك امرؤ ناصح ، قلت برأيك

(I) معاوية بن أبي سفيان . كان أبوه من أشياخ مكة حارب النبي صلح وأسلم بعد الحديبية ثم صار أحد كتبة الوحي . وقد ولي قيادة الجنود بالشام في عهد عمر بن الخطاب . ثم عين والياً عليها . قام مطالباً بدم عثمان ووقعت بينه وبين الامام علي كرم الله وجهه حروب . كان ذاهية في السياسة . مات بدمشق سنة 60 هـ (680 م) .

(2) يزيد : ابنه . وقعت في أيامه حوادث مؤلمة منها قتل الحسين بن علي كرم الله وجهه ، واباحة المدينة لجنود الشام . ولي الخلافة وأكثر الناس له كارهون . مات بدمشق سنة 64 هـ 684 م :

(3) البهر : انقطاع النفس من التعب أو الدهش .

(4) تنفس الصعداء : الصعداء هو التنفس الطويل من هم أو تعب .

(5) يوم شات - يوم بارد من أيام فصل الشتاء .

ولم يكن عليك الا ذاك . ولكن لم يبق الا ابني وابناؤهم (6) ؛ وابني أحب
الى من ابنائهم ؛ اخرج عتي »

ثم جلس معاوية فى اصحابه واذن للوفود فدخلوا عليه ؛ وقد تقدّم
لاصحابه ان يقولوا فى يزيد . فكان أول من تكلم الضحّاك (7) . ابن قيس
الفهريّ فقال : ياأمير المؤمنين إنّ لا بدّ من والٍ بعدك ؛ والانفس يغدى عليها
ويُراح (8) ويزيدُ ، إِبْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فى حُسْنِ مَعْدِنِهِ وَقَصْدِ سِيرَتِهِ ،
من أفضلنا حِلْمًا وأحكمنا عِلْمًا ؛ فَوَلِّهِ عَهْدَكَ ، واجعله لنا عِلْمًا بعدك ؛
وإِنا قد بَلَّغْنَا الْجَمَاعَةَ (9) وَالْأُلُقَةَ ، فوجدناها أحقنّ للدماء وآمن للسُّبُل
وخيرا فى العاجلة والآجلة (10) . ثم تكلم عمرو بن سعيد (11) ، فقال :
أيها الناسُ ان يزيد املُ تاملونه ، وأَجَلٌ تأمنونه ، طويل الباع (12) رَحْبُ
الذراع ؛ اذا صرّتم الى عدله وَسِعَكم ؛ وان طلبتم رِفْدَه (13) ، أغناكم . جَذَعُ
قَارِح (14) ؛ سَوِيْقٌ فَسَبَقَ ؛ وَمَوْجِدٌ فَمَجَدَ ؛ وَقُورِعٌ فَقَرَعَ . خلفاً من أمير

(6) أبناؤهم - يعنى ولا شك بنى هاشم .

(7) الضحّاك بن قيس الفهري - كان من أهل الثقة عند معاوية ثار ضد مروان
ابن الحكم لما استعد هذا للتغلب على الخلافة ومات فى واقعة مرج راهط
المشهورة سنة 65 هـ 684 م .

(8) هذه الانفس يغدى عليها ويراح - أى تموت فى الصباح والعشى .

(9) بلونا الجماعة - أى جربنا نتيجة الاتفاق والالتفاف حول خليفة واحد
وبعنى به معاوية ، اذ سمى العام الذى استتب له فيه الامر عام الجماعة .

(10) العاجلة والآجلة - الدنيا والآخرة .

(11) عمر بن سعيد الاشدق - كان من أكابر بنى أمية - نافس عبد الملك بن
مروان فى الخلافة ، فظفر به عبد الملك بن مروان وقتله سنة 70 هـ 690 م .

(12) طويل الباع - الباع - قدر مد اليدين - ويقال طويل الباع رحب
الذراع - أى كريم مقتدر .

(13) رفده - اعانته .

(14) جذع قارح - شاب ذى خبرة وتجربة - الجذع من البهائم - الصغائر

والقارح الذى شق نابيه وطلع .

المؤمنين ولا خلف منه ۞ فقال معاوية: اجلس ابا أمية ، فلقد أوسعت واحسنت .
ثم قام يزيد بن المقفع ، فقال : أمير المؤمنين هذا ! وأشار الى معاوية ؛
فان هلك فهذا ! وأشار الى يزيد ؛ فمن أبى فهذا ! وأشار الى سيفه . فقال
معاوية : اجلس فلئنك سيّد الخطباء ! . ثم تكلم الأحنف بن قيس (15) فقال :
ياأمير المؤمنين انت اعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلايته ، ومدخله
ومخرجه ؛ فان كنت تعلمه لله رضا ولله امة فلا تشاور الناس فيه ؛
وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وانت تذهب الى الآخرة
ثم تفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف ...

العقد الفريد . ج 3 ص133.



(15) الاحنف بن قيس - هو أبو بحر الضحاك بن قيس التميمي كان يضرب
به المثل في الحلم والعلم ؛ شهد صفين مع علي؛ مات بالكوفة سنة 67هـ 687م.

(11) أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

لما ضخمت مملكة يوسف بن تاشفين (I) ، واتسعت عمالته ، اجتمعت اليه اشياخ قبيلته واعيان دولته وقالوا له : أنت خليفة الله في ارضه ؛ وحقك اكثر من ان تدعى بالامير ؛ بل ندعوك بامير المؤمنين . فقال لهم : حاشا الله ان نتسمى بهذا الاسم . انما يتسمى به خلفاء بنى العباس لكونهم من تلك السلالة (2) الكريمة ؛ ولانهم ملوك الحرميين ، مكة والمدينة ؛ وانا راجلهم والقائم بدعوتهم . فقالوا : لا بد من اسم تمتاز به : فأجاب الى أمير المسلمين وناصر الدين . فخطب له بذلك على المنابر وخطب به في العدوتين (3) وامر كتّابه ان يكتبوا عنه في ذلك ، فكتبوا ما نصّه (4) : «بسم الله الرحمن الرحيم» وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . من امير المسلمين وناصر الدين ، يوسف بن تاشفين الى الاشياخ والاعيان والكافة .. ادام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه ؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله أصل الحمد والشكر وميسر اليسر وواهب النصر ، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان (5) والذكر ؛ وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله ، في منتصف محرم سنة 466 . وانه لما من الله علينا بالفتح الجسيم ، وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة برؤود النعيم

(I) يوسف بن تاشفين = هو المؤسس الحقيقي ، لدولة المرابطين بالمغرب والاندلس . كان متقشفا زاهدا . بنى مدينة مراكش سنة 1062 م ومات بها سنة 1106 م ولا زال قبره معروفا هناك .

(2) السلالة = النسل والولد ويعنى بالسلالة الكريمة سلالة النبي صلى الله عليه وسلم

(3) العدوتان = المغرب والاندلس - والعدوتان بالمغرب وهما الرباط وسلا

(4) الفرقان = القرآن الكريم لانه يفرق بين الحق والباطل

(5) الخطبة = تكون باسم الخليفة او الملك وهى من خصائصه

وهذاناه وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم ، صلى الله عليه افضل
الصلاة واتم التسليم ، رايانا ان نُخَصِّصْ أَنْفُسَنَا بهذا الاسم لامتاز به عن
سائر امراء القبائل ؛ وهو امير المسلمين وناصر الدين ؛ فمن خطب الخطبة
العلية السامية فَلْيُخَطِّبْهَا بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولي العدل
بِعَمَلِهِ وَكَرَمِهِ وَالسَّلَام . »

الحلل الموشية ص 17 - 18



(12) النواضع والحزم

لما تَمَّتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ (I) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَامَ فِي النَّاسِ خُطِيبًا .
فَقَالَ ، بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَاتَّسَى عَلَيْهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُؤَيِّتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ
فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي . وَإِنْ صَدَفْتُ (2) فَقَوِّمُونِي ، الصَّدَقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ
خِيَانَةٌ . وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ . وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ
ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا يَدْعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجِهَادَ ، فَإِنَّهُ
لَا يَدْعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذِّلَّةِ (3) . أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فِيكُمْ ، فَإِذَا
عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ »

(محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية)



(I) أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ = هُوَ أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ
الرِّجَالِ . عُرِفَ بِالكَرَمِ وَالْعِفَّةِ وَلِيَنَّ الْجَانِبَ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَتَيْنِ .

(2) صَدَفَ = مَالَ عَنِ الْحَقِّ

(13) التعفف عن اموال المسلمين

كان لعمر بن عبد العزيز غُلامٌ (I) ، وكان خازنا لبيت المال . وكان لعمر بنات فجثنه يوم عرفات ، وقلن له : « غداً العيدُ ، ونساء الرعية وبناتُهم يَلْمُنُنَا ويقلن ثلاثين بنات امير المؤمنين ، ونراكن عارياتٍ . لا أقلَّ من ثياب بيضاء تلبسُنها ! » وبكى عنده . فضاق صدر عمر . فدعا غلامه الخازن وقال له : أعطني مشاهرتي لشهر واحد . فقال الخازن : يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت مال المسلمين سلفاً ؟ اتظن ان لك عمر شهر فتأخذ مشاهرة الشهر ؟ فتخبر عمر وقال : نَعَمْ ما قلتَ أبها الغلامُ . بارك الله فيك ! ثم التفت الى بناته وقال : اكظمن شهواتكن . فإن الجنة لا يدخلها احد الا بِمَشَقَّةٍ «

كشكول جمال ج 3



(I) عمر بن عبد العزيز = هو ابن عبد العزيز بن مروان اخي عبد الملك بن مروان ؛ وهو ثامن خلفاء بني امية . ولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك (99هـ) : وكان عالماً ورعاً زاهداً ولد بمصر سنة 61هـ ومات سنة 101هـ .

(14) الشريعة فوق الخرافة

المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم

جلس المأمون (1) يوماً للمظالم (2) . فدخل عليه رجل برقعة ، يتظلم فيها منه ، بان له قبلة ثلاثين ألف دينار لم يدفعها له . فحاجه فيها ، وأنكر قضايتها عليه . فقال الرجل : إذن أدعوك الى الحاكم الذى نصبته لرعيتك ؛ قال : نعم . يا غلام على يحيى بن اكثم (3) . فلما مثل القاضي بين يديه ، قال : يا يحيى فقال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : أقض بيننا قال : فى حكم وقضية ! قال : نعم . قال : لا ! لا افعل : قال : ليم ؟ قال : لان أمير المؤمنين لسم يجعل داره مجلس قضاى . قال : قد فعلت . قال : فلانى أبدأ بالعامّة أولاً ليصحّ المجلس للقضاء . قال : أفعل . ففتح الباب ؛ وقعد فى ناحية من الدار ، وأذن للعامّة ، ونادى المنادى ، وأخذ الرقاع ، ودعا بالناس . ثم دعا الرجل المتظلم . فقال له يحيى : ما تقول ؟ قال : اقول ان تدعو بخصمى امير المؤمنين المأمون . فنادى المنادى ، فإذا المأمون قد خرج فى رداء وقيص وسراويل قد أرسلها على عقبه ، فى نعل رقيق ، ومعه غلام "يحمل مصلى" ؛

(1) المأمون : هو عبد الله ابو العباس ابن الرشيد بويه وهو ابن ثمانى وعشرين سنة ومات عام 218 هـ (832م) وعمره تسع واربعون سنة استقل بالامر بعد قتل أخيه . اشتهر بضبطه للامور وبحزمه وحبه لمجالسة اهل العلم وبحملة وعلو همته فهو يعتبر سيد النجباء ورئيس الحكماء وزين العلم والعلماء .

(2) المظالم : ج مظلمة وهى ما يشكو ويتظلم منه الانسان وكان بعض الخلفاء والولاة يخصصون يوماً او يومين فى الاسبوع للنظر بانفسهم فى المظالم فترفع اليهم القصص او يقف امامهم المتظلمون فيشرحون قضاياهم .

(3) يحيى بن اكثم (159 - 242 هـ - 777 - 857 م) هو من ولد اكثم بن صيفى حكيم العرب وهو احد اعلام الدنيا ولى القضاء بالبصرة ثم صار قاضى القضاة ببغداد ؛ عاش الى عهد المتوكل .

حتى وقف على يحيى وهو جالس . فقال له : اجلس . فطرح المصلى ليقعد عليه فقال له يحيى : لا تأخذ على خصمك شرف المجلس . فطرح له مصلى آخر ؛ فجلس الخصم ؛ فقال له يحيى : ماتقول ؟ فقال : لى على هذا ثلاثون ألف دينار . فقال : ومن هذا ؟ . قال : أمير المؤمنين المأمون . فقال له يحيى : يا امير المؤمنين قد سمعت ما يقول . قال : سلّه ما وجهها؟ فأعاد قصّة الدعوى . فقال المأمون : ما اعرف له حقّا . فقال يحيى للرجل : قد سمعت أنّك بيّنة ؟ قال : لا . قال : فما تريد ! قال : ما يوجب الحكم على منعدم البينة (4) قال المأمون : ويحك قد لججت فى اليمين . قال القاضى : يا امير المؤمنين أتخلف ؟ قال : اى والله ولا اوّطىء نفسى الغشوة (5) فى اعطاء رجل مالا يستحقه ظلماً . فقال : قل والله (فاستحلفه غموسا (6) ثم وثب يحيى عند فراغ المأمون من يمينه (اى وقضائه) ، فقام على رجليه فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : انى كنت فى حقّ الله عزّ وجلّ حتى أخذته منك ، وليس الآن من حقّى ان اتصدّر عليك .



-
- (4) البينة : الحجة والبرهان ومن مبادئ الشرع الاسلامى : البينة على من ادعى واليمين على من انكر
 (5) الغشوة : الجهالة وركوب الامر على غير بيان
 (6) الغموس : الشديد . واليمين الغموس : الغليظة الغامسة الكاذب فى البلاء .

(15) الرقبة للحق

الحكم والقاضي سعيد بن بشير

رَفَعَ رَجُلٌ مِنْ كُورَةِ (I) أَهْلَ جَيَّانَ (2) إِلَى الْقَاضِي سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ (3) أَنَّ عَامِلًا لِلْحَكَمِ (4) أَغْتَصَبَهُ جَارِيَةً ، وَعَمِلَ فِي تَصْيِيرِهَا إِلَى الْحَكَمِ ؛ فَوَقَعَتْ مِنْ قَبْلِهِ كُلَّ مَوْقِعٍ . وَاثْبَتَ الرَّجُلُ أَمْرَهُ . وَأَتَاهُ بَبِينَةٌ (5) يَشْهَدُونَ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا تَظْلَمُ مِنْهُ ، وَعَلَى عَيْنِ الْجَارِيَةِ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ بِهَا . فَاسْتَأْذَنَ الْقَاضِي عَلَى الْحَكَمِ . وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : إِنَّهُ لَا يَتِمُّ عَدْلٌ فِي الْعَامَّةِ دُونَ إِفَاضَتِهِ فِي الْخَاصَّةِ . وَحَكَى لَهُ أَمْرَ الْجَارِيَةِ ، وَخَيَّرَهُ فِي إِبْرَازِهَا إِلَيْهِ أَوْ عَزْلِهِ عَنْ الْقَضَاءِ . فَقَالَ لَهُ : أَدْعُوكَ إِلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ تَبْتَاعُ الْجَارِيَةَ مِنْ صَاحِبِهَا بِعَيْنٍ نَعْمَها ، وَأَبْلُغَ مَا يَسْأَلُهُ فِيهَا . فَقَالَ : إِنَّ الشُّهُودَ قَدْ شَخَّصُوا مِنْ كُورَةِ جَيَّانَ ، يَطْلُبُونَ الْحَقَّ فِي مِثْلِهِ (6) ؛ فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْكَ تَصَرَّفْهُمْ دُونَ انْفَازِ الْحَقِّ لِأَهْلِهِ ؛ وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ : بَاعَ مِنْ لَا يَمْلِكُ بَيْعَ مَتَيْسَّرَ عَلَى نَفْسِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ عَزْمَهُ ، أَمَرَ بِاخْرَاجِ الْجَارِيَةِ مِنْ قَصْرِهِ ، وَشَهِدَ الشُّهُودَ عَلَى عَيْنِهَا وَقَضَى بِهَا لِصَاحِبِهَا .
العقد الفريد ج 3 ص 209

-
- (I) الكورة : البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى ج كور
(2) جيان : إحدى كور الاندلس في شرق قرطبة
(3) سعيد بن بشير : كان قاضي الجند بقرطبة
(4) الحكم : هو الحكم الأول بن عبد الرحمن الداخل الملقب بالمنتصر كان صارما حازما . هو أول من استكثر الممالك بالاندلس وكان ميالا للادب والفنون ، توفي في شهر ذي الحجة سنة 216 هـ
(5) بينة : (انظر رقم 4 قطعة I3) وهنا : رجال يشهدون له .
(6) مظان مفردا مظنة . ومظنة الشيء : موضعه ومألفه : يقال « فلان مظنة الخير » .

(16) سبابة ربيعة

حكى انه رُفع الى الخليفة المعتضد (I) ان طائفة من الناس يجتمعون
بباب الطاق (2) ، ويجلسون فى دكان شيخ تَبَّان ، ويخوضون فى الفضول
والاراجيف (3) وفنون من الاحاديث ؛ وفيهم قَوْمٌ سَرَاةٌ (4) وَتُنَّاء (5)
وأهل بيوتات . فلَمَّا عرف الخليفة ذلك ضاق ذرعا (6) وخرج صدرا ... فدعا
بعبد الله بن سليمان (7) ، ورمى بالرفيعة (8) اليه .. فأخذها ؛ وشاهد من
تَرَبَّد (9) وجه المعتضد ما ازعج ساكن صدره ؛ فقال : قد فهمت يا أمير
المومنين . قال : فما الدواء ؟ قال : تتقدم بصلب بعضهم ، واحرق بعضهم ،
وتفريق بعضهم . فان العقوبة اذا اختلفت كان الهول أشدَّ ... فقال المعتضد .
وكان أعقل من الوزير : والله لقد برَّدتَ لهيبَ غضبي بِفَوْرَتِكَ (IO) هذه ؛
ونقلتني الى اللين بعد الغلظة ، وحططت عليَّ الرِّفق من حيث أشرت بالخرق

(I) المعتضد : خليفة عباسى : هو ابو العباس احمد بن طلحة الموفق جعله
المعتمد ولي عهده وبويع سنة 274 هـ (892م) وتوفى عام 289 هـ .

(2) باب الطاق : احد ابواب بغداد

(3) الاراجيف : الاخبار المختلفة الكاذبة السيئة : يقولون اذا وقعت المخاويف
كثرت الاراجيف :

(4) السراة ج سرى وهو صاحب المروءة فى شرف او السخاء فى مروءة

(5) تناء ج ثانىء : الدهاقين والرؤساء

(6) ضاق ذرعا به : لم يحتمل الصبر عليه وذرع الانسان : طاقته

(7) عبید الله بن سليمان - هو ابو قاسم بن سليمان بن وهب كان من
كبار الوزراء ومشائخ الكتاب استوزره الخليفة المعتمد ثم أخوه المعتضد وفى
أيامه توفى سنة 288 هـ (902م)

(8) الرفيعة : الكتاب المرفوع اليه

(9) التربد : من ربدء : منه . وتربدت السماء : تغيّمت وتربد
الرجل : تعبس

(IO) فورة = من فاريفور الماء = نبع وجرى والفورة = الغضب الشديد

وما علمت انك تستجيز هذا في دينك وهديك ومروءتك . وقد ساءنى جهلك
بحدود العقاب . أما تعلم ان الرعيّة وديعةُ الله عند سلطانها ؟ وان الله يسألك
عنها كيف سُستها ؟ ... الا تدرى ان احدا من الرعية لا يقول ما يقول الا
نظم لحقه ، او لحق جاره ؛ او داهية نالته ، او نالت صاحباً له ؟ وكيف
نقول لهم : كونوا اتقياء صالحين ، مقبلين على معاشكم ، غير خائضين فى
حديثنا ، ولا سائلين عن امرنا ، والعرب تقول فى كلامها : غلبنا السلطان ،
فَلَيْسَ قَرَوْتَنَا وَأَكَلْ خَضْرَتَنَا .. وَحَنَقُ الْمَمْلُوكِ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفٌ . وَإِنَّمَا
يَحْتَمِلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَكَالِيفِهِ إِذَا كَانَ الْعَيْشُ فِي كَفِّهِ رَافِغاً (II) ، والامل
فيه قويا ، والصدر عنه باردا (I2) . والقلب معه ساكنا . أتظن ان العمل
بالجهل ينفع والعذر به يسع ؟ لا والله ما الرأى ما رأيت .. وَجْهٌ صَاحِبُكَ ،
وليكن ذا خبرة ورفق ، ومعروفا بخير وصدق ، حتى يعرف حال هذه
الطائفة . فمن كان منهم يصلح للعمل فعلقه به ؛ ومن كان سيئ الحال فصّله
من بيت المال بما يعيد نُضْرَةَ حاله (I3) ويفيده طمأنينة باله . ومن لم يكن
من هذا الرهط ، وهو غنى مكفى ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُهُ إِلَى دُكَّانِ هَذَا التَّبَانِ الْبَطَرُ (I4)
وَالزَّهْوُ ، فَادْعُ بِهِ وَلَا طِفْهُ وَانصحه .. ففارق الوزير الخليفة ، وعمل بما أمره
به على الوجه اللطيف . فعادت الحال ترف بالسلامة العامة والعافية التامة .

الامتناع والموانسة ج 3 ص 88

(II) رافغا = كثير خصباً .

(I2) يقال = فلان بارد الصدر = هادئ مطمئن البال .

(I3) نضر الوجه او لشجر = حسن وكان جميلاً ناضراً .

(I4) البطر = من بطر = طغى بالنعمة وصرفها فى غير وجهها .

(17) وزير رزق مندي

كان ابو الشجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمداني وزير
المقتدى (I) رجلاً دِيناً خَيْراً . كان يصلي الظهر ، ويجلس لكشف المظالم الى
العصر . وكان الحجاب ينادون في الناس : من كانت له حاجة فليعرضها .
ومن مناقبه انه لما وقعت الفتن بين اهل السنة (2) والشيعة (3) بالكرخ (4)
وباب البصرة من مدينة السلام ، تغاضى عن اراقة الدماء ، حتى قال المقتدى :
« ان الامور لا تمشى بهذا اللين ، ولا بد من نقض دور عشرة من كبار اهل
المحال (5) حتى تقوم السياسة ، وتسكن هذه الفتن » . فأرسل الوزير
الى المحتسب وقال له : « قد تقدم الخليفة بنقض دور عشرة من كبار اهل
المحال ، ولا تمكنني المراجعة فيهم ، وما آمن ان يكون فيهم احد غير مستحق
للمؤاخذه ، او يكون الملك ليس له . فأريد ان تبعث ثقاتك الى هذه المحال ،
وتشتري املاك هؤلاء المتهمين . فاذا صارت الاملاك لي نقضتها ، واسلم
بذلك من الإثم ، ومن سخط الخليفة » . ونقده الثمن في الحال . ففعل
المحتسب ذلك ثم بعد ذلك ارسل ونقضها .

حجّ الى بيت الله ، ولم يؤرخ عن وزير أنه حجّ في ايام وزارته الا هذا

I المقتدى : احد خلفاء بني العباس ببيع عام 467 هـ . (1075 م.) ومات
سنة 487 هـ . (1094 م.) كان رقيق المحاسن حسن السمائل

(2) و (3) اهل السنة هم جماعة المسلمين ومن اهم شروطهم في الخليفة
ان يكون قرشياً . والشيعة : هم الذين يقولون بخلافة علي بن ابي طالب
واولاده من بعده ومنهم الغالون المتعصبون (انظر الجزء الثالث من
كتاب ضحى الاسلام لاحمد امين)

(4) الكرخ : سوق عظيمة ببغداد .

(5) اهل المحال : الاغنياء والاشرف الساكنون بالدور الكبيرة في احسن
احياء بغداد .

والا البرامكة (6) . صُرف عن الوزارة على حالة جميلة فانصرف الى داره وهو يُنشد (وافر) :

تَوَلَّاهَا وَلَيْسَ لَهُ عَدُوٌّ وَفَارَقَهَا وَلَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ

ثم اعتزل وتزهد ، ولبس ثياب القطن، وتوجّه الى الحج ، واقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان يكتس المسجد النبويّ ، ويفرش الحصر ، ويشعل المصابيح، وعليه ثوب غليظ الخام (7) . وبدأ بحفظ القرآن وختمه هناك .

الفخرى ص. 217



(6) البرامكة : اصلهم من العجم وجدّهم خالد بن برمك . بدأ ظهورهم في المناصب العالية في عهد ابي جعفر المنصور وبلغوا ذروة المجد في عهد الرشيد الا ان هذا غضب عليهم وقتل جعفر بن يحيى وشتت شملهم .

(7) الخام : نسيج من القطن

(18) يوم من أيام عهد الدولة (1)

فانه كان يُبَاكَر دخول الحَمَام . فاذا خرج منه ، ولبس ثيابه ، أَدَّى فرض الصلاة ، ودخل اليه خواصّه وحواشيه فيجلس كاتبه بين يديه ويؤذن لوزيره ، فيسأله عَمَّا عمله فيما سبق التقدّم به اليه، فيخبره بذلك ، ثم يذكر له ما عرض من الامور، ويستأذنه فى كل امر، فَيَوْعِزُّ (2) اليه بما يعتمد عليه فيه . ويفعل مثل ذلك مع عارضى جيش الدَّيْلَم ، وجيش الأتراك والأعْرَاب والأَكْرَاد . فاذا ترخّل النهار، سأل عن ورود التَّوْب (3) المتردّدة بالكتب ، ولها وقت معلوم تأتي فيه وتُرْمَعى من ساعات النهار . فان اتَّفَق ان تتأخّر، قامتِ القيامةُ، ووقع البحث عن العارض العائِق، فان كان بعائق ظاهر فيه عذرٌ قَبِيلٌ ، او عن امر يحتاج الى إِزَالته أُرِيزِلَ ، او من تقصير النوبيّين أنزل العذابُ بهم .. فاذا وصلت النوبة كان فضُّ خُتومها، وَفَتْحُ خرائطها(4) واخراجُ الكتب منها بحضرته. ويأخذ منها ما كان الى مجلسه، وَيُخَرِّجُ الباقي الى ديوان البريد ، فيفرّق على أربابه . ثم يقرأ الكتب اليه كتاباً كتاباً ، ويطرحه . فاذا تكامل وقوفه عليها ، جدّد كاتبه ابو القاسم

I عضد الدولة: امير ديلمى ، وهو ابن ركن الدولة البُويهيّ. لم يبلغ احد من اهله مع عظم شأنهم وجلالة قدرهم، ما بلغه هو من سعة المملكة . هو اول من خوطب بالملك فى الاسلام واول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة . وكان حازماً مشاركاً فى عدة فُنون. مدحه الشعراء ومن جملتهم ابو الطيب المتنبى الذى ورد عليه بشيراز. توفى عام 372 هـ. (983 م.) ببغداد وعمره سبع واربعون سنة ، وقبره بالكوفة .

- (2) او عز اليه بالامر : اشار عليه به ليفعله او ليتركه .
- (3) اصحاب النوبة : هنا هم المكلفون بتبليغ الرسائل وهم يتناوبون فى ذلك . وطبيب النوبة : الذى نوبته ان يقف على راس الامير .
- (4) الخرائط : الاكياس التى تجعل فيها الرسائل

عبد العزيز قراءتها عليه ، فيأمره في جواب كل فصل بما يُوقَّع به تحته وإخراج منها ما يأمر بإخراجه ليواقف عليه وزيره في تذكرة ، وهي أبدا بين يديه يعلق فيها ما يعرض له . ثم يسأل عن الطعام . فاذا حضر الوقت الذي رسمه للاكل فيه ، استدعاه ، فاصاب منه ، وطبيبُ النوبة (3) قائمٌ على راسه وهو يسأله عن كل شيء شيء من منافع الاغذية ومضارها . ثم يغسل يديه وينام، فاذا انتبه جدّد الوضوء وصلى الصلاة الوسطى وخرج الى مجلس الشرب، فجلس وحضر الندماء والملهون، ووافى ابو القاسم فقعده بحضرته على رسمه وعرض له ما كتب الكتاب او كتبه هو نفسه من اجوبة الكتب الواردة . فربما زاد فيها او نقص منها . ثم تُصْلَحُ وتُخْتَمُ وتُجْعَلُ فِي إِسْكِدَارِهَا (5) وَتَحْمَلُ إِلَى دِيوان البريد فتصدر في وقتها.. وهو مع ذلك يشرب، ويسمع الغناء، يسأل عما يمضي من أشعاره.. ولا يزال على ذلك الى ان يمضي صدر الليل ثم يأوي الى فراشه .

من ذيل كتاب تجارب الامم ص. 40 وما بعدها



(5) اسكدار : الخريطة المعدة للبريد .

(19) امتحان كاتب

قال المأمون (I) لعمر بن مسعدة (2) : ما زلت تسألني في الرَّجَجِيَّ حتى وليته الاهواز ، ففقد في صرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً (3) ، ولم يوجه إلينا بدرهم واحد ! اخرج اليه من ساعتك ! فقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصير مُسْتَحْتَجّاً على عامل خراج؟ ولكن لم اجد بُدّاً من طاعة امير المؤمنين. فأمرت ففُرِّشَ لي زُلَالِي (4) بالطَّبْرِيّ (5) وحُشِيَ بالثَّلَجِ ، وطُرح عليه الكَرُّ (6) ثم خرجتُ. فلما صرتُ بين دَيْرٍ هَرَقْل (7) ودَيْرِ الْعَاقُولِ (7) اذا برجل يصيحُ : ياملاح رجلٌ منقطع ! . فقلتُ للملاح : قَرِّبْ الى الشَّيْطِ . فقال : ياسيدي هذا شَحَّاذٌ (8) فان قعد معك آذاك ! فلم التفت الى قوله .. فلما حضر وقتُ الغداء دعوتُه الى طعامي . ثم قلتُ : يا هذا ما صناعتك ؟ فقال حَائِكُ كَلَامٍ (9) . ثم سألني عن صناعتي فكرهت ان اذكر له الوزارة ، فقلت : كاتب . فقال : جعلت

-
- (I) المأمون : تقدمت ترجمته في قطعة رقم 14
(2) عمرو بن مسعدة: هو ابو الفضل عمرو بن صول كان كاتباً بليغاً ولى الوزارة للمأمون وتوفي سنة 218 هـ. (832 م.)
(3) الخضم : اكل الشيء الطرى والقضم : اكل الشيء اليابس
(4) الزلالى : نوع من السفن النهرية المستعملة على دجلة والفرات
(5) الطبرى : نوع من الثوب منسوب الى طبرستان
(6) الكر : الليف او الخوص
(7) الديرة: مقام الرهبان او الراهبات يجمع على اديرة وديارات وديرا هرقل والعاقول قرب المدائن
(8) شحاذ : المتسول . الشحاذة حرفته .
(9) الحائك: النساج، وحائك كلام كناية عن الاديب البليغ الذى يحسن تنسيق الكلام .

فذاك ! الكاتب على خمسة أصناف : فأيهم انت اعزك الله ؟ فقلت كاتب رسائل . قال : فاخبرني اذا كان لك صديق ، تكتب له في المحبوب والمكروه ، وجميع الاسباب ، فتزوجت امه فكيف تكتب له أتهنئه أم تعزيه ؟ قلت : والله ما اقف على ما تقول . قال : فلست بكاتب رسائل . فأيهم أنت؟ قلت كاتب خراج . قال : فما تقول اصلحك الله وقد ولّك السلطان عملا ، فبثتُ عمّالك فيه ، فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمّالك ، فأردت ان تنظر في امورهم لتنصفهم ، إذا كنت تحبّ العدل ، وتؤثر حسن الاحدوثة وكان لاحدهم بَراحٌ شَكْلُهُ (IO) .. قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب خراج . فأيهم انت ؟ قلت: كاتب جند . قال : فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما احمد، احدهما مقطوع الشفة العليا، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ قلت : أكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ، ورزق هذا الف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا فتظلم صاحب الالف ؟ فلست بكاتب جند . فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول اصلحك الله في رجل توفي وخلف زوجة وسريّة ، وكانت للزوجة بنت ، وللسريّة ابن فلما كان في تلك الليلة أخذت الحرة ابن السريّة فادّعتهُ، وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه . كيف تحكم بينهما وانت خليفة القاضى ؟ قلت : والله لست أدري . قال : فلست بكاتب قاض فأيهم انت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فما تقول اصلحك الله في رجل وثب على رجل فشجّه شجّةً مُوضِحَةً، فوثب عليه المشجّوج فشجّه شجّةً مأمومة ؟ قلتُ : لا اعلم . ثم قلت : اصلحك

(IO) البراح : هو المتسع من الارض لا شجر فيه ولا بناء وقد قطعنا الكلام هنا اذ ذكرت بعده أشكال هندسية لم نهتد الى معرفة صورها بالضبط ولا سيما ان ما جاء في مختلف النسخ لا يخلو من تصحيف وتحريف.

الله فيّتر لى ما ذكرّت ، ففعل (II) . فأحسنّت اليه واستعنتُ به فى مهّتى ،
ولما صرْتُ الى امير المؤمنين اخبرته خبره . وقلت : هذا اعلم الناس بالمسّاحة
والهندسة . فولّاه البناء والمرّمة . فكنتُ والله القاه فى الموكب النبيل
فينحطّ عن دابته فأحلف عليه فيقول : سبحان الله انما هذه نعمتك!..
العقد الفريد ج ٥ ص ١٤ كتاب «عصر المأمون ج ٣ ص ٦٦»

(II) الجواب الاول - كتاب تعزية
الثانى - الاول الاعلم والثانى الافلح
الثالث - يوزن لبن المرأتين فأيهما كان اخف فهي صاحبة البنت .
الرابع - لصاحب الشجة الموضحة ثلث الذية ولصاحب المأمومة نصف
الذية فيرد صاحب الموضحة على صاحب المأمومة .

(20) قاضى يستقبل من القضاء

كان عَمَّاقَةُ بْنُ زِيَادٍ قَاضِيًا مِنْ قَبْلِ الْمَهْدِيِّ (I) . فجاء فى بعض الايام ، وقت الظهر للمهدى وهو خالٍ ، فاستأذن عليه ، فلما دخل عليه استأذنه فيمن يسلم اليه الْقَمْطَرُ الذى فيه قضايا مجلس الحكم ، وطلب منه ان يقيله من ولايته .

فطن المهدى ان بعض الاولياء قد عارضه فى حكمه ، فسأله . فقال القاضى : لم يكن شئ من ذلك . قال : فماسبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا امير المؤمنين تقدّم لى خصمان منذ شهر فى قضية مُشْكِلَةٍ تحتاج الى تأملٍ وَتَلَبُّثٍ ، فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحوا او ان يظهر الفصل بينهما . فسمع أحدهما أنى أَحَبَّ الرُّطْبَ ، فَعَمَدَ - فى وقتنا هذا وهو اول اوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتهياً الآنَ جمعٌ مثله لامير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، وَرَشَا بَوَّابِي بِدِرَاهِمٍ عَلَى ان يُدْخِلَ الطَّبْقَ عَلَى .

فلما ادخله على- أنكرت ذلك ، وطردت بَوَّابِي وأمرت برّد الطبق فَرَدَّ . وقد تقدّم الى الخصمان فما تساويا فى عيني ولا قلبى . فهذا يا امير المؤمنين ولم أقبل . فكيف يكون حالى لو قبلتُ ؟ ولا آمن ان تقع على حيلةٍ فى ديني ، وقد فسد الناس . فأقلننى يا امير المؤمنين اقالك الله وأعفني عفا الله عنك .

العقد الفريد للملك السعيد

(I) المهدى : هو ابو عبد الله محمد بن ابى جعفر المنصور ولد سنة 126 هـ . (744 م) وبويع سنة 158 هـ . 775 م . وتوفى سنة 169 هـ 788 م

الباب الثاني

الفصل الاول

الحكومة (2)

العمال - الشرطة - المحتسبون - الحرس

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » .

(21) أبو جعفر المنصور وعماله

كان أبو جعفر المنصور (I) يقول : « ما كان أخوَجَنِي الى ان يكون على بابي اربعة نَفَرٍ ، لا يكون على بابي أَعَفُّ مِنْهُمْ » . ف قيل له : يا امير المؤمنين من هم ؟ قال : هم أركان الملك ، لا يصلح الملك الا بهم . كما أن السرير لا يصلح الا بأربعة قوائم ان نقصتْ وَاحِدَةً وَهَنَ . أما أحدهم فقاَضٍ لا تأخذه في الحق لومة لائم . والآخرُ صاحبُ شرطة يُنْصَفُ الضعيفُ من القويِّ والثالثُ صاحبُ خَراجٍ يَسْتَقْصِي ولا يَظْلِمُ الرعية ، فاني عن ظلمها غنيٌّ . والرابع : (ثم عَضَّ أَصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ يقول في كل مرة آه آه :) قيل : ومن هو يا امير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد (2) يَكْتُبُ اليّ بخبر هؤلاء على الصِّتَةِ .

تاريخ الطبري ج. 9 ص. 297 (من النظم الاسلامية)

(I) ابو جعفر المنصور : ولى الخلافة بعد اخيه ابي العباس السفاح الذي مات بالانبار سنة 136 هـ. (754 م.) ؛ هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، بنى مدينة بغداد عام 158 هـ. (775 م.)
(2) صاحب البريد هو المكلف بتبليغ الرسائل الرسمية وبتنظيم المراحل البريدية وتأمين الطرق ومراقبة العمال ، ولهذا كان الخلفاء يختارونه من أشد الناس حزمًا ويقظة

(22) المهدي ورئيس الشرطة

قال عبد الله بن مالك : كنتُ أتولَّى الشرطَ للخليفة المهدي (I) ، وكان يبعثُ إلىَّ في نُدْماء ولده الهادي أن أضربهم وأحبسهم صيانةً للهادي عنهم ، فيبعثُ الهادي يسألني الرِّفقَ بهم ، والتخفيفُ في أمرهم ، فلا التفتُ إلى ذلك ، وامضى إلى ما يأمر به المهدي . فلما ولي الهادي الخلافةَ أيقنتُ بالتَّلف . فبعثُ إلى يوما ، فحضرتُ ، ودخلتُ عليه مُتَكَفِّفًا مُتَحَنِّطًا (2) ، وإذا هو جالسٌ على الكرسي ، والنَّطْعُ والسيْفُ بين يديه . فسلمتُ عليه . فقال : لا سلم الله عليك ! أتذكر يوما بعثتُ اليك في أمر فلان لما أمر أمير المؤمنين بضربه فلم تجبني ؟ وفي فلان وفلان .. فلم تلتفتُ إلى قولي ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . أفَتَأْذُنُ لي أن أتكلَّم ؟ قال : نعم . قلت : أنشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرُّك أنَّا وَلَّيْتَنِي ما وَلَّاني أبوك ، وأمرتني بأمر ، فبعثُ إلى بعض وُلْدِكَ يأمر بخلاف أمرك ، فأتَّبعْتُ أمره وعصيتُ أمرك . قال : لا . قلت : وكذلك أنا لك وكذلك كنتُ لأبيك

فاستدَّ ناني فقبَّلتُ يده ، وأمر بخلعٍ أفيضتُ علىَّ ، وخرجتُ من عنده وصرتُ إلى منزلي مفكرًا في أمره وأمرى ، وخفتُ أن يحدثُ القومَ بالامر الذي عصيته فيه فيزيلوه عن رايه في . واني لجالسٌ وبين يديَّ خبزٌ أسخِّنه واطعمه الصَّبيَّة ، حتى توهَّمتُ أن الدنيا قد أُلِّغَتْ وزلزلت من شدَّة وقع حوافر الخيل وكثرة الضوضاء ، وإذا البابُ فتحت ، والخدم قد دخلوا ، وإمير المؤمنين في وسطهم .

فلما رأيته وثبتُ من مجلسي فقال : خفتُ يا عبدَ الله أن يسبقَ إلى قلبك سوءُ الظَّنِّ بأعدائك ، فسرْتُ إلى منزلك لاؤانسَكَ ، وأعلمك أن الوحشة قد زالت فلا تستوحش .

(العقد الفريد للملك السعيد (عن السميع المذهب ج 3 ص 62)

(I) المهدي : تقدمت ترجمته في قطعة رقم 20
(2) متكفنا متحنطا : أي لابسا الكفن ومتخذًا الحنوط (ما تحشى به جثة الميت من العقاقير لصيانته من الفساد) أي مستعدا للموت.

(23) الحجاج بن يوسف وجيش عبد الملك

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قُتَيْبَةَ (I) قَالَ : إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ كَانَ يُعَلِّمُ الصَّبِيَّانَ بِالطَّائِفِ ، وَاسْمُهُ كُتَيْبٌ ، وَأَبُوهُ يُونُسُ مُعَلِّمٌ أَيْضاً . ثُمَّ لَحِقَ بِرُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَزِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (2) ، فَكَانَ فِي عَمْدِ شَرْطَتِهِ إِلَى أَنْ شَكَا عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ انْجِلَالِ الْعَسْكَرِ ، وَإِنْ النَّاسَ لَا يَرْحَلُونَ بِرَحِيلِهِ ، وَلَا يَنْزِلُونَ بِنَزْوِلِهِ . فَقَالَ رُوحٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ فِي شَرْطَتِي رَجُلًا لَوْ قُلِّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَأَرْحَلَهُمْ بِرَحِيلِهِ وَأَنْزَلَهُمْ بِنَزْوِلِهِ ، يُقَالُ لَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ . قَالَ : إِيَّاكَ قُلِّدْنَاهُ ذَلِكَ . فَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَخَلَّفَ إِلَّا أَعْوَانَ رُوحُ بْنُ زَنْبَاعٍ . فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا ، وَقَدْ رَحَلَ النَّاسُ وَهُمْ عَلَى طَعَامٍ يَأْكُلُونَ . فَقَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَرْحَلُوا بِرَحِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالُوا لَهُ : انْزِلْ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ (3) فَكُلْ مَعَنَا . فَقَالَ : هَيْهَاتَ مَا هُنَاكَ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَجُلِدُوا بِالسَّيَاطِ ، وَطُوفَهُمْ بِالْعَسْكَرِ ، وَأَمَرَ بِفَسَاطِيطِ رُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ فَأَحْرِقَتْ بِالنَّارِ . فَدَخَلَ رُوحٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَارِكِيًا . فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ الَّذِي كَانَ فِي عَمْدِ شَرْطَتِي ضَرَبَ عَيْنَيْ ، وَأَحْرَقَ فَسَاطِيطِي . قَالَ : عَلَىَّ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ :

(I) ابن قتيبة : هو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكوفي . مؤلف عربي تولى القضاء والتدريس ومن مؤلفاته «ادب الكاتب» و«عيون الاخبار» توفي ببغداد عام 275 هـ . (889 م.)

(2) عبد الملك : هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ولي الخلافة بعد أبيه سنة 65 هـ . (685 م.) تغلب على ابن الزبير وأحمد بن الفتن التي تاجعت في زمانه ، ووطد ملك بني أمية . مات سنة 95 هـ . (715 م.)

(3) اللخناء من لخن : اتنن . ولخن الرجل : تكلم بالقبيح . واللخناء ، القبيحة المنظر القذرة الثياب والجسد .

مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا فَعَلْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
وَمَنْ فَعَلَهُ ؟ قَالَ : أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا يَدِي يَسُوكَ ، وَسَوْطِي
سَوْطُكَ ! وَمَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِفَ عَلَى رُوحِ بْنِ زُنْبَاعِ الْفَسْطَاطِ
فَسْطَاطِينَ وَالْغُلَامَ غُلَامِينَ وَلَا يُكْسِرُنِي فِيمَا قَدَّمَنِي لَهُ . فَأَخْلَفَ لِرُوحِ
مَا ذَهَبَ لَهُ . وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا عُرِفَ مِنْ كِفَايَةِ الْحَجَّاجِ .

العقد الفريد ج 2 ص. 236



(24) الحجاج (1) وصاحب شرطته

لَمَّا وَلِيَ الْحَجَّاجُ الْعِرَاقَيْنِ (2) قَالَ لِأَصْحَابِهِ : دُلُّونِي عَلَى رَجُلٍ أُولِيهِ
الشَّرْطَةُ . فَقِيلَ : أَيُّ الرِّجَالِ تُرِيدُ؟ قَالَ : أُرِيدُ دَائِمَ الْعُبُوسِ طَوِيلَ الْجُلُوسِ ،
سَمِينَ الْأَمَانَةِ (3) أَعْجَفَ الْخِيَانَةِ ، لَا يَخْنُقُ فِي الْحَقِّ ، يَهُونُ عَلَيْهِ سُؤَالُ
الْأَشْرَافِ فِي الشَّفَاعَةِ . فَقِيلَ : عَلَيْكَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبِيدِ التَّيْمِيِّ .
فَارْسَلَ إِلَيْهِ فَاسْتَعْمَلَهُ فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ أَقْبِلُهَا إِلَّا أَنْ تَكْفِينِي عُمَالِكَ ،
وَوَلَدَكَ وَحَاشِيَتَكَ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا غُلَامُ نَادِ : مَنْ طَلَبَ إِلَيَّ مِنْهُمْ حَاجَةً
فَقَدْ بَرِئْتُ ذِمَّتِي مِنْهُ . قَالَ الشَّعْبِيُّ (4) : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَطُّ صَاحِبَ شَرْطَةٍ
مِثْلَهُ . كَانَ لَا يَحْبِسُ إِلَّا فِي دَيْنٍ ، وَكَانَ إِذَا أُوتِيَ بِرَجُلٍ نَقَبَ عَلَى قَوْمٍ
وَضَعَ مَنَقَبَتَهُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَإِذَا أُوتِيَ بِرَجُلٍ نَبَاشٍ
حَفَرَ لَهُ قَبْرًا وَدَفَنَهُ فِيهِ حَيًّا ، وَإِذَا أُوتِيَ بِرَجُلٍ قَاتَلَ بِحَدِيدٍ أَوْ أَظْهَرَ
سِلَاحًا قَطَعَ يَدَهُ . فَرُبَّمَا أَقَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يُوَدِّعُ إِلَيْهِ بِأَحَدٍ . فَضَمَّ
الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ شَرْطَةَ الْبَصْرَةِ مَعَ شَرْطَةِ الْكُوفَةِ .

العقد الفريد

(1) الحجاج : تقدمت ترجمته في قطعة رقم 6 (انظر كذلك القطعة السابقة لهذه)

(2) العراقيين : البصرة والكوفة ونواحيهما .

(3) سمين الامانة : كثير الامانة لا يخون الناس ولا يغشهم

(4) الشعبي : (20 - 104 هـ) ابو عمر عامر بن شراحيل الشعبي ،

كان علامة الكوفة في زمانه انفذه عبد الملك بن مروان الى عبد

ملك الروم واستعمله عنده زمانا وكان له نفوذ عند الامراء والخلفاء

لغزارة عقله وسداد رايه .

(25) عهد نوبه محاسب

« .. قَدْ وُلِّيَ أَمْرَ هَذِهِ الرَّتْبَةِ ، وَوُكِّلَ بِعَيْنِهِ النَّظَرُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ .. وَمَا يُؤْمَرُ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، وَمَا يُشْتَرَى وَيُبَاعَ .. وَكُلَّ مَا يُعْمَلُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، .. وَلْيَعْمَلْ لَدَيْهِ مُعَدَّلاً لِكُلِّ عَمَلٍ ، .. وَيَحْذَرُ مِنَ الْغَشِّ ، فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُهُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ ، وَلْيَتَعَرَّفِ الْأَشْعَارَ ، وَلْيَسْتَعْلِمِ الْأَخْبَارَ ، فِي كُلِّ سَوْقٍ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ أَهْلُهُ وَلَا إِشْعَارٍ ، وَلْيَقُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْنَاءِ مَنْ يَنْوُبُ عَنْهُ فِي النَّظَرِ . وَدَارُ الضَّرْبِ وَالنَّقُودِ الَّتِي مِنْهَا تَنْبَثُ ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهَا مِنَ الزَّيْفِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ طَوِيلِ اللَّبَثِ ، فَلْيَتَصَدَّ لِهَمَاتِهَا بِصَدْرِهِ الَّذِي لَا يَحْرَجُ ، وَلْيَعْرِضْ مِنْهَا عَلَى الْمَحْكِّ مِنْ رَأْيِهِ كَمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ بَهْرَجُ ، وَمَا يعلق مِنْ الذَّهَبِ الْمَكْسُورِ ، وَبُرُوقُ بَصْ I) مِنَ الْفِضَّةِ وَيُخْرَجُ ، وَمَا أَكَلَتْ النَّارُ كُلَّ لِحَامِهِ أَوْ بَعْضِهِ ، فَلْيَقُمْ عَلَيْهِ مِنْ جِهَتِهِ الرُّقَبَاءُ ... وَلْيَقُمْ الضَّمَانُ عَلَى الْعِطَارِينَ وَالطَّرِيقِينَ 2) مِنْ بَيْعِ غَرَائِبِ الْعَقَاقِيرِ ، إِلَّا مِمَّنْ لَا يُسْتَرَابُ فِيهِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَبِخَطِّ مُتَطَيَّبٍ كَمَا هِرٍ لِمَرِيضٍ مُعَيَّنٍ فِي دَوَاءٍ مَوْصُوفٍ . وَالطَّرِيقَةُ وَأَهْلُ النَّجَامَةِ 3) وَسَائِرُ الطَّوَائِفِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى سَاسَانٍ 4) وَمَنْ يَأْخُذُ أَمْوَالَ الرِّجَالِ بِالْحِيلَةِ وَيَأْكُلُهُمْ بِاللِّسَانِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ سُوءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ شَيْطَانٌ لَا إِنْسَانٌ أَمْنَعُهُمْ كُلُّ الْمَنْعِ .. وَصَبَّ عَلَيْهِمُ النِّكَالُ ، وَمَنْ وَجَدْتَهُ قَدْ غَشَّ مُسْلِمًا أَوْ أَكَلَ بِبَاطِلٍ دِرْهَمًا أَوْ أَخْبَرَ مُشْتَرِيًا بِزَائِدٍ ، أَوْ خَرَجَ عَنْ مَعْهُودِ الْعَوَائِدِ أَشْهُرُهُ فِي الْبَلَدِ ، وَارْكَبَ تِلْكَ الْآلَةَ 5) قَفَاهُ حَتَّى يَضْعَفَ مِنْهُ الْجِلْدُ .. وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَكَاتِبِ وَعَالِمَاتِ النِّسَاءِ .. لَا تَدْعُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اخْتَبَرَتْ أَمَانَتَهُ وَاخْتَرَتْ صَيَانَتَهُ .»

صبح الاعشى

-
- I) روبص الفضة = اتقن صنعتها وصفهاها
 2) الطريقون = الذين يبيعون العقاقير في الطرق
 3) اهل النجامة = الذين يدعون معرفة الغيب بالنظر الى النجوم
 4) ساسان = المراد بالمنسوب اليهم الشحاذون
 5) الآلة = آلة التغذيب

(26) دار العيار

لِلْمُحْتَسِبِ النَّظَرُ فِي دَارِ الْعِيَارِ ، وَهُوَ الَّذِي يُخْلَعُ (2) عَلَيْهِ، وَيُقْرَأُ سِجْلُهُ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ . وَكَانَ لِلْعِيَارِ مَكَانٌ يُعْرَفُ بِدَارِ الْعِيَارِ، تُعَيَّرُ فِيهَا الْمَوَازِينُ بِأَسْرَهَا وَجَمِيعِ الصُّنُوجِ (3) . وَكَانَ يُنْفَقُ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ مِنَ الدِّيَّانِ السُّلْطَانِي فِيمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَصْنَافِ كَالنُّحَاسِ، وَالْحَدِيدِ ، وَالخَشَبِ وَالزَّجَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَاتِ ، وَاجِسْرِ الصَّنَاعِ وَالْمَشَارِفِينَ وَنَحْوِهِمْ . وَيَحْضُرُ الْمُحْتَسِبُ أَوْ نَائِبُهُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ لِتَعْيِيرِ الْمَعْمُولِ فِيهَا بِحُضُورِهِ . فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ أَمْضَاهُ ، وَإِلَّا أَمَرَ بِإِعَادَةِ عَمَلِهِ حَتَّى يَصِحَّ . وَكَانَ بِهَذِهِ الدَّارِ مَثَلَةٌ يُصَحِّحُ بِهَا الْعِيَارَ . فَلَا تَبَاعُ الصُّنُوجُ وَالْمَوَازِينُ وَالْأَكْيَالُ إِلَّا بِهَذِهِ الدَّارِ . وَيَحْضُرُ جَمِيعُ الْبَاعَةِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ بِاسْتِدْعَاءِ الْمُحْتَسِبِ لَهُمْ ، وَمَعَهُمْ مَوَازِينُهُمْ وَصُنُوجُهُمْ وَمَكَايِيلُهُمْ، فَتُعَيَّرُ مِنْ كُلِّ قَلِيلٍ ، فَإِنْ وَجِدَ فِيهَا النَّاقِصُ اسْتَهْلَكَ ، وَأَخَذَ مِنْ صَاحِبِهِ لِهَذِهِ الدَّارِ ، وَالزَّمَّ بِشِرَاءِ نَظِيرِهِ مِمَّا هُوَ مُحَرَّرٌ بِهَذِهِ الدَّارِ وَالْقِيَامِ بِثَمَنِهِ . ثُمَّ سَوَّمَ النَّاسُ وَصَارَ يُلْزَمُ مَنْ يَظْهَرُ فِي مِيزَانِهِ أَوْ صُنْجِهِ خَلَلٌ، بِإِصْلَاحِ مَا فِيهَا مِنْ فُسَادٍ فَقَطَّ وَالْقِيَامِ بِأَجْرَتِهِ . وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةً جَمِيعَ الدَّوَلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فَلَمَّا اسْتَوْلَى صَلَاحُ الدِّينِ (4) أَقْرَاهَا وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى سُورِ الْقَاهِرَةِ .

الخطط المقرزية ج 2 ص 342

(1) العيار : هو الذى يحقق الموازين والمكاييل من عاير المكيال. ودار العيار : محل العيارة .

(2) يخلع عليه: أى على صاحب دار العيار : يلبسه الخلعة الخاصة بأمثاله من الموظفين وكانت تقرأ سجلات هؤلاء الموظفين بالمسجد ليعرفهم الناس . ولا زالت هذه القاعدة متبعة بالمغرب .

(3) الصنوج ج. صنج : ويقصد بها هنا المئاقيل التى تجعل فى الموازين لتحقيق وزن البضائع .

(4) صلاح الدين الايوبى : هو مؤسس الدولة الايوبية بمصر والشام قاتل الصليبيين وهزمهم فى واقعة حطين الشهيرة وفتح المقدس مات سنة 564 هـ. (II69 م.) ودفن بدمشق حيث لا زال قبره معروفا ، اشتهر بالشجاعة والحلم وسداد الرأى .

(27) الحرس

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْحَسْبَةِ : « لَا يَسْمَعُ مِنْهُمْ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ مِنَ الْجِيرَانِ . وَيَقَامُ الْحَدُّ عَلَى مَنْ فَجَرَ مِنْهُمْ أَوْ شَرِبَ . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْبَحَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا يَغَيِّرُونَ الْمُنْكَرَ عَلَى زَعْمِهِمْ وَهُمْ يَفْعَلُونَهُ .. وَمَنْ أَخَذَ بِاللَّيْلِ مِمَّنْ لَا تَأْخُذُهُ تَهْمَةٌ وَلَا ظَنَّةٌ (1) شَيَّعَ إِلَى دَارِهِ . وَمَنْ أَخَذَ بِاللَّيْلِ لَا يَغَيِّرُ شَكْلَهُ ، وَلَا تَكْشَطُ ثِيَابُهُ ، حَتَّى يَوْقِفَ عِنْدَ صَاحِبِ الْمَدِينَةِ (2) بِالْهَيْئَةِ الَّتِي وَجَدَ عَلَيْهَا . فَإِنْ سَجَنَ لَا يُسَجَّنُ إِلَّا فِي فُنْدُقٍ ، وَيَكُونُ تَحْتَ ضَمَانِ السَّاكِنِينَ فِيهِ إِلَى الصَّبَاحِ . يَجِبُ أَنْ يَمْشِيَ الْحَرَسُ أَدْوَاراً كَثِيرَةً ، وَيَبْدِلُوا الطُّرُقَ فَإِنَّ السَّرَاقَ وَالذَّعْرَةَ (3) وَالطَّائِفِينَ بِاللَّيْلِ ، يَرْتَقِبُونَ مَشْيَ الْحَرَسِ ، وَيَنْطَلِقُونَ بَعْدَ ذَلِكَ لِطَلَبِ الشَّرِّ وَالْفُجُورِ . فَيَجِبُ أَنْ يُشَدَّدَ عَلَى السَّرَاقِ وَالذَّعْرَةِ فِي الْحُكْمِ وَالنَّكَالِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَإِنَّمَا غَرَضُهُمْ أَخْذُ الْأَمْوَالِ وَإِتْلَافِ الْمَهْجِ (4) ... »

كتاب الحسبة لابن عبدون

(1) ظنة من الظن: وهو الاعتقاد والراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك . والظنة التهمة - والظنان : السوء الظن . والظنين : المتهم والمعادى لسوء ظنه وسوء الظن به .

(2) صاحب المدينة : هو الباشا بالمغرب

(3) الذعرة ، ج. ذاعر : المخيف المفزع .

(4) المهج ج. مهجة : الدم او دم القلب - الروح

(28) طريفة

حَكِيَّ أَنْ بَعْضَ قُضَاةِ لُوشَةَ (I) كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَاقَتِ الْعُلَمَاءَ فِي
مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ وَالنَّوَازِلِ ، وَكَانَ يَسْتَشِيرُهَا فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ فِي مَجْلِسِهِ
مِنَ النَّوَازِلِ ، فَتُشِيرُ عَلَيْهِ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مُدَاعِباً
بِقَوْلِهِ :

بِلُوشَةَ قَاضٍ لَهُ زَوْجَةٌ وَأَحْكَامُهَا فِي الْوَرَى مَاضِيَةٌ
فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ قَاضِياً «وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ» (2)

فَاطْلَمَ زَوْجَتَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَتَبَتْ بَدِيهَةً (3) :

هُوَ شَيْخٌ سُوءٍ مُزْدَرَى لَهُ شُيُوبٌ عَاصِيَةٌ
«كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ» (4)

نفع الطيب ج 2 ص 493

(I) لوشة : قرية قرب غرناطة
(2) آية قرآنية (رقم 26 من سورة الحاقة)
(3) بديهة : ارتجالاً ومن غير تأمل طويل
(4) آية قرآنية هذه 4 من سورة العلق

الباب الثاني

الفصل الثاني

السفارات والوفود

قَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

لَقَدْ أَشْهَبَ الْمُؤَلِّفُونَ ، مِنْ مُؤَرِّخِينَ وَأَدَبَاءَ فِي وَصْفِ اسْتِقْبَالِ السُّفَرَاءِ . وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ : فَإِنَّ الْخُلَفَاءَ وَالْمُلُوكَ وَأَعَاضِمَ الدُّوَلِ ، مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَجْنَاسُهُمْ ، وَتَبَايَنَتْ أَدْيَانُهُمْ ، كَانُوا وَلَا زَالُوا يَنْتَهِزُونَ جَمِيعَ الْفُرَصِ لِتَمْهِيدِ طُرُقِ التَّوَاصُلِ وَتَوْطِيدِ دَعَائِمِ التَّعَامُلِ ، سَاعِينَ فِي إِبْرَامِ عُقُودِ التَّحَالُفِ وَتَوْثِيقِ أَوَاصِرِ التَّوَادُدِ .

وَكَانَ وَلَا زَالَ وُرُودُ السُّفَرَاءِ عَلَى الْعَوَاصِمِ سَبَبَ إِقَامَةِ الْاِحْتِفَالَاتِ وَالْمِهْرَجَانَاتِ ، وَمُنَاسَبَةِ لِإِظْهَارِ بَهْجَةِ الْمَلِكِ وَفَخَامَةِ السُّلْطَانِ ، وَتَبَادُلِ التَّحَفِ وَالنَّفَائِسِ .

هَذَا وَلَمْ تَنْفَكِ الْبِلَاطَاتُ مَقْصِدَ وُقُودِ الْقَبَائِلِ وَالْقُرَى ، مِنْ شَاكِرِينَ وَرَاغِبِينَ ، وَمُلْتَقَى مَبْعُوثِي الْأَقَالِيمِ مِنْ مَهْنَثِينَ وَمُسْتَنْجِدِينَ .

بعض المراجع

- (1) نفع الطيب وازهار الرياض للمقرئ
- (2) العقد الفريد لابن عبد ربه ج. I
- (3) اتحاف اعلام الناس لمولاي الكبير بن زيدان (في السفارات بين الملوك العلويين ورؤساء الدول الغربية)
- (4) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج I ص 150

L'Espagne Musulmane au Xe J / par L. P. pp. 48 - 49

L'Espagne vue par les voyageurs Musulmans de 1610 1930 P. H. Pères

(29) المقوقس ومبعوث رسول الله صلعم

قَالَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ : بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
 الْمُقَوَّقَسِ (I) مَلِكِ الْإِسْكِندَرِيَّةِ ، فَأَتَيْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ . وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ، فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتْبِعَهُ
 عَلَى دِينِهِ ، فَمَا يَمْنَعُهُ - إِنْ كَانَ نَبِيًّا - أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى الْبَحْرِ
 فَيُغْرِقَنِي فَيُكْتَفَى مَوَوْنَتِي وَيَأْخُذُ مُلْكِي ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذَا أَخَذَهُ
 الْيَهُودُ فَرَبَطُوهُ فِي حَبْلٍ ، وَخَلَقُوا وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ لِكْلِيلِ شُوكٍ ،
 وَحَمَلُوا خَشَبَتَهُ الَّتِي صَلَبُوهُ عَلَيْهَا عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى
 نَصَبُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ ، ثُمَّ طَعَنُوهُ حَيًّا بِحَرْبَةٍ حَتَّى مَاتَ - هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ -
 فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُنَجِّيهِ وَيَهْلِكَهُمْ فَيُكْفَى مَوَوْنَتَهُمْ ، وَيُظْهِرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ
 عَلَيْهِمْ؟ (2) وَمَا مَنَعَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا حِينَ سَأَلَتْ امْرَأَةُ الْمَلِكِ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ
 فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا حَتَّى وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهَا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
 يَنْجِيَهُ وَيَهْلِكَ النَّاسُ ؟ فَأَقْبَلَ الْمُقَوَّقَسُ عَلَى جُلْسَانِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ لَحَكِيمٌ ،
 وَمَا يَخْرُجُ الْحَكِيمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الْحُكَمَاءِ .

الامتاع والمؤانسة ص 179

(I) المقوقس : كان واليا على مصر من قبل الروم وقد ارسل الى النبي
 هدايا وجاريتين فتزوج صلى الله عليه وسلم بواحدة وهي مارية
 القبطية وزوج الاخرى لحسان بن ثابت
 (2) ظهر عليه : غلبه

(30) وفد عمر بن عبد العزيز عند ملك الروم

بَعَثَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفْدًا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فِي أَمْرِ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ إِذَا تُرْجَمَانُ يُفَسِّرُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ مُلْكِهِ ، وَالتَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَالْبَطَارِقَةُ (2) عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، وَالنَّاسُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَدَّى إِلَيْهِ التُّرْجَمَانُ مَا قَصَدُوا لَهُ . فَتَلَقَّاهُم بِجَمِيلٍ ، وَأَجَابَهُمْ بِأَحْسَنِ الْجَوَابِ ، وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَلَمَّا كَانَ فِي غَدَاةٍ غَدٍ ، أَتَاهُمْ رَسُولُهُ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ نَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَوَضَعَ التَّاجَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ صِفَاتُهُ الَّتِي شَاهَدُوهُ عَلَيْهَا ، كَأَنَّهُ فِي مُصِيبَةٍ . فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ لِمَا دَعَوْتُكُمْ ؟ قَالُوا لَا . قَالَ : إِنَّ صَاحِبَ مَصْلَحَتِي الَّتِي تَلِي الْعَرَبَ جَاءَنِي كِتَابُهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّ مَلِكَ الْعَرَبِ ، الْمَلِكَ الصَّالِحَ قَدْ مَاتَ . فَمَا مَلَكُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَبْكُوا - فَقَالَ : لَا تَبْكُوا لَهُ ، وَابْكُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا بَدَأَ لَكُمْ . فَإِنَّهُ خَرَجَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا خَلَفَ ، قَدْ كَانَ يَخَافُ أَنْ يَدَعَ طَاعَةَ اللَّهِ . فَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَ عَلَيْهِ مَخَافَةُ الدُّنْيَا وَمَخَافَةُ الْآخِرَةِ . لَقَدْ بُلَغَنِي مِنْ بَرِّهِ وَفَضِيلِهِ وَصِدْقِهِ مَا لَوْ كَانَ أَحَدٌ بَعْدَ عِيسَى يُحْيِي الْمَوْتَى لَطَنَنْتُهُ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى .. وَلَمْ أَعْجَبْ لِهَذَا الرَّاهِبِ الَّذِي تَرَكَ الدُّنْيَا ، وَعَبَدَ رَبَّهُ عَلَى رَأْسِ صَوْمَعَةٍ ، وَلَكِنِّي عَجَبْتُ مِنْ هَذَا الَّذِي صَارَتِ الدُّنْيَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَزَهَدَ فِيهَا ، حَتَّى صَارَ مِثْلَ الرَّاهِبِ . إِنَّ أَهْلَ الْخَيْرِ لَا يَبْقَوْنَ مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ إِلَّا قَلِيلًا .

مروج الذهب ج 3 ص 121

(1) عمر بن عبد العزيز : انظر ترجمته في قطعة رقم 13

(2) البطارقة ، ج بطريق : قادة الروم



السيد عبد الله بن عائشة سفير المولى اسماعيل ، سنة 1698 م.
لدى ملك فرنسا لويس الرابع عشر

(31) الخليفة عبد الرحمن الناصر ورسلك الروم

كَانَ وَصُولُ أَرْسَالِ صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، عَظِيمِ الرُّومِ قُسْطَنْطِينَ بْنِ لِيُونِ ، فِي شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ 538 . وَتَأَهَّبَ النَّاصِرُ (1) لَوُرُودِهِمْ ، وَأَمَرَ أَنْ يَلْقَوْا أَعْظَمَ تَلَقٍّ وَأَفْخَمِهِ . وَأُخْرِجَ لِلْقَائِمِ بِبِجَانَةَ (2) يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ لَيْثٌ وَغَيْرُهُ لِيَخْدُمَةَ أَسْبَابِ الطَّرِيقِ . فَلَمَّا صَارُوا بِأَقْرَبِ الْمَحَلَّاتِ مِنْ قَرْطَبَةَ ، خَرَجَ إِلَى لِقَائِهِمُ الْقَوَادِ فِي الْعَدَدِ وَالْعَدَدِ وَالتَّعَبُّةِ ، وَالْفَتَيَانِ (3) الْكَبِيرَانِ ، يَاسِرًا وَتَمَامًا .. وَأَنْزَلُوا بِمَنْيَةِ (4) وَلَى الْعَهْدِ الْحَكِيمِ .. وَمُنَعُوا وَحُمُوا مِنْ لِقَاءِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَرُتِبَ لِحَاجَاتِهِمْ رِجَالٌ تُخَيِّرُوا مِنَ الْمَوَالِي وَوُجُوهِ الْحَشَمِ .. وَرَحَلَ النَّاصِرُ ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، مِنْ قَصْرِ الزَّهْرَاءِ إِلَى قَصْرِ قَرْطَبَةَ لِدُخُولِ وَقْدِ الرُّومِ عَلَيْهِ .. فَقَعَدَ فِي بَيْتِ الْمَجْلِسِ الزَّاهِرِ قُعُودًا حَسَنًا نَبِيلًا .. وَجَلَسَ عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ بَنُوهُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْوُزَرَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَوَقَفَ الْحُجَّابُ مِنْ أَهْلِ الْخِدْمَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْوُزَرَاءِ وَالْمَوَالِي وَالْوُكَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ وَقَدْ بَسِطَ صَحْنُ الدَّارِ جَمِيعًا بِعِتَاقِ الْبُسْطِ وَكَرَائِمِ الدَّرَانِكِ (5) ، وَظَلَّلَتْ أَبْوَابُ الدَّارِ وَحَنَائِيهَا بِظُلُلِ الدِّيْبَاجِ ، وَرَفِيعِ السُّتُورِ . فَوَصَلَ رَسْلُ الرُّومِ حَائِرِينَ مِمَّا رَأَوْهُ مِنْ بَهْجَةِ الْمَلِكِ ، وَفَخَامَةِ السُّلْطَانِ . وَدَفَعُوا كِتَابَ مَلِكِهِمْ ،

(1) عبد الرحمن الناصر : هو عبد الرحمن الثالث من الدولة الاموية بالاندلس وهو الذي بنى قرب قرطبة قصر الزهراء واول من تلقب بالخليفة من امراء بني امية ولى بعد جده الامير عبد الله سنة 300 هـ. (912 م.) وتوفي سنة 961 م. فى السبعين من عمره. بلغت الدولة الاموية فى عهده ذروة المجد

(2) بجانة : قرب مرسى المرية

(3) الفتيان : مماليك من الصقالبة ، كانت تسند اليهم ، فى بلاط الخليفة ، مسؤوليات مهمة .

(4) منية . اسم القصر الذى كان يسكنه ولى العهد - وقد سميت عدة قصور بهذا الاسم -

(5) الدرانك : مفردا درنك وهو نوع من الزرابى خضراء وصفراء .

وَهُوَ فِي رِقٍّ مَصْبُوعٍ لَوْنًا سَمَاوِيًّا ، وَمَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ بِالْخَطِّ الْإِغْرِيْقِي ،
وَدَاخِلَ الْكِتَابِ مُدْرَجَةٌ مَصْبُوعَةٌ أَيْضًا مَكْتُوبَةٌ بِفِضَّةٍ ، فِيهَا وَصْفٌ هَدِيَّتِهِ
الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا وَعَدُّهَا ، وَعَلَى الْكِتَابِ طَابَعٌ ذَهَبٌ وَزْنُهُ أَرْبَعَةُ مَثَاقِيلَ ،
عَلَى الْوَجْهِ الْوَاحِدِ مِنْهُ صُورَةُ الْمَسِيحِ ، وَعَلَى الْآخِرِ صُورَةُ قُسْطَنْطِينِ وَصُورَةُ
وَلَدِهِ . وَكَانَ الْكِتَابُ بِدَاخِلِ دَرَجٍ فِضَّةٍ مَنقُوشٌ ، عَلَيْهِ غِطَاءٌ ذَهَبٌ فِيهِ
صُورَةُ قُسْطَنْطِينِ مَعْمُولَةٌ مِنْ الزَّجَاجِ الْمَلُونِ الْبَدِيعِ . وَكَانَ الدَّرَجُ دَاخِلَ
جَعْبَةٍ مُلَبَّسَةٍ بِالذَّيْبَاجِ .

وَفِي آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ ، أَعَادَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ الْقُعُودَ الثَّانِي لِرُسُلِ
مَلِكِ الرُّومِ بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ - فَاحْتَفَلَ لِذَلِكَ أَيْضًا وَاسْتَكْمَلَ لَهُ الْإِهْبَةَ ،
وَبَالَغَ فِي الزَّيْنَةِ ، وَقَعَدَ عَلَى بَابِ السِّدَّةِ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ مَعَ مَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ
مِنَ الْعُرَفَاءِ وَالشَّرَطِ وَالْحَرَسِ وَهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ . وَقَامَ مَعَ سُورِ الْقَصْرِ
سِمَاطٌ مِنَ الْمَوَالِي فِي الْمَلَابِسِ الْحَسَنِ ، وَالسِّلَاحِ الشَّاكِّ . وَأَلْزَمَ الْفُضْلَانَ
كُلَّهَا جُمْلًا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْحَشَمِ وَالْبَوَائِبِ وَغَيْرِهِمْ فِي أَكْمَلِ زِينَتِهِمْ .

ثُمَّ أَعَادَ لَهُمُ الْقُعُودَ بِالزَّهْرَاءِ وَهُوَ الْقُعُودُ الثَّلَاثُ .. وَفِي النِّصْفِ مِنْ
جُمَادَى الْأُولَى أَدْخَلَ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَجْلِسٍ خَاصٍّ .. فَلَمَّا خَرَجُوا
مِنْ عِنْدِهِ أَدْخَلُوا دِيَارَ الصِّنَاعَاتِ (6) وَالْعُدَّةَ بِأَكْنَافِ الزَّهْرَاءِ ، وَدَارَ السِّكَّةِ
وَطِيفَ بِهِمْ فِي أَرْجَائِهَا ، ثُمَّ صَرَفُوا إِلَى دَارِ نَزْوِلِهِمْ . فَاتَّصَلَ مَقَامُهُمْ بِقَرْطَبَةٍ
فِي كَرَامَةٍ مَوْضُوعَةٍ ، وَعَطَايَا مُتَوَالِيَةٍ ، إِلَى أَنْ كَمُلَتْ الْهَدِيَّةُ الَّتِي كُوفِيَءَ
بِهَا الطَّاعِيَةُ مُرْسِلُهُمْ وَأُسْلِمَتْ إِلَيْهِمْ مَعَ أَجُوبَتِهِمْ وَأُمِرُوا بِالرَّحِيلِ .

ازهار الرياض ج 2 ص 258 باقتضاب

(6) ديار الصناعات : التي تصنع بها السفن وآلات الحرب وهي اصل
الكلمة الفرنسية ارسنال

(32) رسل الروم في قصر المقدّر

أَمَرَ الْمُقْتَدِرُ (I) أَنْ يُطَافَ بِالرُّسُلِ فِي الدَّارِ .. وَفُتِحَتِ الْخَزَائِنُ ،
وَالْآلَاتُ مَرْتَبَةً كَمَا يَفْعَلُ بِخَزَائِنِ الْعُرُوسِ ، وَقَدْ عُلِقَتِ السُّتُورُ وَنُظِمَ جَوْهَرُ
الْخِلَافَةِ فِي قَلَائِيَاتٍ عَلَى دَرَجٍ غُشِّيَتْ بِالْدِّيْبَاجِ الْأَسْوَدِ . وَلَمَّا دَخَلَ الرُّسُلُ
إِلَى دَارِ الشَّجَرَةِ وَرَأَوْهَا ، كَثُرَ تَعَجُّبُهُمْ مِنْهَا . وَكَانَتْ شَجَرَةً مِنَ الْفِضَّةِ ،
وَزْنُهَا خَمْسُمِائَةِ آلْفِ دِرْهَمٍ ، عَلَيْهَا أَطْيَارٌ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْفِضَّةِ تُصَفِّرُ بِحَرَكَاتٍ
قَدْ جُعِلَتْ لَهَا .. وَكَانَ عَدَدُ مَا عُلِقَ فِي الْقُصُورِ مِنَ السُّتُورِ وَالْدِّيْبَاجِ ،
الْمَذَهَبَةِ بِالطُّرُزِ الذَّهَبِيَّةِ الْجَلِيلَةِ ، الْمَصُورَةِ بِالْجَامَاتِ وَالْفِيلَةِ وَالْخَيْلِ وَالْجَمَالِ
وَالسِّبَاعِ وَالطُّرُدِ ، وَالسُّتُورِ الْكِبَارِ الْبُضْعَانِيَّةِ وَالْأَرْمَنِيَّةِ ، وَالْوَاسِطِيَّةِ ،
وَالْبَهْنَسِيَّةِ السَّوَادِجِ ، (3) وَالْمَنْقُوشَةِ وَالْدِيْبَقِيَّةِ الْمُطَرَّزَةِ ثَمَانِيَةَ ثَلَاثِينَ
آلْفَ سِتْرٍ ..

وَأَدْخَلَ رُسُلُ صَاحِبِ الرُّومِ إِلَى الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِخَانِ الْخَيْلِ ، وَهِيَ
دَارُ أَكْثَرِهَا أَرْوَقَةٌ بِأَسَاطِينِ رُخَامٍ ، وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ خَمْسُمِائَةِ
فَرَسٍ ، عَلَيْهَا خَمْسُمِائَةِ مَرْكَبٍ ذَهَبًا وَفِضَّةً بِغَيْرِ أَغْشِيَةٍ ، وَمِنَ الْجَانِبِ
الْأَيْسَرِ خَمْسُمِائَةِ فَرَسٍ عَلَيْهَا الْجَلَالُ الدِّيْبَاجِ ، بِالْبَرَاقِعِ الطُّوَالِ . وَكُلُّ
فَرَسٍ بَيْنَ شَاكِرِيٍّ بِالْبِرَّةِ الْجَمِيلَةِ . ثُمَّ أَدْخَلُوا دَارَ الْوَحْشِ ، وَكَانَ فِيهَا
مِنْ أَصْنَافِ الْوَحْشِ الَّتِي أُخْرِجَتْ إِلَيْهِمْ قُطْعَانٌ تَقَرُّبُ مِنَ النَّاسِ وَتَتَشَبَّهُهُمْ
وَتَأْكُلُ مِنْ أَيْدِيهِمْ . ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى دَارٍ فِيهَا أَرْبَعَةُ فِيلَةٍ مُزَيَّنَةٍ بِالْدِّيْبَاجِ وَالْوَشْيِ
عَلَى كُلِّ فِيلٍ ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ مِنَ السَّنَدِ وَالزَّرَاقِينِ (4) بِالنَّارِ . فَهَالَ الرُّسُلُ

(I) المقتدر : أبو الفضل جعفر بن المعتضد العباسي ببيع سنة 295 هـ .

(908 م.) وخلق مرتين - قتل في بغداد سنة 320 هـ . (922 م.)

(2) قلايات : ج قلاية - هنا - شبه منضدة من خشب او غيره

(3) السوادج : التي لا نقش فيها .

(4) الزراقون : هم الذين يرمون النار بانبوبة او شبهها .

أَمْرَهَا ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى دَارٍ فِيهَا مِائَةُ سَبْعِ خَمْسُونَ يَمْنَةً وَخَمْسُونَ يَسْرَةً .
ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى الْجَوْسِقِ الْمُحَدَّثِ ، وَهِيَ دَارٌ بَيْنَ بَسَاتَيْنِ ، فِي وَسْطِهَا
بِرْكَةٌ رَصَاصٍ قَلْبِي ، حَوَالِيهَا نَهْرٌ رَصَاصٍ قَلْبِي أَحْسَنَ مِنَ الْفِضَّةِ الْمَجْلُوءَةِ ،
طُولُ الْبِرْكَةِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعاً فِي عِشْرِينَ ذِرَاعاً ، فِيهَا أَرْبَعُ طَيَّارَاتٍ (5) لَطَافٍ
بِمَجَالِسِ مَذْهَبَةٍ .. وَحَوَالِي هَذِهِ الْبِرْكَةِ بُسْتَانٌ بِمِثْلَيْنِ فِيهَا نَخْلٌ ، وَعَدَدُهُ
أَرْبَعُمِائَةٍ نَخْلَةٍ ، وَطُولُ كُلِّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةٌ أَذْرُعٌ ، قَدْ لَبِسَ جَمِيعُهَا سَافَاً
مَنْقُوشاً مِنْ أَصْلِهَا إِلَى حَدِّ الْجَمَارَةِ (6) بِحُلِيِّ مِنْ شَبِّهِ (7) مَذْهَبَةٍ .. وَفِي
جَانِبِ الدَّارِ ، يَمْنَةً الْبِرْكَةِ ، ثَمَائِيلُ خَمْسَةَ عَشَرَ فَارِساً عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ
فَرَساً قَدْ أَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ وَغَيْرَهُ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ مَطَارِدُ (8) عَلَى رِمَاحٍ يَدُورُونَ
عَلَى حَظٍّ وَاحِدٍ فِي النَّوَرْدِ (9) جَنْباً وَتَقْرِيباً ، فَيُظَنُّ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
إِلَى صَاحِبِهِ قَاصِدٌ ، وَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِثْلُ ذَلِكَ . ثُمَّ أُخْرِجُوا بَعْدَ أَنْ
طُفِفَ بِهِمْ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرِينَ قَصِراً ، إِلَى الصَّخْنِ التِّسْعِيْنِي وَفِيهِ الْغُلَّامَانِ الْحَجَرِيَّةُ
بِالنِّسْلَاحِ الْكَامِلِ

ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي «التَّاجِ» مِمَّا يَلِي
دِجْلَةً ، بَعْدَ أَنْ لَبِسَ بِالثِّيَابِ الدِّيْقِيَّةِ الْمَطْرُوزَةِ بِالذَّهَبِ ، عَلَى سَرِيرٍ قَدْ فَرَّشَ
بِالدِّيْقِي الْمَطْرُوزِ بِالذَّهَبِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ الطَّوِيلَةُ (10) وَمِنْ يَمْنَةِ السَّرِيرِ
تِسْعَةُ عَقُودٍ مِثْلُ السَّبَّحِ مُعَلَّقَةٌ ، وَمِنْ يَسْرَتِهِ تِسْعَةُ أُخْرَى مِنْ أَفْخَرِ الْجَوَاهِرِ
وَأَعْظَمَهَا قِيَمَةً ، غَالِبَةُ الصُّوْرِ عَلَى صَوْرِ النَّهَارِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِهِ
ثَلَاثَةٌ يَمْنَةً وَاثْنَانِ يَسْرَةً .

تاريخ الخطيب 100/I وما بعدها
عن كتاب ظهر الاسلام لاحمد امين

-
- (5) الطيارات : مراكب نهريّة للتنزه .
(6) الجمارة : هنا الموضع التي تتفرع فيه اغصان النخلة .
(7) الشبه : النحاس الاصفر .
(8) مطارد : ج. مطرد وهو الرمح القصير .
(9) الناورد : كيفية مواجهة العدو الراكب والظفر به ، وقد يطلق على
ملعب الخيل .
(10) الطويلة : قلنسوة طويلة ومزينة بالجواهر كان يضعها الخليفة على
رأسه في المواسم والاعياد .

(33) بين سيدى محمد بن عبد الله والعثمانيين

وَفِي سَنَةِ 1200 هـ. أَرْسَلَ السُّلْطَانُ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (I)، كَاتِبَهُ أَبَا الْقَاسِمِ الزِّيَانِي (2) سَفِيرًا إِلَى الْأَشْتَانَةِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لِلْسُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، مِنْ جُمْلَتِهَا أَحْمَالٌ مِنْ سَبَائِكَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ مِثْلُ بَارَاتِ الْحَدِيدِ، وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ قِنْطَارٍ مِنَ النُّحَاسِ، فَأَقَامَ هُنَاكَ مِائَةَ يَوْمٍ، فِي رِعَايَةٍ وَلِإِكْرَامٍ، إِلَى أَنْ قَضَى الْغَرَضَ فَقَابَلَ السُّلْطَانَ وَاشْتَرَى الْكُتُبَ الَّتِي أَوْصَاهُ بِشِرَائِهَا سَيِّدِي مُحَمَّدٌ... وَلَمَّا أَرَادَ الرُّجُوعَ، رَجَعَ مَعَهُ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ أَحَدَ كُتَابِهِ بِهَدِيَّةٍ وَمَكَاتِبَ، وَلَمَّا قَدِمَ عَلَى السُّلْطَانِ، وَبَلَّغَهُ مَكَاتِبَ السُّلْطَانِ عَبْدُ الْحَمِيدِ وَهَدِيَّتَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ خَبَرَ سِفَارَتِهِ، وَمَا قَالَ وَمَا قِيلَ لَهُ، وَأَنَّهُمْ أَبَدُوا لَهُ رَغْبَتَهُمْ فِي السَّلَفِ مِنَ الْمُتَرْجِمِ (3)، أَمَرَ بِتَوْجِيهِ وَجِيهِ الْإِعَانَةِ لِلدَّوْلَةِ عَلَى الْجِهَادِ وَقَدَّرَهَا سِتْمِائَةَ أَلْفِ رِيَالٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ رِيَالٍ سَبَائِكَ ذَهَبِيَّةٍ، جَعَلَهَا فِي صَنَادِيقٍ وَخَتَمَ عَلَيْهَا، وَوَجَّهَهَا عَلَى يَدِ مَلِكِ إِسْبَانِيَا، فَمَلَكَ فَرَنْسَا، وَهُوَ يُبَلِّغُهَا لِلْسُّلْطَانِ عَبْدُ الْحَمِيدِ. فَجَاءَ الْجَوَابُ بِبُلُوغِ الْمَالِ فِي سِتِّينَ يَوْمًا... وَقَدْ بَيَّنَّ الزِّيَانِيُّ سِفَارَتَهُ هَذِهِ فِي كِتَابِهِ «التَّرْجَمَانَةُ الْكُبْرَى الْجَامِعَةُ لِأَخْبَارِ الْمُعَمَّرِ بَرًّا وَبَحْرًا»

اتحاف اعلام الناس ج 3 ص 305

* في كتاب « اتحاف اعلام الناس » فوائد كثيرة عن السفارات التي كانت بين ملوك المغرب ومختلف الدول الشرقية والغربية .

(I) سيدي محمد بن عبد الله بن المولى اسماعيل، ولي ملك المغرب سنة 1171 هـ. (1757 م.) ، وتوفي سنة 1204 هـ. (1790 م.) قرب الرباط ودفن بهذه المدينة - عرف بالحزم والبر .

(2) ابو القاسم بن احمد الزيانى ولد بفاس 1147 هـ. (1734 م.) وولى الكتابة والوزارة لسيدي محمد بن عبد الله والمولى اليزيد والمولى سليمان وصنف فى التاريخ كتاب «الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب» و«البستان الظريف فى دولة مولاى على الشريف» ، مات بفاس سنة 1249 هـ.

(3) المترجم : هنا هو سيدي محمد بن عبد الله الذى يتكلم عنه المؤلف.

(34) سودة بنت عمارة عند معاوية

اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَةَ (I) بِنْتُ عِمَارَةَ بِنِ الْأَسْكِ عَلَى مُعَاوِيَةَ (2) بِنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَأَذِنَ لَهَا . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ : هِيَ يَا بِنْتُ الْأَسْكِ أَلَسْتَ الْقَائِلَةَ يَوْمَ صِفِّينَ (3) ، (كامل)

شَمِرَ كَفْعِلَ أَبِيكَ يَا ابْنَ عِمَارَةَ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْصَرَانِ
وَأَنْصُرَ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ وَأَقْصِدْ لِهِنْدٍ (4) وَأَبْنِهَا بِهَوَانٍ

قَالَتْ : أَيُّ وَاللَّهِ ! مَا مِثْلِي مَنْ رَغِبَ عَنِ الْحَقِّ أَوْ اعْتَذَرَ بِالْكَذِبِ .. قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَرَى عَلَيْكَ مِنْ أَثَرٍ عَلَى شَيْئٍ . قَالَتْ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِعَادَةَ مَا مَضَى .. لَقَدْ مَاتَ الرَّأْسُ وَبَتَرَ الذَّنْبُ (5) ، وَبِاللَّهِ أَسْأَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِعْفَائِي مِمَّا اسْتَعْفَيْتُ مِنْهُ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَمَا حَاجَتُكَ ! قَالَتْ : إِنَّكَ أَصْبَحْتَ لِلنَّاسِ سَيِّدًا ، وَأَمْرِهِمْ مُتَقَلِّدًا ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَمَا افْتَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّنَا ، وَلَا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا مِنْ يَبُوءَ بِعِزِّكَ ، وَيَبْطِشُ بِسُلْطَانِكَ ، هَذَا يُسْرِ بِنُ ارْطَاةٍ قَدِمَ عَلَيْنَا ، فَقَتَلَ رَجَالِي ، وَأَخَذَ مَالِي .. وَلَوْ لَا الطَّاعَةُ لَكَانَ فِينَا عِزٌّ وَمَنْعَةٌ . فَأَمَّا عِزْلَتُهُ عَنَّا فَشَكَرْنَاكَ وَأَمَّا لَا فَعَرَفْنَاكَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَتَهْدِدِينِي بِقَوْمِكَ ؟ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمِلَكَ عَلَى قَتَبٍ (6)

(I) سودة : كانت من النساء اللاتي حضرن واقعة صفين في صفوف الامام علي وكانت تحرص الجيوش وابن عمارة اخوها ، وقد ذكر صاحب العقد الفريد عدة من هؤلاء النساء كن وفدن فيما بعد على معاوية

(2) معاوية : تقدمت ترجمته في قطعة IO

(3) صفين : اسم المكان الذي كانت فيه آخر واقعة بين جيوش علي ومعاوية وقد ختمت بالتحكيم

(4) هند : ام معاوية .

(5) مات الرأس وبتر الذنب : كناية عن موت الزوج والاولاد .

(6) القتب : الرجل الذي يوضع على البعير ، وهنا البعير نفسه .

والاشرس : الصعب الانقياد .

نُشْرَسَ فَأَرْدَكَ إِلَيْهِ يُنْفِذُ فِيكَ حُكْمَهُ . فَأَطْرَقَتْ تَبْكِي ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :
(بسيط)

صَلَّى إِلَاهُ عَلَى جَسِمٍ تَضَمَّنْهُ قَبَّرَ فَأَصْبَحَ الْعَدْلُ فِيهِ مَدْفُونًا
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قَالَ لَهَا : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ ،
وَمَا صَنَعَ بِكَ حَتَّى صَارَ عِنْدَكَ كَذَلِكَ ؟ قَالَتْ : قَدِمْتُ عَلَيْهِ فِي رَجُلٍ وَلَاهُ
صَدَقْتَنَا (7) قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِهِ ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَ الْغَثِّ وَالسَّمِينِ (8) .
فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ السَّلَامَ لِأَشْكُو إِلَيْهِ مَا صَنَعَ بِنَا . فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا يُصَلِّي .
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي بِرَأْفَةٍ وَتَعَطُّفٍ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟
فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى وَعَلَيْهِمْ ، إِنِّي
لَمْ أَمْرَهُمْ بِظُلْمِ خَلْقِكَ ، وَلَا بِتَرْكِ حَقِّكَ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ قِطْعَةً جُلْدٍ فَكَتَبَ
فِيهَا : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ،
بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (9) . إِذَا قَرَأْتَ
كِتَابِي فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدِكَ مِنْ عَمَلِنَا حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ
وَالسَّلَامُ » . فَأَخَذَتْهُ مِنْهُ وَاللَّهُ مَا خَتَمَهُ بِطِينٍ وَلَا خَزَمَهُ (10) بِخَزَامٍ . فَقَرَأَتْهُ .
فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : لَقَدْ لَمَّظَكُمْ (II) ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْجُرْأَةَ عَلَى السُّلْطَانِ . فَبَطِئْنَا
مَا تُعَظِّمُونَ . قَالَ : اكْتُبُوا لَهَا بِرَدِّ مَالِهَا وَالْعَدْلَ عَلَيْهَا . قَالَتْ : إِلَى خَاصَّةٍ
أَمْ لِقَوْمِي عَامَّةً ؟ قَالَ : مَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ إِذَنْ الْفَحْشَاءُ وَاللُّؤْمُ !
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا شَامِلًا وَإِلَّا فَأَنَا كَسَائِرِ قَوْمِي . قَالَ : اكْتُبُوا لَهَا وَلِقَوْمِهَا .

العقد الفريد ج I ص 211

(7) ولأه صدقتنا : أمره بجمع الزكاة .

(8) الغث : المهزول ما بين الغب والسمين : ما بين القوى والضعيف .

(9) من أول الرسالة إلى بحفيظ : قرآن كريم .

(10) خزمه : شده - والخزام : ما يشد به - شجر كالدوم .

يفتل من لحائه الحبال .

(II) لمظكم : ذوقكم .

(35) فتى عربي عند هشام بن عبد الملك

قَحَطَتِ الْبَادِيَةُ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (I)، فَقَدِمَتِ الْعَرَبُ مِنْ أَحْيَاءِ الْقَبَائِلِ. فَجَلَسَ هِشَامٌ لِرُؤُسَائِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَفِيهِمْ دُرَّوَّاسُ بْنُ حَبِيبٍ (2) وَلَهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً، عَلَيْهِ شِمْلَتَانِ وَلَهُ دُؤَابَةٌ³، فَاسْتَصْغَرَهُ هِشَامُ وَقَالَ لِحَاجِيهِ : مَا شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبْيَانِ!. فَعَلِمَ دُرَّوَّاسٌ أَنَّهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يَخْلُ بِكَ شَيْئًا، وَقَدْ شَرَّفَنِي، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدِمُوا لِأَمْرٍ أَحْجَمُوا دُونَهُ، وَإِنَّ الْكَلَامَ نَشَرُّ وَالسَّكُوتُ طَيِّبٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْكَلَامُ إِلَّا بِنَشْرِهِ. فَقَالَ هِشَامُ : فَأَنْشُرُهُ لَا أَبَالِكَ (3) !! وَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ.

فَقَالَ : «أَصَابَتُنَا ثَلَاثُ سِنِينَ : فَسَنَةٌ أَذَابَتْ الشَّحْمَ ، وَسَنَةٌ أَكَلَتِ اللَّحْمَ، وَسَنَةٌ نَقَتِ الْعَظْمَ. وَفِي أَيْدِيكُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ. إِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَفَرَّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُسْتَحَقِّينَ لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَعَلَامٌ تَحْبِسُونَهَا عَنْهُمْ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَأَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ الرَّعِيَةِ كَالرُّوْحِ مِنَ الْجَسَدِ: لَا حَيَاةَ لِلْجَسَدِ إِلَّا بِهِ» .

فَقَالَ هِشَامٌ : «مَا تَرَكَ الْغَلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا» ، وَأَمَرَ أَنْ يُقَسَّمُ فِي بَادِيَتِهِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَمَرَ لِدُرَّوَّاسٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ارْجُدْهَا إِلَيَّ أَنْعِطِيهِ أَهْلَ بَادِيَتِي : فَلَمَّئِي أَكْرَهُ أَنْ يَعْجِزَ مَا أَمَرَ لَهُمْ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كِفَايَتِهِمْ ، قَالَ : فَمَا لَكَ حَاجَةٌ تَذْكُرُهَا لِنَفْسِكَ؟ قَالَ : مَا لِي حَاجَةٌ دُونَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ !!

لباب الآداب 353 - من كتاب قصص العرب ج I ص 260

- (I) هشام بن عبد الملك خليفة اموى بويع له سنة 105 هـ. (724 م.)
سكن الرصافة قرب الفرات وبها مات سنة 125 هـ. (743 م.) عرف
بالحزم والاقتصاد وفي عهده وقعت معركة بلاط الشهداء بفرنسا .
(2) درواس بن حبيب : يظهر انه لا اثر له في كتب السير .
(3) لا ابالك : عبارة تقال مدحا او شتما لمن له اب ولمن لا اب له .
(4) ثقا ينقو نقوا : العظم استخراج نقيه اى مخه .

الباب الثانى

الفصل الثالث

الوعظ والتبلى عن المنكر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ،
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

يُعْتَبَرُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ .
قَالَ تَعَالَى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ » . وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » . وَقَدْ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ لَفْظَةَ « أُمَّة » فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ
بِطَائِفَةٍ وَجَمَاعَةٍ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ
بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ
الْإِيمَانِ » .

وَلَقَدْ تَصَدَّرَ الْكَثِيرُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ لِلْمَقِيَامِ بِهَذَا الْوَاجِبِ فِي
الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبَلَّاطَاتِ . فَكَانُوا يَحْبِرُونَ الْفُصُولَ ، وَيَرْتَجِلُونَ الْخُطَبَ ،
زَاجِرِينَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ مِنْ شُرْبِ خَمْرٍ أَوْ هَتِكِ حُرْمَةٍ أَوْ إِسْرَافٍ فِي بِنَاءٍ أَوْ
جَوْرِ فِي حُكْمٍ .

وَتَعَرَّضَ جُلُومُهُمْ لِسُخْرِيَةِ الْجَهَّالِ وَالْمُبْطِلِينَ وَانْتِقَامِ الْجَبَابِرَةِ الظَّالِمِينَ .
وَإِذَا كَانَ رِجَالُ الدِّينِ يُعْرِضُونَ عَادَةً عَنِ الْإِتِّصَالِ بِالْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ ،

خَوْفًا مِنْ أَنْ يُحْمَلُوا عَلَى تَأْيِيدِ الْجَائِرِينَ أَوْ مَنْ يُعْتَبَرُ سُكُوتُهُمْ أَوْ غَفْلَتُهُمْ
تَشْجِيعًا لِلْإِثْمِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُ زَمَنٌ مِنْ عُلَمَاءَ جَابَهُوا أَرْبَابَ السُّلْطَةِ ،
غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ وَلَا هَيَّابِينَ ، لِيُزَجِّرُوهُمْ عَنِ الْحَرَمَاتِ وَيُنْبِهُوهُمْ إِلَى مَا يَقَعُ
فِي بِلَادِهِمْ مِمَّا يَضُرُّ بِكَرَامَةِ الرَّعَايَا أَوْ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ مَعَاشَهُمْ .
وَلَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي هَذَا الْبَابِ زُمَرَةً مِمَّنْ وَاجَهُوا الْأَكَابِرَ بِالْحَقِّ وَاكْتَفَيْنَا
بِذَلِكَ مُعْتَبِرِينَ أَنَّهُ مَتَى صَلَحَ الْأَصْلُ صَلَحَ الْفَرْعُ .

ل

(36) عمر بن عبد العزيز على فراش الموت

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ (I) : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (2) ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . فَجَعَلْتُ أَحَدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ كَعْبٍ مَا لَكَ تَحَدُّ النَّظَرِ إِلَيَّ ؟ قُلْتُ : لِمَا نَحِلَ مِنْ جِسْمِكَ ، وَتَغْيِيرِ مَنْ لَوْنِكَ ! قَالَ : لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ ثَلَاثَةِ فِي قَبْرِي ، وَقَدْ سَأَلْتُ حَدَقَتَيَّ (3) عَلَى وَجْنَتَيَّ ، وَابْتَدَرَفَمِي وَأَنْفِي صَدِيداً وَدُوداً ، لَكُنْتُ لِي أَشَدَّ نَكْرَةً !! أَعِدُّ عَلَى حَدِيثِي كُنْتُ حَدَّثْتَنِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (4) . قُلْتُ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا ، وَإِنَّ أَشْرَفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنْعَ رِفْدَهُ» (5) ، وَجَلَدَ عَبْدَهُ . ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَنْ لَا يُقِيلُ عَثْرَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْدِرَةً» . ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ» . إِنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ

(I) محمد بن كعب القرظي : راوية اخبارى وقاص يكنى ابا حمزة . مات

سنة 117 هـ . (835 م)

(2) عمر بن عبد العزيز : انظر ترجمته في قطعة 13 .

(3) الحدقة : سواد العين الاعظم .

(4) ابن عباس : تقدمت ترجمته رقم 3 .

(5) الرشد : العطاء والمعونة .

(6) أقال عشرته : انهضه من سقوطه وهنا عفا عنه وصفح .

قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : لَا تَتَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ
عِنْدَ الْجَهَالِ فَتُظْلِمُوهَا ، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتُظْلِمُوهُمْ ، وَلَا تُكَافِئُوا ظَالِمًا
فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ . يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ : أَمْرٌ تَبَيَّنَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ ،
وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيِّهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ فَلِلَّهِ رُدُّهُ .

البيان والتبيين ج 2 ص 31



(37) عبد الله بن مروان ⁽¹⁾ وملك النوبة

أَمَرَ الْمَنْصُورُ (2) بِإِخْرَاجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ مِنْ حَبْسِهِ، وَإِحْضَارِهِ فِي مَجْلِسِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ : « قُصْ عَلَيَّ قِصَّتَكَ وَقِصَّةَ مَلِكِ النُّوبَةِ . » قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِمْتُ إِلَى النُّوبَةِ ، فَأَقَمْتُ بِهَا ثَلَاثًا ، فَأَتَانِي مَلِكُهَا ، فَقَعَدَ عَلَيَّ الْأَرْضَ ، وَقَدْ أَعَدَّتْ لَهُ فِرَاشًا . فَقُلْتُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْقُعُودِ عَلَيَّ فِرَاشِنَا ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي مَلِكٌ ، وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا رَفَعَهُ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ : لِمَ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ ؟ فَقُلْتُ : اجْتَرَأَ عَلَى ذَلِكَ عَبِيدُنَا وَاتَّبَاعُنَا ، قَالَ : فَلِمَ تَطْثُونَ الزَّرْعَ (3) بِدَوَابِّكُمْ ؟ وَالْفَسَادُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ ؟ فَقُلْتُ : فَعَلَّ ذَلِكَ اتَّبَاعُنَا وَعَبِيدُنَا لِجَهْلِهِمْ . قَالَ : لِمَ تَلْبَسُونَ الدِّيَابَجَ وَالْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ وَدِينِكُمْ ؟ فَقُلْتُ : ذَهَبَ مِنَّا الْمَلِكُ وَأَنْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكُرْهِ مِنَّا . فَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ يَقْلِبُ يَدَهُ مَرَّةً ، وَيَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَيَقُولُ : عَبِيدُنَا وَاتَّبَاعُنَا وَأَعَاجِمُ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِي دِينِنَا !! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَرَكِبْتُمْ مَا عَنْهُ نَهَيْتُمْ ، وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ ، فَسَلَبَكُمْ اللَّهُ الْعِزَّ ، وَالْبَسَكُمْ الذِّلَّ بِذُنُوبِكُمْ . وَلِلَّهِ فِيكُمْ نَقْمَةٌ لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا فِيكُمْ . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِلَيْدِي فَيَنَالَنِي مَعَكُمْ ، وَلِنَّمَا الضِّيَافَةُ ثَلَاثَ فَتَرَوُدُ مَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ ، وَارْحَلْ عَنْ أَرْضِي . » فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ مَلِيًّا ، فَفَرَّقَ لَهُ وَهَمَّ بِإِطْلَاقِهِ ..

مروج الذهب ج 3 ص 211

(I) عبد الله بن مروان : هو أحد أبناء مروان آخر ملوك بني أمية بالشام - كان فر إلى بلاد النوبة بعد انهزام أبيه وقتله بصعيد مصر - وقد القى بنو العباس القبض على كثير من الأمويين وانصارهم وكان عبد الله من جملتهم .

(2) أبو جعفر المنصور : تقدمت ترجمته رقم 21 .

(3) تطئون الزرع بدوابكم : يشير هنا إلى خروجهم إلى الصيد .

(38) ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم !

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (I) عَلَى الْمَنْصُورِ (2) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقِفُكَ وَيَسْأَلُكَ عَنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَأَنَّ الْأُمَّةَ خُصَمَاؤُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَرْضَى عَنْكَ إِلَّا بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . أَلَا وَلَئِنْكَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ إِلَّا أَنْ يُعَدَلَ عَلَيْكَ . وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِأَنْ تَعْدَلَ عَلَى الرَّعِيَّةِ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَرَاءَ بَابِكَ يُبْرَأَانَا تَنَاجُّجُ مِنَ الْجَوْرِ . وَاللَّهِ مَا يُحْكَمُ وَرَاءَ بَابِكَ (3) بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَا بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

فَبَكَى الْمَنْصُورُ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ ، وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ الْمَنْصُورِ : يَا عَمْرُو قَدْ شَقَقْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَخُوكَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ. قَالَ عَمْرُو : وَيْلَكَ يَا سُلَيْمَانَ . إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَمُوتُ ، وَأَنْ كُلَّ مَا تَرَاهُ يُفْقَدُ ، وَلَئِنْكَ حِيْفَةُ عَذَابِ الْفَنَاءِ ، لَا يَنْفَعُكَ إِلَّا عَمَلٌ صَالِحٌ قَدَّمْتَهُ ، وَلَقَرُبَ هَذَا الْجِدَارِ أَنْفَعُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرْبِكَ ، إِذْ تَطْوِي عَلَى النَّصِيحَةِ ، وَتَنْتَهِي مَنْ يَنْصَحُهُ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ اتَّخَذُواكَ سُلْمًا إِلَى شَهَوَاتِهِمْ ! قَالَ الْمَنْصُورُ : أَصْنَعُ مَاذَا ؟ ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ أَوَّلَهُمْ . قَالَ : ادْعُهُمْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ تُعِدُّهُ . وَمُرْ بِهَذَا الْخِنَاقَ فَلْيُرْفَعْ عَنْ أَعْنَاقِ النَّاسِ ، وَاسْتَعْمِلْ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ عَمَلًا كَلَّمَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ رَيْبٌ أَوْ أَنْكَرْتَ عَلَى رَجُلٍ عَزَلْتَهُ وَوَلَّيْتَ غَيْرَهُ . فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا الْعَدْلَ لَيَتَقَرَّبَنَّ بِهِ إِلَيْكَ مَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ فِيهِ .

من كتاب المحاسن والمساوى للبيهقي

(I) عمرو بن عبيد البصري العابد الزاهد المعتزلي ، مات بطريق مكة سنة 142 هـ .

(2) المنصور : تقدمت ترجمته رقم 21

(3) وراء بابك : خارج قصرك وفي بلادك .

(39) القاضي المنذر بن سعيد عند الناصر

اتَّخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ (I) لِسَطْحِ الْقُبَيْبَةِ ، الْمَصْفَرَّةَ الْأَسْمَ
لِخُصُوصِيَّةِ ، الَّتِي كَانَتْ مَائِلَةً عَلَى الصَّرْحِ الْمُزْدِ الْمَشْهُورِ ، شَأْنُهُ يَقْصُرُ
الرَّهْرَاءَ ، قَرَامِيدَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، أَنْفَقَ عَلَيْهَا مَالًا جَسِيمًا ، وَقَرَّمَدَ سَقْفَهَا
بِهِ ، وَجَعَلَ سَقْفَهَا صَفْرَاءَ فَاقِعَةً إِلَى بَيْضَاءَ نَاصِعَةٍ تَسْتَلِبُ الْأَبْصَارَ بِأَشْعَةٍ
نُورِهَا . وَجَلَسَ فِيهَا ، آخِرَ تَمَامِهَا ، يَوْمًا لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَقَالَ لِقَرَابَتِهِ
وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَأَهْلِ الْخِدْمَةِ ، مُفْتَخِرًا عَلَيْهِمْ بِمَا صَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ،
مَعَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ الْبِدَائِعِ الْفَتَانَةِ : «هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ مَلِكًا قَبْلِي فَعَلَ
هَذَا أَوْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّكَ لِأَوْحَدٍ فِي شَأْنِكَ
كُلِّهِ ، وَمَا سَبَقَ إِلَى مُبْتَدِعَاتِكَ هَذِهِ مَلِكٌ رَأَيْنَاهُ ، وَلَا انْتَهَى إِلَيْنَا خَبْرُهُ .
فَأَبْهَجَهُ قَوْلُهُمْ وَأَسْرَهُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي الْمُنْذِرُ بْنُ
سَعِيدِ الْبُلُوطِيِّ (2) نَاكِسَ الرَّأْسِ . فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ ، قَالَ لَهُ كَالَّذِي قَالَ
لِوُزَرَائِهِ . فَأَقْبَلَتْ دُمُوعُ الْقَاضِي تَتَحَدَّرُ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ ، لَعْنَهُ اللَّهُ ، يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ ،
مَعَ مَا أَتَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، حَتَّى يُنْزِلَكَ مَنَزَلَةَ الْكَافِرِينَ . فَأَنْفَعَلَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ ! وَكَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَزَلَتَهُمْ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : «وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا
لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ ، لَبُيُوتَهُمْ سَقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» ؟
فَوَجَّهَ الْخَلِيفَةُ ، وَأَطْرَقَ مِلْيًا ، وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ خُشُوعًا لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ
أَقْبَلَ عَلَى الْمُنْذِرِ وَقَالَ لَهُ : جَاذَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَاضِي عَنَّا وَعَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا
وَعَنْ الدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجَلَ جَزَائِهِ . وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَمَرَ بِنَقْضِ سَقْفِ الْقُبَيْبَةِ ، وَأَعَادَ قَرَامِيدَهَا تَرَابًا كَغَيْرِهَا .

نفع الطيب ج I ص 268

(I) الناصر : تقدمت ترجمته قطعة رقم 31

(2) المنذر بن سعيد البلوطي : كان قاضي الجماعة بقرطبة من سنة 339 هـ . الى سنة 355 هـ . كان متفنا في ضروب العلم نزيها ورعا .

(40) وزير يعظ ملكا

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ يُونُسَ الْقِفْطِيُّ (I) الْأَكْرَمُ، أَدَامَ اللَّهُ تَمَكِينَهُ، قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ 15 ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ 618 إِلَى طَاهِرَ مَدِينَةِ حَلَبَ، عَلَى سَبِيلِ التَّسْيِيرِ، فَرَأَيْتُ عَلَى جَانِبِ قُوفٍ (2) عِدَّةَ مَشَايِخَ بِيضِ اللَّحَى، وَقَدْ سَكَّرُوا مِنْ شَرْبِ الْخَمْرِ، وَهُمْ عُرَاةٌ يَصْفِقُونَ وَيَرْقُصُونَ عَلَى صُورَةٍ مُنْكَرَةٍ بِشَعَةٍ، فَاسْتَعَذْتُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَرَجَعْتُ مَغْمُومًا وَبِتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ وَرَكِبْتُ لِلْمَطْلُوعِ إِلَى الْقَلْعَةِ، اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ صَعْلُوكٌ، فَقَالَ: «انْظُرْ فِي حَالِي، نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ يَوْمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُتَّقُونَ». فَقُلْتُ لَهُ: «مَا خَبْرُكَ؟» قَالَ: «أَنَا رَجُلٌ صَعْلُوكٌ، وَكَانَ لِي دَابَّةٌ اسْتَرْزَقُ عَلَيْهَا لِمَعَالِلَةِ، فَاتَّهَمَنِي الْوَالِي بِالْخِيُولِ بِسَرِقَةِ الْمِلْحِ، فَأَخَذَ دَابَّتِي، ثُمَّ طَالَبَنِي بِجَبَايَةِ. فَقُلْتُ: خُذْ الدَّابَّةَ. فَقَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا وَأُرِيدُ جَبَايَةَ. أُخْرَى فَقُلْتُ لَهُ: «أَبَشِّرْ بِمَا يَسُرُّكَ». وَطَلَعْتُ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَتَابُكَ طَغْرُلُ الظَّاهِرِيُّ، (3) وَقُلْتُ: «رَوَى عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مُبَاحَةٌ لِلنَّاسِ مُشْتَرِكُونَ فِيهَا: الْكَلَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمِلْحُ، ٤ وَقَدْ جَرَى كَيْتٌ وَكَيْتٌ.. وَلَا يَلِيقُ بِمِثْلِكَ - وَأَنْتَ

(I) القفطي: هو صاحب كتاب أخبار العلماء (انظر ترجمته في آخر الكتاب)

(2) قويف: نهر صغير قرب حلب.

(3) اتابك طغرل الظاهري: اتا معناها اب، وبك: أمير. وقد كان يسمى بهذا الاسم الموالي الأتراك الذين كانوا يربون أمراء بني العباس في عهد الانحلال السياسي (القرن الحادي عشر المسيحي)، ومنهم من صاروا قادة للجيش وولاة وأسسوا دولا صغيرة أبان الحروب الصليبية، وطغرل الظاهري أحدهم، وينسب إلى الظاهر غياث الدين غازي (582 هـ. 1186 م.).

عَامَّةً وَفَتِكَ جَالِسٌ ، عَلَى مُصَلَّاكَ ، مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ ، وَالسُّبْحَةِ فِي يَدِكَ ،
 إِنْ تَكُونُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي بَلَدِكَ » فَقَالَ : « أَكْتُبِ السَّاعَةَ إِلَى جَمِيعِ النَّوَاحِي
 بِرَفْعِ الْجَبَايَاتِ ، وَمَخَوِ اسْمِهَا أَصْلًا - وَامْرِ الْوَلَاةِ أَنْ يَعْمَلُوا بِكِتَابِ اللَّهِ
 وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَدٌّ مِنَ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ يُقَامُ فِيهِ عَلَى الْفَوْرِ ،
 وَلَا يَلْتَمِسُ مِنْهُ شَيْءٌ آخَرَ . وَامْرِ السَّاعَةَ بِإِرَاقَةِ كُلِّ خَمْرٍ فِي الدِّينَةِ . وَاكْتُبِ
 إِلَى جَمِيعِ النَّوَاحِي الَّتِي تَحْتَ حُكْمِي بِمِثْلِ ذَلِكَ وَأَوْعِدْ مَنْ يُخَالِفُ ذَلِكَ عُقُوبَتَنَا
 فِي الدُّنْيَا عَاجِلًا ، وَعُقُوبَةُ الْخَالِقِ فِي الْآخِرَةِ أَجَلًا » فَخَرَجْتُ وَجَلَسْتُ فِي
 الدِّيَّانِ وَكَتَبْتُ بِيَدِي وَلَمْ أَسْتَعِنْ بِأَحَدٍ .

معجم الادباء ج 15 ص 195

(41) السجاعة الادبية

لَمَّا خَرَجَ الظَّاهِرُ «بِبرس» (I) إِلَى قِتَالِ التَّتَارِ بِالشَّامِ، أَخَذَ فِتَاوَى الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ أَخْذُ مَالٍ مِنَ الرِّعْيَةِ لِيَسْتَنْصِرَ بِهِ عَلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ . فَكَتَبَ لَهُ فَقَهَاءُ الشَّامِ بِذَلِكَ . فَقَالَ : هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ ؟ فَقِيلَ : نَعَمْ، بَقِيَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِي (2)، فَطَلَبَهُ فَحَضَرَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : «أَكْتُبْ أَنَّكَ كُنْتَ فِي الرِّقِّ لِلْأَمِيرِ «بَنْدَ قَدَارٍ» وَلَيْسَ لَكَ مَالٌ، ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَجَعَلَكَ مَلِكًا ! وَسَمِعْتُ أَنَّ عِنْدَكَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ، كُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حِيَاصَةٌ (3) مِنْ الذَّهَبِ، وَعِنْدَكَ مَائَتَا جَارِيَةٍ، لِكُلِّ جَارِيَةٍ حُقٌّ مِنَ الْحَلِيِّ ! فَلِذَا أَنْفَقْتَ كُلَّ ذَلِكَ، وَبَقِيَتْ مَمَالِيكَ بِالْبُنُودِ (4) الصُّوفِ بَدَلًا مِنَ الْحَوَائِصِ وَبَقِيَتْ الْجَوَارِي بِثِيَابِهِنَّ دُونَ الْحَلِيِّ، أَفَتَيْتُكَ بِأَخْذِ الْمَالِ مِنَ الرِّعْيَةِ» . فَغَضِبَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِهِ، وَقَالَ : أَخْرُجْ مِنْ بَلَدِي ! (يَعْنِي دِمَشْقَ) . فَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ! وَخَرَجَ إِلَى «نَوَا» . فَقَالَ الْفُقَهَاءُ : إِنَّ هَذَا مِنْ كِبَارِ عُلَمَائِنَا وَصُلَحَائِنَا، وَمِمَّنْ يُفْتَدَى بِهِ، فَأَعَدُّهُ إِلَى دِمَشْقَ، فَرَسَمَ بِرُجُوعِهِ، فَأَمْتَنَعَ الشَّيْخُ وَقَالَ : «لَا أَدْخُلُهَا وَالظَّاهِرُ بِهَا!» فَمَاتَ الظَّاهِرُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ .

من كتاب اخلاق العلماء ص 179

(I) الظاهر بيبرس : احد مؤسسى دولة المماليك بمصر وهو الذى انقذ الخليفة العباسى المستنصر بالله بعد ان خرب المغول بغداد، ثم جعل مركز الخلافة العباسية بمصر، قاتل المغول والصليبيين، مات سنة 675 هـ. (I277 م.) .

(2) محيى الدين ابو زكرياء، يحيى النووى : هو صاحب كتب كثيرة فى الفقه الشافعى وله كتاب الاربعين (فى الاحاديث)، كانت وفاته سنة 676 هـ. (I278 م.) فى مسقط راسه نوا قرب دمشق

(3) حياصة : حزام .

(4) بنود : حبال مفردها بند .

الباب الثاني

الفصل الرابع

الهروب

قَالَ تَعَالَى ؛ « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ؛ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ . اللَّهُ
يَعْلَمُهُمْ . وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ »

يَشْهَدُ مَا نَعْرِفُهُ مِنْ تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنَّ الْحُرُوبَ ضَرُورَةً ، وَقَدْ قَدَّرَ
الْإِسْلَامُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ بِقَدَرِهَا فَحَصَرَهَا فِي دَائِرَةٍ ضَيِّقَةٍ مِنَ الشَّرُوطِ
وَالْقِيُودِ . (اِقْرَأْ وَصِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ لِلْجَيْشِ) .

وَالْجِهَادُ بِحَسَبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبِحَسَبِ رُوحِ الدِّيَانَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَيْسَ
مَعْنَاهُ قَتْلُ الْمُخَالِفِينَ فِي الدِّينِ بِدُونِ شَرْطٍ وَلَا رَحْمَةٍ ، كَمَا يَفْهَمُهُ الْكَثِيرُ
مِنَ النَّاسِ .

قَبْلَ الْإِسْلَامِ كَانَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ تَتَطَاحَنُ لِاتِّفَاقِ الْأَسْبَابِ ، وَكَانَ يَتَنَازَعُ
سَيَادَةِ الْعَالَمِ دَوْلَتَانِ عَظِيمَتَانِ : «الرُّومُ وَالْفُرْسُ» .

أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْجِهَادِ لِلدِّفَاعِ عَنِ الْعَقِيدَةِ سَائِرًا وَالْمُبْدَأِ السَّامِي :
« لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ » ، فَوَجَدَ فِي الْعَرَبِ الَّذِينَ أَلْفَوْا النِّضَالَ ، وَمَارَسُوا
الْقِتَالَ ، أَبْطَالًا قَدْ زَادَهُمُ الْإِيمَانُ رَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ ، فَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ فَنُونَ
الْحَرْبِ عَنِ الدُّوَلِ الَّتِي قَاتَلُوهَا ، وَعَمَّنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْتَلَفِي الْأَجْنَاسِ ،
وَتَمَّ اسْتِعْدَادُهُمْ فِي بَضْعِ سِنِينَ ، فَأَنْشَتُوا دِيَوَانَ الْجُنْدِ ، وَأَقَامُوا الْحُصُونِ
وَالْمَعْسَكَرَاتِ وَتَجَهَّزُوا بِالْأَلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ الْكَامِلَةِ وَنَظَّمُوا اللَّقَاءَ وَاتَّخَذُوا
دُورًا لِصِنَاعَةِ السُّفُنِ وَرَكِبُوا الْبَحْرَ .

وَكَانَتْ الشُّعُوبُ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ لَا تُقَاوِمُهُمْ مُقَاوِمَةً عَنِيفَةً ، لِأَنَّ
الْاِخْتِلَافَاتِ الدِّينِيَّةِ ، وَظُلْمِ الْحُكَّامِ الْمَسْطَرِينَ عَلَيْهِمْ ، كَانَتْ قَدْ أَرْهَقَتْهُمْ

وَقَوَّضَتْ دَعَائِمَهُمْ، فَلَمْ تَمَرَّ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ مِنْ آسِيَا الشَّرْقِيَّةِ إِلَى جَنُوبِ فَرَنْسَا، وَسَادَتْ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ رُوحَ التَّسَامُحِ وَالْعَدْلِ، فَاسْتَأْنَفَتْ سَيْرَهَا فِي طَرِيقِ الرُّقْيِ وَالْحَضَارَةِ .

بعض المراجع :

- (1) حضارة العرب : لكسطف ليون (الفصل الثالث) .
- (2) تاريخ التمدن الاسلامي : لجرجي زيدان ج .
- (3) السياسة البشرية : لعبد الوهاب خلاف .
- (4) النظم الاسلامية : للدكتور حسن ابراهيم حسن (الجيش) .
- (5) تقاليد الفروسية عند العرب : وضعه بالفرنسية الاستاذ واصف بطرس غالى وعربه الدكتور أنور لوقا .
- (6) الفتوة عند العرب : تأليف عمر الدسوقي .



(42) وصية ابي بكر لفائز الجيش

لَمَّا وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (I) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ (2) لِفَتْحِ الشَّامِ، وَصَّاهُ فَقَالَ: «قَدْ وَلَّيْتُكَ لِابْنِكَ وَأَجْرَبَكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ. فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الَّذِي يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ.. وَإِذَا أَقْدَمْتَ عَلَى جُنْدِكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وَابْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ. وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ: فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا. وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يُصْلِحْ لَكَ النَّاسُ. وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لَأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا. وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ، وَأَقِلْ لِبَنَتِهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ تَجَاهِلُونَ بِهِ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ (3). وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلَّى لِكَلَامِهِمْ.. وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْطَقِ الْحَدِيثَ تَصَدَّقْ لَكَ الْمَشُورَةُ.. وَاسْتَمِرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ.. وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ، وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ، وَأَكْثِرْ مَفَاجَأَتَهُمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحَارِسِهِ فَأَحْسِنْ آدَبَهُ وَعَاقِبَهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ. وَأَعَقِبْ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ، وَاجْعَلِ النُّوبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ: فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ.. وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ. وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ. وَلَا تَكْشِفْ النَّاسَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، وَاکْتَفِ بِعَلَائِيَّتِهِمْ. وَلَا تُجَالِسِ الْعَبَّائِينَ، وَجَالِسِ

- (I) ابو بكر الصديق : (انظر ترجمته في قطعة I2).
 (2) يزيد بن ابي سفيان : هو اخو معاوية توفى بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ. ولم يترك اولادا.
 (3) انزلهم في ثروة عسكرك : اى وسط احسن عسكرك لباسا واطهرهم نعمًا.
 (4) العباثون من عبث لعب وهزل : هم الذين يملأون اوقاتهم باللعب واللهو.

أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَاصْدُقِ اللَّقَاءَ (5) وَلَا تَجِبْنِ فَيَجِبَنَّ النَّاسُ، وَاجْتَنِبِ
الْخِيَانَةَ : فَإِنَّهَا تُقَرِّبُ الْفَقْرَ وَتَدْفَعُ النَّصْرَ . وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا (6) حَبَسُوا
أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعَهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ «

عن ابن الاثير

-
- (5) اصدق اللقاء : اى كن شجاعا مقداما فى ملاقة الاعداء .
(6) اقواما : يشير هنا الى الرهبان الذين يسكنون الاديرة وكان
المسلمون لا يتعرضون لهم .



(43) وصية ابي بكر رضى الله عنه للجيش

لَمَّا اشْتَخَصَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ابْنِ حَارِثَةَ (I)، شَيَّعَهُ مَاشِيًا، وَأَسَامَةُ زَاكِبًا؛ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ (2) يَقُودُ دَابَّةَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرِ فَاخْفَظُوهَا عَنِّي: لَا تَخُونُوا، وَلَا تَغْلُوا (3)، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا (4)، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَعْقُرُوا نَخْلًا وَلَا تَحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُشْمِرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَا كَلَلْتُمْ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصُّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ. وَسَوْفَ تَقْدَمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنِيَّةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا. وَتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ (5) رُؤُوسِهِمْ، وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفَقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفَقًا (6). ائْتَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ».

(عَنِ الطَّبَرِيِّ) - «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» لِلشَّيْخِ عَلِيِّ الطَّنْطَاوِيِّ ص 183

(I) أسامة : هو ابن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انفذه ابو بكر الى الشام ثم استخلفه على المدينة وبها توفي سنة 54 هـ. (675 م.).

(2) عبد الرحمن بن عوف : هو ابو محمد القرشي الصاحبى . كان من المهاجرين الاولين وحضر اكثر الغزوات مع النبى صلى الله عليه وسلم مات سنة 32 هـ. (653 م.). وهو ابن 72 سنة .

(3) غل يغل غلولا : خان. وغل (يغل غلا وغليلا) صدره : كان ذا حقد وغش

(4) مثل به ومثل : نكل به وعذبه ليحذر غيره ويجعله عبرة له .

(5) اقواما قد فحصوا اوساط رؤوسهم : هم طائفة من رجال الدين المسيحيين. وحلق وسط الراس علامة على أنهم انخرطوا فى سلك الرهبان .

(6) خفقهم بالسيف : ضربهم به ضربا خفيفا .

(44) المطالبة قبل انتساب الحرب

كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (I) إِلَى رُسْتَمَ (2) صَاحِبِ الْأَعَاجِمِ :
«إِسْلَامُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِكُمْ ، وَقِتَالُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَلَاحِكُمْ» ، فَبَعَثَ
إِلَيْهِ رُسْتَمَ : «أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ ، إِذَا نَظَرَ الْعَسَلُ ، قَالَ : مَنْ يُوَصِّلُنِي إِلَيْهِ
يَذَرُهُمَيْنِ ؟ فَإِذَا نَشَبَ فِيهِ ، قَالَ : مَنْ يَخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ؟ وَأَنْتَ طَامِعٌ
وَالطَّمَعُ سَيُزِيدُكَ» . فَأَجَابَهُ سَعْدُ : «أَنْتُمْ قَوْمٌ تُحَادُّونَ (3) اللَّهَ ، وَتُعَادُونَ
أَنْفُسَكُمْ ، لَأَنْكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُحَوِّلَ الْمُلْكَ مِنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ،
وَقَدْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ عُلَمَاؤُكُمْ وَحُكَمَاؤُكُمْ ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ ، وَأَنْتُمْ دَائِمًا
تُدْفَعُونَ الْقَضَاءَ بِنُحُورِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ
وَجَهْلٌ فِيكُمْ . وَلَوْ نَظَرْتُمْ لِأَبْصُرْتُمْ ، وَلَوْ أَبْصُرْتُمْ لَسَلَّمْتُمْ . فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ . وَلَمَا كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ ، كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ (4) ، وَالْآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ
مَعَنَا ، صَارَتْ رِيحُنَا عَلَيْكُمْ ، فَأَنْجُوا بِأَنْفُسِكُمْ ، وَاعْتَنِمُوا أَرْوَاحَكُمْ ، وَإِلَّا
فَاصْبِرُوا لِمِرِّ السِّلَاحِ ، وَآلِمِ الْجِرَاحِ ، وَخَزَى الْإِفْتِضَاحِ وَالسَّلَامِ» .

الامتناع والموانسة ج 3 ص 102

(I) سعد بن أبي وقاص : صحابي جليل من المهاجرين الأولين، أرسله
عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى بلاد فارس، وهو الذى فتح
المدائن وبنى الكوفة. توفى بالمدينة سنة 55 هـ. (676 م.).

(2) رستم : من مشاهير قواد العجم - لقي العرب فى شهر محرم سنة
16 هـ. قرب القادسية فقتل وانهزم جيشه .

(3) تحادون الله : تعادون وتغاضبون الله .

(4) كانت علينا ريحكم : غلبتمونا .

(45) فناء في ساحة الرغى

خَوْلةُ بِنْتُ الْأَزْوَ

حَدَّثَ الْوَاقِدِيُّ (I) قَالَ : لَمَّا أُسِرَ ضَرَّارُ بْنُ الْأَزْوَ (2) فِي وَقْعَةِ
أَجْنَادِينَ (3) سَارَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي طَلِيعَةٍ (4) مِنْ جُنْدِهِ لِاسْتِنْقَاذِهِ .
فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ ، إِذْ مَرَّ بِهِ فَارِسٌ مُعْتَقِلٌ رُمَحَهُ لَا يَبِينُ مِنْهُ إِلَّا الْحَنْقُ ،
وَهُوَ يَقْدِفُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَلْوِي عَلَى مَا وَرَاءَهُ . فَلَمَّا نَظَرَهُ خَالِدٌ قَالَ : لَيْتَ شِعْرِي
(5) مِنْ هَذَا الْفَارِسِ ؟ وَأَيُّمَ اللَّهِ إِنَّهُ لَفَارِسٌ ! ثُمَّ أَتْبَعَهُ خَالِدٌ (6) وَالنَّاسُ
مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى أَدْرَكَ جُنْدَ الرُّومِ . فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْعَنَ فِي صُفُوفِهِمْ ، وَصَاحَ
فِي جَوَانِبِهِمْ ، حَتَّى زَعَزَعَ كَتَائِبَهُمْ (7) ، وَحَطَّمَ مَوَاقِبَهُمْ ، فَلَمْ تَكُنْ غَيْرُ جَوْلَةٍ
جَائِلٍ ، حَتَّى خَرَجَ وَسِنَانُهُ مُلَطَّحٌ بِالْدِّمَاءِ ، وَقَدْ قَتَلَ رِجَالًا وَجَنَدًا أَبْطَالًا .

-
- (I) الواقدي : ابو عبد الله محمد الواقدي المدني - كان اماما عالميا
مصنفا - ولي القضاء ببغداد وكان المامون يكرم جانبه - له كتاب
الردة ، وكتاب فتوح الشام - توفي سنة 207 هـ . (823 م .)
- (2) ضرار بن الازور الكندي : قتل ابوه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم دفاعا عنه وهو من القادة الذين لا يغنى غنائهم احد .
- (3) اجنادين : مكان قرب بيت المقدس - كانت الواقعة المعروفة بواقعة
اليرموك التي انهزم فيها الروم في شهر جمادى سنة 13 هـ . (634 م .)
- (4) طليعة ، (ج طلائع) الجيش مقدمته : من يبعث قدامه ليطلع على احوال
العدو .
- (5) ليت شعري : ليتنى شعرت اى علمت من هذا الفارس .
- (6) خالد بن الوليد: لقبه النبي (صلعم) «سيف الله» لشجاعته .
شهد فتح خيبر ومكة، وحارب مسيلمة الكذاب وله الآثار المشهورة
في قتال الفرس بالعراق والروم بالشام . توفي بحمص في خلافة
عمر سنة 21 هـ . (643 م .)
- (7) كتائب ج كتيبة : القطعة من الجيش او الجماعة من الفرسان .

ثُمَّ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ ثَانِيَةً ، فَاخْتَرَقَ صُفُوفَ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ . وَخَامَرَ
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْقَلَقِ وَالْإِشْفَاقِ (8) عَلَيْهِ شَيْءٌ كَبِيرٌ . وَظَنَّهُ أَنَاثُ خَالِدًا ؛
 حَتَّى إِذَا قَدِمَ خَالِدٌ قَالَ لَهُ رَافِعُ بْنُ عَمِيرَةَ : «مَنِ الْفَارِسِ الَّذِي تَقْدَمُ أَمَامَكَ ؟
 فَلَقَدْ بَدَّلَ نَفْسَهُ وَمَهْجَتَهُ» . فَقَالَ خَالِدٌ : «وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَدُّ إِنْكَارًا وَإِعْجَابًا
 لِمَا ظَهَرَ مِنْ خِلَالِهِ وَشَمَائِلِهِ» . وَبَيْنَمَا الْقَوْمُ فِي حَدِيثِهِمْ ، خَرَجَ الْفَارِسُ كَأَنَّهُ
 السَّهَابُ النَّاقِبُ ، وَالْخَيْلُ تَعْدُو فِي أَثَرِهِ ، وَكُلُّهَا اقْتَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، أَلْوَى
 عَلَيْهِ فَأَنْهَلَ رُمَحَهُ فِي صَدْرِهِ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَخَاطُوا بِهِ ، وَنَاشَدُوهُ
 كَشَفَ اسْمِهِ وَرَفَعَ لِسَامِهِ ، وَنَاشَدَهُ ذَلِكَ خَالِدٌ وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ وَقَائِدُهُمْ .
 فَلَمَّا أَكْثَرَ خَالِدٌ أَجَابَهُ وَهُوَ مُلْتِمٌ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي لَمْ أُعْرِضْ عَنْكَ
 إِلَّا حَيَاءً مِنْكَ ، لَأَنْتَ أَمِيرٌ جَلِيلٌ ، وَأَنَا مِنْ ذَوَاتِ الْخُدُورِ (9) وَبَنَاتِ السُّتُورِ .
 وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ أَنِّي مُحْرَقَةُ الْكَبِدِ ، زَائِدَةُ الْكَمَدِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : مَنْ
 أَنْتِ ؟ قَالَتْ : «أَنَا خَوْلَةُ بِنْتُ الْأَزْوَارِ ، كُنْتُ مَعَ نِسَاءِ قَوْمِي ، فَأَتَانِي آتٍ بِأَنَّ
 أَخِي أُسِيرٌ ، فَرَكِبْتُ وَفَعَلْتُ مَا رَأَيْتُ ، ... وَلَمْ تَزَلْ عَلَى جِهَادِهَا حَتَّى اسْتَنْفَذَ
 لَهَا أَخُوهَا .

من كتاب المرأة العربية

لعبد الله عفيفي

(8) الاشفاق : الخوف والحذر .

(9) خدور : ج. خدر : ستر يمد للجارية في ناحية البيت - والمحل الذي
 يفرد لها من المسكن - وذوات الخدور : هن النساء .

(46) مبارزة بين بطلين

لَمَّا كَانَ هَارُونُ الرَّشِيدِ (١) مُحَاصِرًا لِأَحَدِ حُصُونِ الرُّومِ، خَرَجَ بَطْلٌ نَصْرَانِيٌّ وَنَادَى لِلْبَرَّازِ (٢) مُدْعِيًا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مُقَاتَلَةِ عِشْرِينَ فَارِسًا. فَأَحْضَرَ الْخَلِيفَةُ رَجُلًا يَعْرِفُ بِابْنِ الْجُرْزِيِّ، مَشْهُورًا فِي الثُّغُورِ (٣) مَوْصُوفًا بِالنُّجْدَةِ (٤)، فَقَالَ لَهُ: أَتَخْرُجُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: أَعْطُوهُ فَرَسًا وَرُمَحًا، وَسَيْفًا، وَتُرْسًا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا بِفَرَسِي أَوْثَقُ، وَرُمَحِي فِي يَدِي أَشَدُّ، وَلَكِنْ قَدْ قَبِلْتُ السَّيْفَ وَالتُّرْسَ. فَلَبَسَ السِّلَاحَ، وَاسْتَدْنَاهُ الرَّشِيدُ فَوَدَّعَهُ وَأَتْبَعَهُ الدُّعَاءَ. وَخَرَجَ مَعَهُ عِشْرُونَ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ (٥). فَلَمَّا انْقَضَ فِي الْوَادِي، قَالَ لَهُمُ الْعِلْجُ، وَهُوَ يَعُدُّهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا: إِنَّمَا كَانَ فِي الشَّرْطِ عِشْرُونَ، وَقَدْ ارْزَدْتُمْ رَجُلًا، وَلَكِنْ لَا بَأْسَ. فَنَادَوْهُ: لَيْسَ يَخْرُجُ إِلَيْكَ مِنَّا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ!

فَلَمَّا انفصلَ مِنْهُمْ ابْنُ الْجُرْزِيِّ، تَأَمَّلَهُ الْعِلْجُ، وَقَدْ أَشْرَفَ أَكْثَرُ الرُّومِ مِنَ الْحِصْنِ يَتَأَمَّلُونَ صَاحِبَهُمْ، فَقَالَ لَهُ الرُّومِيُّ: أَتَصُدَّقُنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنْتَ ابْنُ الْجُرْزِيِّ، بِاللَّهِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَكَفَّوْا لَكَ؟

(١) هارون الرشيد : هو الخليفة العباسي المشهور ابن المهدي بن ابي جعفر المنصور ولد بالرى سنة ١49 هـ. (766 م.) وبويع له بعد اخيه الهادي سنة ١70 وتوفي بطوس سنة ١93 هـ. (809 م.)، كان مواضبا على الحج متابعا للغزو واعتنى بالمصالح العامة وقد سمي الناس ايامه لنضارتها وحصبها ايام العروس .

(٢) البراز : من بارزه اى خرج اليه فقاتله ، وكثيرا ما كانت تبدا الحروب بالمبارزة بين بطلين او بين وعدة فرسان .

(٣) الثغور : ج الثغر - وهنا هو المكان الذى يخاف منه هجوم العدو ، وكثيرا ما كانت الجنود ترابط فيه لحراسته .

(٤) النجدة : من نجد كان شجاعا ماضيا فى ما يُعجزُ غيره .

(٥) المطوعة : الذين يتطوعون للجهاد .

قَالَ : وَمِثْلِي كُفُوُّ لَكَ ! ثُمَّ أَخَذَ فِي شَأْنَيْهِمَا : فَاطْعَنَا حَتَّى طَالَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، وَكَادَ الْفَرَسَانِ يَقُومَانِ تَحْتَهُمَا ، وَلَيْسَ مِنْهُمَا وَاحِدٌ خَدَشَ صَاحِبَهُ . ثُمَّ رَجَا بِرُمَحَيْهِمَا ، هَذَا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، وَهَذَا نَحْوَ حِصْنِهِ ، وَانْتَصَبَا بِسَيْفَيْهِمَا ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْحَرُّ عَلَيْهِمَا وَتَبَلَّدَ جَوَادَاهُمَا . فَجَعَلَ ابْنُ الْجُرْزِيِّ يَضْرِبُ الرُّومِيَّ الضَّرْبَةَ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ بَالِغَ فِيهَا ، فَيَتَّقِيهَا الرُّومِيُّ ، وَكَانَتْ دَرَقَتُهُ حَدِيدًا ، فَيَسْمَعُ لِذَلِكَ صَوْتٌ مُنْكَرٌ . فَيَضْرِبُهُ الرُّومِيُّ ، فَيَنْغِرُزُ سَيْفُهُ ، لِأَنَّ تَرْسَ ابْنِ الْجُرْزِيِّ كَانَ دَرَقَةً ثُبْتِيَّةً (6) ، وَكَانَ الْعِلْجُ يَخَافُ أَنْ يَعْضَ السَّيْفُ فَيُعْطَبَ . فَلَمَّا يَتَسَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ انْهَزَمَ ابْنُ الْجُرْزِيِّ . فَدَخَلَتِ الرَّاشِدَةُ وَالْمُسْلِمِينَ كَأَبَةٍ لَمْ يُصِيبْهُمْ مِنْهَا ، وَغَطَّطَ الْمُشْرِكُونَ . وَلَئِنَّمَا كَانَتْ حِيلَةً مِنْ ابْنِ الْجُرْزِيِّ : فَاتَّبَعَهُ الْعِلْجُ وَعَلَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابْنُ الْجُرْزِيِّ مِنْهُ ، رَمَاهُ بِرَهْقٍ (7) ، فَاخْتَطَفَهُ مِنْ سَرِّجِهِ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ . فَمَا وَصَلَ الْأَرْضَ حَسَدُهُ حَتَّى فَارَقَهُ رَأْسُهُ .

مروج الذهب للمسعودي

(6) الثُبْتِيَّةُ : نسبة إلى جبل الثُبْتُ .

(7) الرهق : الخفة والعجل .

(47) واقعة الزلقة

لَمَّا بَلَغَ الْأَمِيرُ تَاشِفِينَ (I) أَنَّ عُظَمَاءَ الرُّومِ وَزُعَمَاءَهُمْ تَأَلَّفَهُمْ جَيْشٌ يَحْتَوِي عَلَى آلَافٍ مِنْ أَنْجَادِ رِجَالِهِمْ ، وَمَشَاهِيرِ أَبْطَالِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ قَصَدُوا نَاحِيَةَ بَطْلَيْوَسَ ، فَجَاشُوا خِلَالَهَا ، وَدَوَّخُوا (2) أَرْضَهَا ، زَحَفَ إِلَيْهِمْ ، وَتَلَقَّى مَعَهُمْ بِمَقَرَّةِ الزَّلَاقَةِ . فَلَمَّا تَرَامَى الْجَمْعَانِ ، اضْطَرَبَتِ الْمُحَلَّتَانِ ، وَتَرَكَبَتِ الْمَرَائِبُ ، فَاتَّخَذَتِ مَصَافَّهَا وَلِزِمَتِ الرِّجَالُ مَرَائِزَهَا . فَكَانَ فِي الْقَلْبِ (3) ، مَعَ الْأَمِيرِ تَاشِفِينَ ، الْمُرَابِطُونَ وَأَصْحَابُ الطَّاعَاتِ ، تَتَقَدَّمُهُمُ الْبُنُودُ الْبَيْضُ الْبَاسِقَاتُ الْمَكْتَبَةُ بِالْآيَاتِ ، وَفِي الْجَانِبَيْنِ كُفَاةُ الدَّوْلَةِ ، وَحِمَاةُ الدَّعْوَةِ (4) ، مَعَ أَبْطَالِ الْأَنْدَلُسِ ، تَتَقَدَّمُهُمْ حُمْرُ الرِّايَاتِ بِالصُّورِ الْهَائِلَاتِ ، وَفِي الْجَنَاحَيْنِ أَهْلُ الشُّغُورِ ، وَدَوُو الْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ ، وَفِي الْمَقْدِمَةِ مَشَاهِيرُ زَنَانَةٍ وَلَفِيفُ الْحَشَمِ ، أَهْلُ الْعَزَائِمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْبَصَائِرِ الثَّابِتَةِ ، بِالرِّايَاتِ الْمَصْنُوعَةِ ، وَالْأَعْلَامِ الْمُنْمَقَةِ . فَالتَقَى الْجَمْعَانِ ، وَاشْتَدَّ الضَّرْبُ وَالطَّعَانُ ، فَوَلَّى الْكَفَرَةُ الْأُدْبَارَ ، وَأَمْعَتُوا فِي الْفِرَارِ ، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ . وَصَدَرَ تَاشِفِينَ إِلَى قُرْطَبَةَ عَزِيزاً ظَافِراً . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ 528 هـ .

الحلل الموشية ص 100

(I) الامير تاشفين : هو يوسف بن تاشفين وقد تقدمت ترجمته في قطعة رقم 15 .

(2) دوخوا ارضها : قهروها واستولوا على اهلها .

(3) القلب : قلب الجيش - وسطه - وكانت الجيوش تنظم ويجعل لها قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساقة (انظر تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج I ص 189 طبعة مصر 1922) .

(4) حماة الدعوة : الذين يدافعون عن المرابطين ويؤيدون دعوتهم .

(48) معركة بحرية

لَمَّا بَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ (I) الْمُرِينِيِّ بِاسْتِشْهَادِ ابْنِهِ (2)، أَخْرَجَ وَزَرَاءَهُ إِلَى السَّوَاخِلِ لِتَجْهِيزِ الْأَسَاطِيلِ . وَفَتَحَ دِيْوَانَ الْعَطَاءِ (3) وَاسْتَعْرَضَ الْجُنُودَ، وَأَزَاحَ عَلَيْهِمْ (4) وَاسْتَنْفَرَ أَهْلَ الْمَغْرِبِ . وَارْتَحَلَ إِلَى سَبْتَةِ لِيَبَاشَرَ أَحْوَالَ الْجِهَادِ ، وَتَسَامَعَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِذَلِكَ ، فَاسْتَعَدُّوا لِلدِّفَاعِ، وَأَخْرَجَ الطَّاغِيَةُ (5) أَسْطُولَهُ إِلَى الزُّقَاقِ (6)، لِيَمْنَعَ السُّلْطَانُ مِنَ الْإِجَازَةِ . وَاسْتَحَثَّ السُّلْطَانُ أَسَاطِيلَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَرَاسِي الْعُدُوِّ (7). وَبَعَثَ إِلَى أَصْهَارِهِ الْحَفْصِيِّينَ بِتَجْهِيزِ أَسْطُولِهِمْ إِلَيْهِ . فَعَقَدُوا (8) عَلَيْهِ لَزِيدِ بْنِ قَرْحُونٍ قَائِدِ أَسْطُولِ بَجَايَةَ مِنْ صَنَائِعِ (9) دَوْلَتِهِمْ ، وَوَفَّى سَبْتَةَ فِي سِتَّةِ عَشَرَ مِنْ أَسَاطِيلِ إِفْرِيقِيَّةٍ، كَانَ فِيهَا مِنْ طَرَابُلُسَ، وَقَابِسَ، وَجَرَبَةَ ، وَتُونُسَ ، وَبُونَةَ ، وَبَجَايَةَ . وَتَوَافَتْ أَسَاطِيلُ الْمَغْرِبِيِّينَ بِمَرَسِي

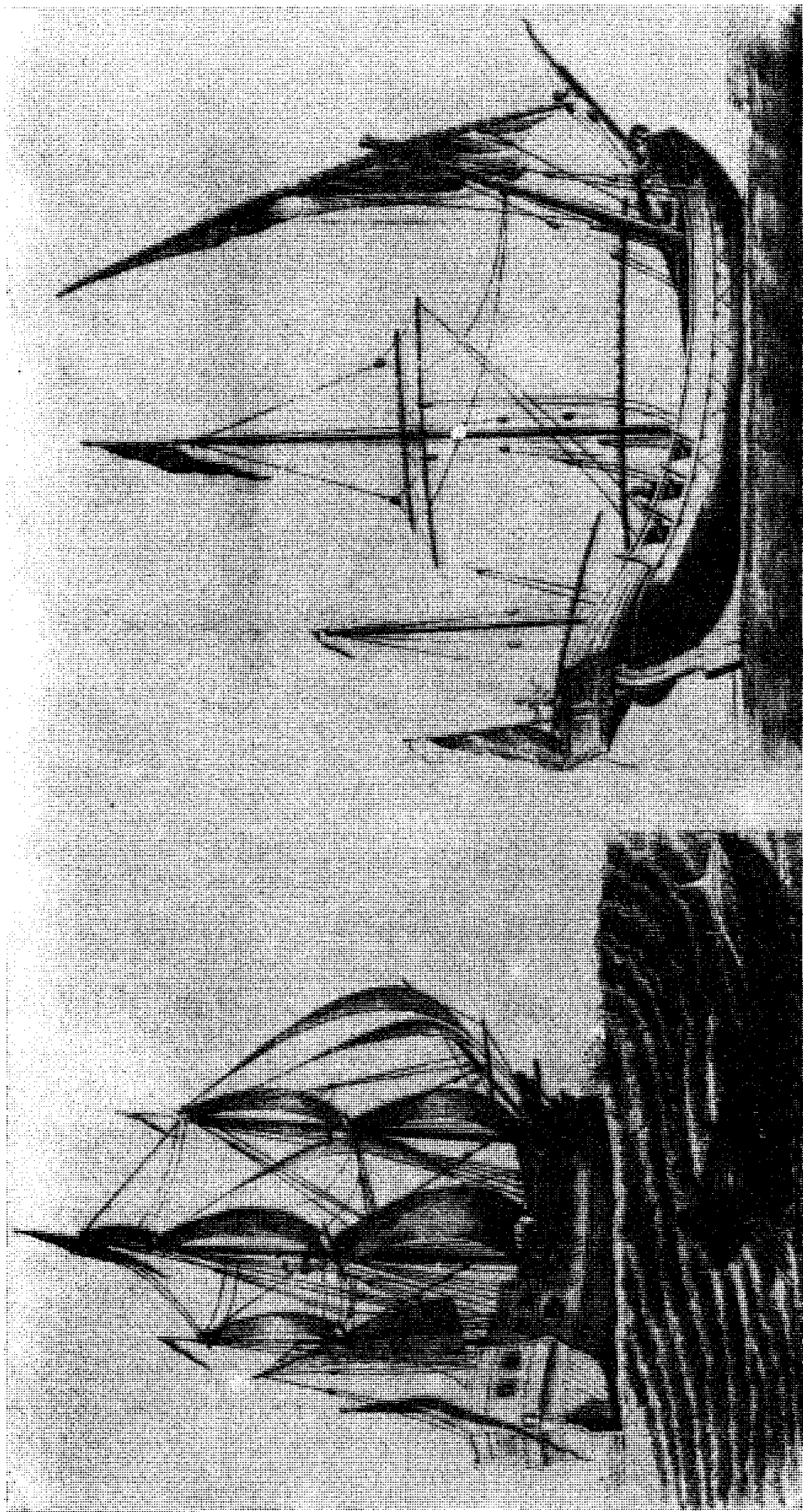
-
- (I) ابو الحسن علي بن سعيد المريني الملقب «السلطان الاكل» لان امه كانت حبشية بويغ سنة 731 هـ. (I334 م.) اشتهر بالغزو وباعتنائه ببناء المدارس في جميع مدن المغرب ، مات بمراكش سنة 752 هـ. (I355 م.) ونقل جثمانه الى شالة ولا زال قبره معروفا هناك.
- (2) ابنه ابو مالك الذي قتل قرب اشبيلية سنة I339 م.
- (3) ديوان العطاء : الديوان المخصص لتوزيع العطايا على الجند - وفيه ازمة تسجل فيها اسماء الجنود وقدر ما يعطون في كل شهر .
- (4) ازاح عليهم : قضى حاجتهم ليتفرغوا للمقتال .
- (5) الطاغية : صيغة المبالغة للطاغى - وكان هذا اللقب يطلق على ملوك النصارى .
- (6) الزقاق: هنا مضيق جبل طارق .
- (7) العدو : هنا الاندلس .
- (8) عقدوا الالوية لفلان : اى جعلوه قائدا على الجيش المعد للمقتال وكانوا يحتفلون بعقد الالوية احتفالا عظيما .
- (9) صنيعه : ج صنائع ، يقال «هو صنيعى او صنيعتى» اى انا ربيته وخرجته واختصصته بالصنع الجميل .

سَبْتَةَ ثَنَاهِزُ الْمِائَةِ . وَعَقَدَ (8) السُّلْطَانُ عَلَيْهَا لِمَحْمَدِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَزْفِيٍّ الَّذِي
كَانَ صَاحِبَ سَبْتَةِ يَوْمَ فَتَحِهَا ، وَأَمَرَهُ بِمَنَاجِزِهِ (IO) أَسْطُولِ النَّصَارَى
بِالرُّقَاقِ ، وَقَدْ أَكْمَلَ عَدِيدَهُمْ وَعَدَّتُهُمْ . فَاسْتَلَامُوا (II) وَتَظَاهَرُوا فِي السِّلَاحِ ،
وَتَنَزَّاحُوا إِلَى أَسْطُولِ النَّصَارَى وَتَوَاقَفُوا مِثْلًا ، ثُمَّ قَرَّبُوا الْأَسَاطِيلَ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ وَقَرَّنُوها لِلْمِصَاعِ (I2) ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَا وَلَا ، حَتَّى هَبَّ رِيحٌ
النَّصْرَ ، وَأَظْفَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدِيهِمْ ، وَخَالَطُوهُمْ فِي أَسَاطِيلِهِمْ ، وَاسْتَلْحَمُوهُمْ (I3)
قَهْرًا بِالسِّيُوفِ ، وَطَعْنًا بِالرُّمَاحِ ، وَأَلْقَوْا أَشْلَاءَهُمْ فِي الْيَمِّ ، وَقَتَلُوا قَائِدَهُمْ
الْمِيلَنْدَ ، وَاسْتَأَقُوا أَسَاطِيلَهُمْ مَجْنُوبَةً إِلَى مَرَسَى سَبْتَةِ ، فَبَرَزَ النَّاسُ لِلْمُشَاهَدَةِ
وَطِيفَ بِكَثِيرٍ مِنْ رُؤُوسِهِمْ فِي جَوَانِبِ الْبَلَدِ ، وَنَظِمَتْ أَصْفَادُ الْأَسَارَى بِدَارِ
الْإِنْشَاءِ (I4) ، وَعَظُمَ الْفَتْحُ ، وَجَلَسَ السُّلْطَانُ لِلتَّهْنِئَةِ ، وَأَنْشَدَتْ الشُّعْرَاءُ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَكَانَ يَوْمًا مِنْ أَعَزِّ الْأَيَّامِ . وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ .

ابن خلدون «كتاب العبر»



-
- (IO) مناجزة : من ناجزه - بارزه وقاتله .
(II) استلاموا : لبسوا اللؤم ج لامة : الدرع .
(I2) المصاع : من ماصع قاتل وجالد . وتماصع القوم في الحرب : تعالجوا
وتطاحنوا .
(I3) استلحموهم : تبعوهم ولم يتركوا لهم مهربا .
(I4) دار الانشاء : المحل الذي تصنع فيه العدد والسفن .



مربي بحرية مغربية (القرن الثامن ع. الميلادي)

الباب الثاني

الفصل الخامس

بعد الحروب

قَالَ : «وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ؛ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» .

اكتَفَيْنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ ، بِإِيرَادِ قِطْعٍ تَصِفُ بَعْضَ مَا يَقَعُ إِثْرَ اللِّقَاءِ ، مِنْ إِتْرَامِ عُقُودِ الصُّلْحِ وَالْأَمَانِ ، وَأَخَذِ الْغَنَائِمِ ، وَفِكَ الْأَسْرَى . (كَانَتْ تَخْصُصُ فِي الْعَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ أَيَّامَ لِتَبَادُلِ أُسْرَى الْحَرْبِ ، وَتُنَظَّمُ ، مِنْ لَدُنْ رُؤَسَاءِ الدُّوَلِ الْمُتَحَارِبَةِ ، وَفُودٌ لِلإِطْلَاحِ عَلَى أَحْوَالِ الْأَسْرَى فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ وَيَسْعَى كُلُّ وَفْدٍ فِي افْتِدَاءِ أَبْنَاءِ مِثْلِهِ) .

تَرَكْنَا الْكَلَامَ عَنِ الْجَزِيَةِ وَالْخِرَاجِ إِلَى فَصْلِ الْجَبَايَا فِي بَابِ الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَةِ . أَمَّا الْغَنَائِمُ فَلِإِنَّهَا كَانَتْ تُقَسَّمُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، طَبَقًا لِمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...» الْآيَةِ . إِلَى أَنَّ وَلِيَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدَوْنَ دَوَاوِينَ الْعَطَايَا وَقَدَرَ أَرْزَاقَ الْجُنْدِ .

اهم المراجع لهذا الفصل

(I) كتاب الاموال للامام ابي عبد القاسم بن سلام (الجبايات والغنائم وعقود الصلح) .

(2) النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن (النظام المالي) .

(3) لطائف المعارف للمسعودي (فصل في تبادل الاسرى) .

(49) الانفال

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ : «لَمَّا التَقَى النَّاسُ بِبَدْرِ (I)، هَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزُمُونَ وَيَقْتُلُونَ ، وَأَكْبَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعُسْكَرِ يَحْوُونَهُ (2) وَيَجْمَعُونَهُ ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا يُصِيبَ الْعَدُوَّ مِنْهُ غُرَّةٌ . حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ، وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الدِّينُ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ : نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا ، فَلَيْسَ فِيهَا لِأَحَدٍ نَصِيبٌ. وَقَالَ الدِّينُ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا ، نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُ ، وَقَالَ الدِّينُ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا ، نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوَّ مِنْهُ غُرَّةٌ ، فَشَغَلْنَا بِهِ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ (3)، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (4)» . قَالَ : فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَوَاقٍ : (5) بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : وَكَانَ إِذَا كَانَ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ نَفْلٌ (6) الرَّبْعَ، وَإِذَا أَقْبَلَ رَاجِعًا، وَكَلَّ النَّاسَ مَعَهُ، نَفْلُ الثَّلَاثِ. وَكَانَ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ وَكَانَ يَقُولُ : «لَيَرُدَّ قُوَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ» .

كتاب الاموال ص 375

(I) بدر : هو المكان الذي وقعت فيه اول معركة بين المسلمين وقريش

فكان النصر حليف النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه .

(2) يحوونه : أى يأسرون الاعداء ويجمعون الاسلاب والغنائم .

(3) الانفال : ج نفل بالتحريك ، وهو الزيادة على الواجب - هنا هو

ما يعطيه الامام لبعض الغزاة بعد القسمة زيادة على سهمه من الغنائم

وذلك لمصلحة اقتضاها الحال .

(4) ذات البين : النسب والقرابة والصدقة . ويقال : سعى فى اصلاح

ذات بينهم اى اصلاح احوالهم وتلافى ما بينهم من الخصومة .

(5) قسمها على فواق : اى جعل حظ البعض أكثر من حظ الآخرين .

(6) نفله : أعطاه زيادة على حصته - ونفله النفل : أعطاه اياه .

فائدة :- ان من الفقهاء من يقول ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

«واعلموا انما غنمتم ..» الآية ، ومنهم من يقول انها محكمة تخول للامام

ان ينفل من شاء من الجند ما شاء قبل التخميس .

(50) حسن الاستعطاف

وَجِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى طِيٍّ (1) فَرِيقًا مِنْ جُنُودِهِ
يَقْدِمُهُمْ عَلَى عَالِيهِ السَّلَامِ ، فَفَزَعَ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِي - وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ
النَّاسِ عَدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ - إِلَى الشَّيَامِ . فَصَبَحَ عَلَى الْقَوْمِ وَاسْتَأْذَنَ خِيْلَهُمْ ،
وَنَعِمَهُمْ (2) ، وَرَجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ الْأُسْرَى ،
نَهَضَتْ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ فَقَالَتْ : «يَا مُحَمَّدُ هَلْكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ
الرَّافِدُ (3) . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، وَلَا تُشِمِتَ (4) بَنِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَإِنَّ
أَبِي كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، يَفُكُّ الْعَانِي (5) وَيَقْتُلُ الْجَانِي وَيَحْفَظُ الْحَارَّ ، وَيَحْمِي
الذِّمَارَ ، وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ (6) وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيَفْقِشِي السَّلَامَ ؛ وَيَحْمِلُ
الْكُلَّ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَمَا أَتَاهُ أَحَدٌ فِي حَاجَةٍ فَرَدَّهُ خَائِبًا . أَنَا
بِنْتُ حَاتِمٍ الطَّائِي . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَارِيَةَ هَذِهِ صِفَاتُ
الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا . لَوْ كَانَ أَبُوكَ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ . خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا
كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ . وَقَالَ فِيهَا : ارْحَمُوا عَزِيزًا ذَلَّ ، وَغَنِيًّا افْتَقَرَ ،
وَعَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ جُهَاِلٍ . وَامْتَنَ (7) عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْمِهَا ، فَأُطْلِقَهُمْ تَكْرِيمًا
لَهَا . فَلَمَّا أُطْلِقَهَا رَجَعَتْ إِلَى أُخِيهَا عَدِيٍّ ، وَهُوَ بِدُومَةِ الْجُنْدَلِ ، (8) فَقَالَتْ

(1) طي : قبيلة حاتم المشهور بكرمه وهي يمنية في شمال جزيرة العرب.

(2) النعم : الابل وتطلق على البقر والغنم .

(3) الرافد : المعين وهنا من يقوم مقام الاب تعني اخاها .

(4) شمت به : فرح لمصيبة نزلت به .

(5) العاني : من عنى يعنو في القوم : صار اسيرا فيهم .

(6) المكروب : من كرب الحبل قتله وكربه الهم : اشتد عليه .

(7) امتن : انعم واحسن .

(8) دومة الجندل : هو المكان الذي وقع فيه التحكيم بين علي ومعاوية

بعد واقعة صفين .

لَهُ: يَا أَخِي ائْتِ هَذَا الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ تَعْلَقَ حَبَائِلَهُ . فَلَمَّ رَأَيْتُ هَدِيًّا وَرَأَيْتُ
سَيِّغُلْبُ أَهْلَ الْغَلْبَةِ . وَرَأَيْتُ خِصَالًا تُعْجِبُنِي : رَأَيْتُهُ يُحِبُّ الْفَقِيرَ ، وَيَفُكُّ
الْأَسِيرَ ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ ، وَيَعْرِفُ قَدْرَ الْكَبِيرِ . وَمَا رَأَيْتُ أَجُودَ وَلَا أَكْرَمَ
مِنْهُ . فَإِنْ يَكُنْ نَبِيًّا فَلِلنَّبِيِّ فَضْلُهُ ، وَإِنْ كَانَ مَلِكًا فَلَنْ تَزَالَ فِي عِزِّ الْيَمَنِ .
فَقَدِمَ عُدَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَاسْلَمَ وَأَسْلَمَتْ سَفَانَةٌ .

المرأة العربية ج I ص 162



(51) عقد صلح

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ (I) لِنُصَيْرِ بْنِ عَبْدِ وَشٍ (2) إِنَّهُ نَزَلَ عَلَى الصَّلْحِ، وَإِنْ لَهُ عَهْدُ اللَّهِ وَدِمَّتُهُ، وَدِمَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَّا يَقْدِمَ لَهُ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا يُؤَخَّرُ، وَلَا يُنَزَعُ عَنْ مَلِكِهِ، وَانَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ وَلَا يُسَبِّحُونَ، وَلَا يَفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ، وَلَا يُكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَلَا تُحْرَقُ كَنَائِسُهُمْ، وَلَا يُنَزَعُ عَنْ كَنَائِسِهِ مَا يَعْهَدُ، وَذَلِكَ مَا أَدَّى الَّذِي اشْتَرَطْنَا عَلَيْهِ. وَانَّهُ صَالِحٌ عَلَى سَبْعِ مَدَائِنَ: أَرِيُولَةَ (3) وَبَلْتَنَةَ (4) وَلَقَنْتَ (5) وَمُوَلَةَ (6) وَبِلَانَةَ (7) وَأُولَتَةَ (8) وَلُورْقَةَ (9). وَانَّهُ لَا يَأْوِي لَنَا آيْهًا وَلَا عَدُوًّا، وَلَا يُخِيفُ لَنَا أَمْنًا، وَلَا يُكْثِمُ خَيْرَ عَدُوٍّ عَلَّمَهُ. وَإِنْ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ دِينَارًا كُلِّ سَنَةٍ،

(I) عبد العزيز بن موسى بن نصير خلف ابيه واليا على الاندلس - ابدى في ادارة الحكومة همة فائقة وشجع الزواج بين الفاتحين والاسبان وتزوج بارملة رديك ولكن لم يستطع ان يوفق بين القبائل المختلفة فقتل في شوارع اشبيلية في اواخر سنة 95 هـ. (713 م.)

(2) تدمير Theudimer امير من بقايا ملوك القوط اسمه تدمير ابن عبدوش سميت تاحية تدمير حول مرسية .

- 3 - Orihuela
- 4 - Baltana
- 5 - Alicante
- 6 - Mula
- 7 - Villena
- 8 - Ota ou Altéa
- 9 - Lorca

وَأَرْبَعَةٌ أَمْدَادٍ (IO) قَمَحٍ وَأَرْبَعَةٌ أَمْدَادٍ شَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةٌ أَقْسَاطُ طَلَاءٍ (II) ،
وَأَرْبَعَةٌ أَقْسَاطُ خَلٍّ ، وَقِسْطَيْنِ عَسَلًا ، وَقِسْطَيْنِ زَيْتًا ، وَعَلَى الْعَبِيدِ نِصْفُ
ذَلِكَ .»

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الْقُرْشِيِّ ، وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ ،
وِإِدْرِيسُ بْنُ مَيْسَرَةَ التَّمِيمِيِّ ، وَأَبُو قَاسِمٍ الْمُؤَلِّي ، وَكُتِبَ فِي رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ
وَتِسْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

الحلل السندسية ج 3 ص 35I

وعن الروض المعطار في خبر الاقطار



(IO) مد : لا شك ان المقصود هو المد النبوى .
(II) الطلاء: القطران وقد يطلق على عصير العنب ونوعه هذا هو المقصود.

(52) فلك الاسارى المسلمين أيام الهروب الصليبية

قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ أُسَامَةُ بْنُ مَنْقَدٍ (I) : كُنْتُ أُتَرَدَّدُ إِلَى مَلِكِ الْفَرَنْجِ فِي الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمَاعَةِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ تَاجٍ (2) الْمُلُوكِ لَيْدٍ (3) كَانَتْ لِلْوَالِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى بَغْدَوَيْنَ الْمَلِكِ، وَالِدِ الْمَلِكَةِ (4)، امْرَأَةِ الْمَلِكِ فَلَكَ بَنُ فَلَكَ. فَكَانَ الْاَفَرَنْجُ يَسُوقُونَ اَسَارَاهُمْ إِلَيَّ لِأَشْتَرَاهُمْ، فَكُنْتُ أَشْتَرِي مِنْهُمْ مَنْ سَهَلَ اللَّهُ تَعَالَى خَلَاصَهُ. فَخَرَجَ شَيْطَانٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ «كَلِيَامُ جِيْبَا» (5) فِي مَرْكَبٍ لَهُ يُغْزَوُ، فَأَخَذَ مَرْكَبًا فِيهِ حُجَّاجٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ، نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةٍ نَفْسٍ، رِجَالًا وَنِسَاءً، فَكَانَ يَجِئُنِي أَقْوَامٌ مَعَ مَالِكِهِمْ، فَأَشْتَرِي مِنْهُمْ مَنْ قَدَرْتُ عَلَى شِرَائِهِ.. فَأَشْتَرَيْتُ لِي مِنْهُمْ نَفَرًا، وَأَشْتَرَيْتُ لِلْأَمِيرِ مُعِينِ الدِّينِ، رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ نَفَرًا بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ دِينَارًا، وَوَزَنْتُ مَا كَانَ مَعِي، وَضَمَنْتُ عَلَى الْبَاقِي، وَجِئْتُ إِلَى دِمَشْقَ، فَقُلْتُ لِلْأَمِيرِ مُعِينِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَدْ أَشْتَرَيْتُ لَكَ أَسَارِي اخْتَصَك بِهِمْ وَمَا كَانَ مَعِي ثَمَنُهُمْ، وَالْآنَ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِي، إِنْ أَرَدْتَهُمْ وَزَنْتُ ثَمَنَهُمْ، وَإِلَّا وَزَنْتُهُ أَنَا» فَقَالَ : «بَلْ أَنَا أَرِزُ وَاللَّهُ ثَمَنَهُمْ» وَأَنَا أَرْغَبُ النَّاسِ فِي ثَوَابِهِمْ. وَعَدْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى عَمَّا، وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَسْرَى عِنْدَ «كَلِيَامِ جِيْبَا» ثَمَانِيَّةً وَثَلَاثُونَ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ لِبَعْضِ الدِّينِ خَلَصَهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ فَأَشْتَرَيْتُهَا مِنْهُ، وَمَا وَزَنْتُ ثَمَنَهَا. فَرَكِبْتُ إِلَى دَارِهِ

(I) اسامة بن منقذ : انظر ترجمته في آخر الكتاب
(2) جمال الدين بن محمد بن تاج الملوك : امير دمشق في ذلك العهد.
توفي سنة 1140 م.

(3) ليد : يقال كانت لي يد على فلان اي كنت ممن احسن اليه
(4) بغدوين: Baudoin هو بدوان الثاني (مات 1131م.) الذي كان اميرا على بيت المقدس ولما مات خلفه صهره فلك Foulques الخامس .
(5) كليام جيبا اعطى اسم جيبا لانه كان احتل حصنا سمي هكذا .

لَعَنَهُ اللَّهُ، وَقُلْتُ : تَبِيعَنِي مِنْهُمْ عَشْرَةٌ . قَالَ : وَحَقَّ دِينِي مَا أُبِيعُ إِلَّا الْجَمِيعُ .
فَانْصَرَفْتُ، وَقَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ هَرَبُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ جَمِيعَهُمْ، وَسُكَّانَ
ضِيَاعَ عَمَّا كُلُّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمُ الْأَسِيرُ أَخْفَوْهُ ، وَأَوْصَلُوهُ إِلَى
بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَتَطَلَّبَهُمْ ذَلِكَ الْمَلْعُونُ ، فَمَا ظَفَرَ مِنْهُمْ بِأَحَدٍ . وَأَصْبَحَ يُطَالِبُنِي
بِثَمَنِ الْمَرْأَةِ . فَقُلْتُ : سَلِمَهَا إِلَيَّ وَخُذْ ثَمَنَهَا . قَالَ : ثَمَنَهَا لِي أَمْسَ قَبْلَ أَنْ تَهْرَبَ .
وَأَلْزَمَنِي وَزَنَ ثَمَنَهَا . فَوَزَنَتْهُ، وَهَانَ ذَلِكَ عَلَيَّ لِمَسَرَّتِي بِخَلَاصِ أَوْلَئِكَ الْمَسَاكِينِ .

كتاب الاعتبار لابن منقذ ط 1886 ص 63



(53) رسم امان لجمع بيت المقدس

كَتَبَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ (I) لِفَرَائِيسَ صَاحِبِ السَّرَّابِ:
 «...وَلَمَّا كَانَتْ حَضْرَةُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ، الْمَكْرُمِ، الْمُبَجَّلِ، الْعَزِيزِ، الْمُوقِرِ
 (اسْتِيفَانُوسَ فَرَائِيسَ)، كَبِيرِ الطَّائِفَةِ النُّصْرَانِيَّةِ، جَمَالَ الْأُمَّةِ الصَّلِيبِيَّةِ،
 عَمَادَ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ (2)، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ صَاحِبِ السَّرَّابِ، قَدْ
 شَمِلَهُ إِقْبَالُنَا الْمُعْهُودُ، وَوَصَلَهُ أَفْضَالُنَا الَّذِي يَحْجُزُ عَنْ مَيَامِنِهِ السُّوءُ، وَيُنْجِزُ
 الْوَعُودَ، اقْتَضَى حَسَنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُسَيِّرَ سَبِيلَهُ، وَنُوَفِّرَ لَهُ مِنْ
 الْإِكْرَامِ جَسِيمَهُ، كَمَا وَفَّرْنَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ مَسُولَهُ (3)، وَأَنْ يَكُنْ مِنَ
 الْحُضُورِ، هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَتْبَاعِهِمَا إِلَى زِيَارَةِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ،
 وَإِزَالَةِ الْأَعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَإِكْرَامِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ، وَاسْتِصْحَابِ الْعِنَايَةِ بِهِمْ إِلَى
 أَنْ يَعُودُوا إِلَى بِلَادِهِمْ.. فِي كَنْفِ (4) الْأَمْنِ وَحَرِيمِ (5) السَّلَامَةِ. وَسَبِيلِ

(I) الناصر محمد بن قلاوون : هو اخو السلطان الاشرف خليل بن قلاوون تولى الامر بمصر وعمره تسع سنين (693هـ)، خلع ثم بويع من جديد وتغلب على اعدائه واستمر نافذ الحكم بمصر وسوريا وفلسطين حتى مات سنة 741 هـ. (I34I م.) وهو اطول ملوك الترك مدة .

(2) بنو المعمودية : هم المسيحيون ، وعمد الولد وعمده غسله في الكنيسة بماء المعمودية .

(3) مسوله : اسم مفعول لفعل سال بمعنى سأل .

(4) كنف : الظل يقال عاش في كنف فلان أى تحت رعايته .

(5) حريم : ما حرم فلم يمس، وحريم الرجل : ما يدافع عنه، ومنه سميت نساء الرجل بالحريم .

كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ، وَيَتَّبِعَ إِبْرَاهِمَهُ (6)، وَلَا يَمْنَعَ عَنْهُمْ الْخَيْرَ
 بِسِيَرٍ وَلَا إِقَامَةٍ، وَيُدْفَعَ عَنْهُمْ الْأَذَى حَيْثُ وَرَدُوا أَوْ صَدَرُوا، فَلَا يَحْذَرُوا
 إِمَامَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّرُ لِكُلِّ مُسْتَعِينٍ مِنْ أَبْوَابِنَا اقْسَاطَ الْأَمْنِ وَاقْسَامِهِ ،
 وَيَظْفَرُ عَزْمَنَا الْمُحَمَّدِيَّ بِالنَّصْرِ السَّرْمَدِيِّ (7) حَتَّى يُطَوَّقَ الطَّائِعُ وَالْعَاصِي
 حُسَامَهُ.. وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

صبح الاعشى ج 13 ص 327



(6) ابرام : ابرم الحبل : قتله - والامر ، احكمه .
 (7) السرمدي : الابدی .

(54) غنائم باردة في سردانية

إِنَّ أَهْلَ سَرْدَانِيَةِ (I)، كَمَا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ، لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، عَمَدُوا إِلَى مِينَاتِهِمْ فَسَدُّوهُ، وَأَخْرَجُوا مِنْهُ الْمَاءَ، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ أَنِيتَهُمْ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ الْمَاءَ بِحَالِهِ وَعَمَدُوا إِلَى كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَجَعَلُوا لَهَا سَقْفًا مِنْ دُونِ سَقْفِهَا، وَجَعَلُوا مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ بَيْنَ السَّقْفَيْنِ، فَنَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَغْتَسِلُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي سَكَّرُوهُ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَوَقَعَتْ رِجْلُهُ عَلَى شَيْءٍ فَأَخْرَجَهُ، فَإِذَا صَفْحَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ غَاصَ أَيْضًا فَأَخْرَجَ شَيْئًا آخَرَ. فَلَمَّا عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ حَبَسُوا عَنْهُ الْمَاءَ، وَأَخَذُوا جَمِيعَ تِلْكَ الْآنِيَةِ. وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَعَهُ قَوْسٌ بُنْدُقٌ (2) إِلَى تِلْكَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي رَفَعُوا بَيْنَ سَقْفَيْهَا مَا لَهُمْ، فَنَظَرَ إِلَى حِمَامٍ فَرَمَاهُ بِبُنْدُقِهِ، فَأَخْطَاهُ وَأَصَابَ شَبَّحَةً (3) خَشَبٍ فَكَسَّرَهَا، فَأَنْهَالَ عَلَيْهِ الْمَالَ، فَقُلَّ (4) الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ غُلُولًا كَثِيرًا. فَلَمَّا كَانَ الرَّجُلُ كَانَ لِيَأْخُذَ الْهَرَّ فَيَذْبَحَهَا، وَيَرْمِي بِمَا فِي جَوْفِهَا ثُمَّ يَحْشَوْهُ مِمَّا غُلَّ، ثُمَّ يُخِيطُ عَلَيْهِ وَيَرْمِي بِهِ إِلَى الطَّرِيقِ، لِيَتَوَهَّمُ مَنْ رَأَاهَا أَنَّهَا مَيِّتَةٌ، فَإِذَا خَرَجَ أَخَذَهَا. وَأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَنْزِعُ نَصْلَ

(I) سردانية - قصدها المسلمون منذ عهد موسى بن نصير، والظاهر أن الحادثة وقعت في ذلك العهد، وقد احتلوا زمان بني الأغلب الذين كانت عاصمتهم بالقيروان.

(2) قوس بندق : قوس مركب على انبوب يرمى به الحجر والرصاص وغير ذلك - وهذه القطعة تدل على أن المسلمين عرفوا هذا النوع من السلاح في أوائل القرن الثامن المسيحي.

(3) شبيحة : قطعة من لوح.

(4) غل الشيء : أخذه في خفية ودسه في متاعه. وقال تعالى في سورة آل عمران : «وما كان لنبي أن يكفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة...»

سَيْفَهُ فَيَطْرَحُهُ، وَيَمْلَأُ الْجَفْنَ (5) غُلُولًا، وَيَضَعُ قَائِمَ السَّيْفِ عَلَى الْجَفْنِ،
 فَلَمَّا رَكِبُوا السُّفْنَ، وَتَوَجَّهُوا سَمِعُوا مُنَادِيًا يُنَادِي : اللَّهُمَّ غَرِّقْ بِهِم فَتَقَلَّدُوا
 الْمَصَاحِفَ ، فَغَرَّقُوا جَمِيعًا إِلَّا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبْلِي وَحِشْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 الصَّنَعَانِي فَإِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا نَدِيًا (6) مِنَ الْغُلُولِ بِشَيْءٍ .

فتوح افريقية والاندلس ص 96



(5) جفن السيف : غمده، وقائمه - قبضته .
 (6) ندى : يقال ما نذيت بشيء من فلان أى ما نلت منه ندى أى خيرا .

(55) رجل مسلم

كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فُتْنٍ صَالِحٌ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، شَاعِرًا.
وَكَانَ أَسْوَدَ مُشَوِّهِ الْخُلُقِ فَقِيرًا. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا هَذَا إِنَّ الْأَدَبَ أَرَاهُ
قَدْ سَقَطَ نَجْمُهُ وَطَاشَ سَهْمُهُ، فَأَعْمِدَ إِلَى سَيْفِكَ وَرُمَحِكَ وَقَوْسِكَ، وَادْخُلْ
مَعَ النَّاسِ فِي غَزَوَاتِهِمْ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَلَكَ (I) مِنَ الْغَنِيمَةِ شَيْئًا فَأَنْشُدَ:
(البسيط)

مَالِي وَمَالِكَ قَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا	حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارِعَيْنِ قِفِ
تَمْشِي الْمَنَايَا إِلَى غَيْرِي فَأَكْرَهَهَا	فَكَيْفَ أَمْشِي إِلَيْهَا بَارِزَ الْكَتِفِ
أَمِنْ رِجَالِ الْمَنَايَا خَلَّتَنِي رَجُلًا	أَمْسَى وَأَصْبَحُ مُشْتَقًا إِلَى التَّلَفِ
ظَنَنْتُ أَنَّ نَزَالَ الْقَرْنَ مِنْ خُلُقِي	وَأَنَّ قَلْبِي فِي جَنْبِي أَبِي دَلَفِ (2)

فَبَلَغَ خَبْرَهُ أَبَا دَلَفٍ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ

وفيات الاعيان ج 3 ص 228

(I) ينفلك : يعطيك النفل - الهبة والغنيمة .

(2) ابو دلف : احد قواد المأمون، ثم المعتصم، وكان جوادا ممدحا شجاعا

ذا وقائع مشهورة وصنائع ماثورة .

الباب الثالث

الفصل الأول

العمارة - البلدان والمدن

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مَرَزْتَ بِلَدٍ لَيْسَ فِيهِ سُلْطَانٌ فَلَا تُدْخِلْهُ . إِنَّمَا السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » .

قَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ يَوْمًا وَقَدْ رَأَى غَمَامَةً : « أَذْهَبِي حَيْثُ شِئْتَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَنِي خَرَاكُ » . وَحَقُّ لَهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَمْلَكَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَانَتْ فِي عَهْدِهِ فَسِيحَةً الْأَرْجَاءِ مُتَرَامِيَةً الْأَطْرَافِ ، تَشْمَلُ أَقْطَارًا مُتَفَاوِتَةً فِي الْخِصْبِ ، وَأَقَالِيمَ مُتَبَايِنَةً فِي الْحَضَارَةِ .

لَقَدْ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مُنْذُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ كَثِيرًا مِنَ الْأَصْفَلِاحِ الْمَعْرُوفَةِ إِذْ ذَاكَ ، وَرَكَّبَ أَتْبَاعَهُمُ الضَّعْبَ وَالذَّلُولَ حَتَّى نَشَرُوا الدِّينَ الْمَحْمَدِي فِي آسِيَا وَإِفْرِيقِيَا وَجَنُوبِ أُرُوبَا ، فَأَعْتَنَى قَادَتَهُمْ بِتَوْسِيعِ الْمَدِينِ الْقَدِيمَةِ وَتَرْزِيئِهَا ، وَمَصْرُوعِهَا مُصَارًا حَدِيثَةً وَجَمَلُوهَا ، فَاخْتَارُوا لَهَا الْمَوَاقِعَ اللَّائِقَةَ ، وَرَاعَوْا عِنْدَ تَأْسِيسِهَا الْمَصَالِحَ الْعَامَّةَ ، وَالْمَزَافِقَ الْحَيَوِيَّةَ . وَكَانُوا يَهْتَمُّونَ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَمَامَاتِ ، وَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ ، وَإِقَامَةِ الْحُصُونِ وَالرِّبَاطَاتِ ، وَتَنْظِيمِ مَجَارِي الْمَاءِ وَالْقَنَوَاتِ ، وَتَعْيِيدِ الْمَعَابِرِ وَالْجُسُورِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْبَسَاتِينِ وَالْمُنْتَزَهَاتِ .

وَكَانَ الْخُلَفَاءُ وَالْمُلُوكُ وَالْأَكَابِرُ يَتَنَافَسُونَ فِي اخْتِيَارِ الْمَصَافِي وَالْمَرَاجِعِ ، وَفِي بِنَاءِ الْقُبَابِ وَالْقُصُورِ وَالْإِيَوَانَاتِ ، وَتَقْرِيشِهَا بِأَجْمَلِ الْأَثَاثِ وَالرِّيَاشِ ، وَفِي اتِّخَاذِ الْمَسَارِحِ لِلْوَحُوشِ وَالطُّيُورِ لِلتَّفَرُّجِ عَلَى ذَوَاتِ الْمَخَالِبِ وَالْأُرْيَاشِ .

إِنَّ حُبَّ الظُّهُورِ قَدْ أَدَّى فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِصِغَارِ الْمُلُوكِ إِلَى الْإِسْرَافِ وَالتَّبَذِيرِ ، وَقَدْ حَمَلَ الطُّغْيَانُ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ عَلَى الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ ، وَلَكِنَّ الْأَثَارَ الَّتِي لَا زَالَتْ مَائِلَةً بِالْأَنْدَلُسِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ مَثَلًا ، كَافِيَةٌ لِإِدْرَاكِ اعْتِنَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَنِّ الْمَعْمَارِيِّ .

وَلَا كَانَ يَفُوتُ الشَّابَّ الْمَغْرِبِيَّ أَنْ يَلِمَ بِكُلِّ مَا كَتَبَهُ الْجُغَرَأَفِيُّونَ
 الْمُسْلِمُونَ فِي وَصِيفِ الْمَنَازِلِ وَالْأَقْطَارِ، وَمَا قَالَهُ الشُّعْرَاءُ فِي التَّغْنَى بِالْأَوْطَانِ،
 فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَتَفَسَّحَ فِي عَوَاصِمِ بِلَادِهِ، لِيَرَى مَا قَامَ بِهِ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ مِنْ
 أَعْمَالٍ مَعْمَارِيَّةٍ سَلِيمَةٍ تَشْهَدُ لَهُمْ بِسَعَةِ النَّظَرِ، وَلِلصَّنَاعِ وَالْفَنَّانِينَ بِحُسْنِ
 التَّدْبِيرِ .

هَذَا وَقَدْ خَصَّصْنَا فَصْلًا لِلْبُلْدَانِ وَالْمَدِينِ، وَآخَرَ لِلْمَتَنَزَّهَاتِ وَالْقُصُورِ،
 وَثَالِثًا لِلْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ مُبَيِّنِينَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حَقَّقُوا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ :
 «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا» وَأَنَّ
 رُؤَسَاءَهُمْ عَمَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَلِرِعَائَتِهِمْ وَلِدِينِهِمْ .

بعض المراجع المهمة في هذا الباب

- (I) حضارة العرب : للدكتور غستاف لوبون ، تعريب عادل زعيتر ،
 (الباب 5 - فصل 7 و 8) .
- (2) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : لآدم ماز ، تعريب
 محمد عبد الهادي أبو ريده (ج 2 فصل 22) .
- (3) نفح الطيب : للمقرئ (ج I الباب الرابع) .
- (4) المعيار في ذكر المنازل والديار : لابن الخطيب .
- (5) فنون الاسلام : للدكتور زكي محمد حسن .
- (6) اسبانيا في القرن العاشر المسيحي : للاستاذ ليفي بروفنصال ،
 (الفصل الخاص بقرطبة) بالفرنسية .

ولمن اراد التوسع :

- (I) معجم البلدان : لياقوت الحموي .
 - (2) الخطط المقريزية .
 - (3) كتب «المسالك والممالك» الخ .
- وقد الفت كتب كثيرة في الفنون الاسلامية باللغات الاجنبية .

(56) مصر وغيرها

قَالَ السِّيُوطِيُّ : مِمَّا وُصِفَتْ بِهِ مِصْرُ أَنَّ صَعِيدَهَا (1) حِجَازِي يُنْبِتُ النَّخْلَ وَالِدَّوْمَ، وَهُوَ شَجَرُ الْمَقْلِ (2)، وَالْقَرُضُ (3)، وَالْأَهْلِيحُ (4)، وَالْفُلْفُلُ، وَأَسْفَلُ أَرْضِهَا شَامِي، يُمَطِّرُ مَطَرُ الشَّامِ وَيَقَعُ فِيهِ الشَّلُوجُ، وَيُنْبِتُ التِّينَ، وَالزَّيْتُونَ، وَالْعِنَبَ، وَالْجُوزَ، وَاللُّوزَ، وَالْفِسْتِقَ (5) وَسَائِرِ الْفَوَاكِهِ وَالْبُقُولِ وَالزَّيْجِينِ . وَهِيَ مَا يَبِينُ أَرْبَعُ صِفَاتٍ : فَضَّةٌ بَيْضَاءٌ، أَوْ مِسْكَةٌ سَوْدَاءٌ، أَوْ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءٌ، أَوْ ذَهَبَةٌ صَفْرَاءٌ. وَذَلِكَ أَنَّ نِيلَهَا يَطْبِقُهَا فَتَصِيرُ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ بَيْضَاءٌ، ثُمَّ يَنْضُبُ عَنْهَا فَتَصِيرُ مِسْكَةً سَوْدَاءً، ثُمَّ تَزْرَعُ فَتَصِيرُ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءً، ثُمَّ تَسْتَحْصِدُ فَتَصِيرُ ذَهَبَةً صَفْرَاءً .

وَحَكَى أَنَّ أَمِيرَ مِصْرَ، مُوسَى بْنَ عِيسَى (6)، كَانَ وَاقِفًا بِالْمِيدَانِ، عِنْدَ بَرْكَةِ الْجَيْشِ، فَالْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ : أَتَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ قَالُوا : لَا ! وَمَا يَرَى الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : أَرَى عَجَبًا مَا فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مِثْلُهُ ! فَقَالُوا : يَقُولُ الْأَمِيرُ . فَقَالَ : أَرَى مِيدَانِ أَزْهَارٍ، وَحِيطَانِ

(1) صعيد : ارض مصر المرتفعة ويقال لها بالفرنسية : مصر العالية .

(2) المقل : الفقير الذى قل ماله .

(3) القرص : ورق السلم وهو شجر صلب تصنع منه الرماح ويدبغ بورقه .

(4) الاهليح : Myrobolan ، اسم اطلق على اثمار عدة اشجار اصلها من الهند وهى مسهلة .

(5) الفستق : Pistache ، اثمار شجيرة وهى فى حجم الزيتون يستخرج منها دهن يستعمل فى الحلويات .

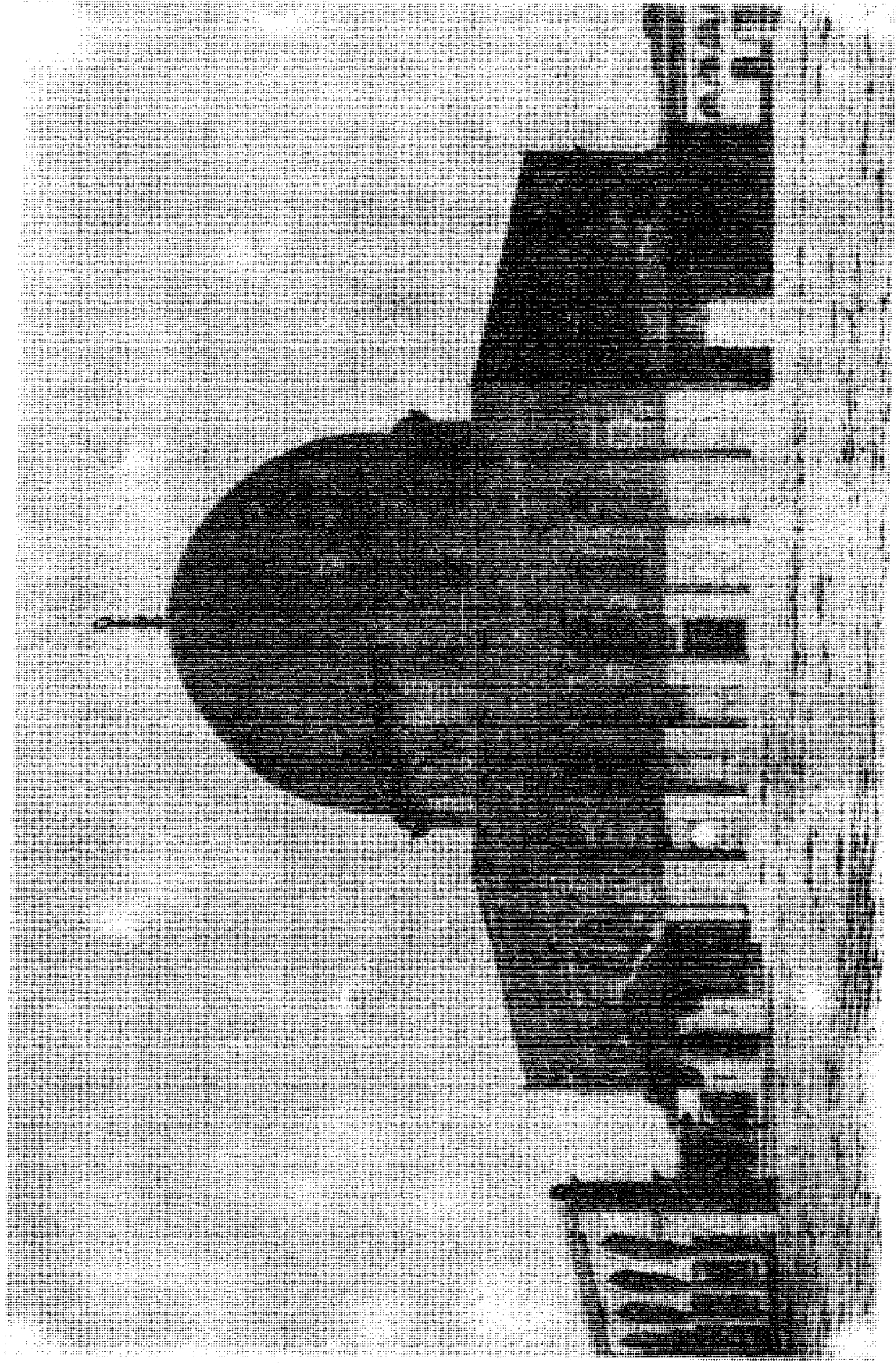
(6) موسى بن عيسى : هو موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم، كان امير مصر فى عهد الرشيد .

نَخْلٍ، وَبُسْتَانٍ شَجَرٍ، وَمَنَازِلَ سَكْنَى، وَجَبَانَةَ أُمُوتٍ، وَنَهْرًا عَجَاجًا (7)،
وَأَرَاضِي زَرْعٍ، وَمَرَاعِيَ مَاشِيَةٍ، وَمَرَاطِ خَيْلٍ، وَسَاحِلَ بَحْرٍ، وَقَانِصَ وَحْشٍ،
وَصَائِدَ سَمَكٍ، وَمَلَّاحَ سَفِينَةٍ، وَحَادِيَ إِبِلٍ، وَمَغَايِرَ وَرَمَلًا، وَسَهْلًا وَجَبَلًا.
فَهَذِهِ سَبْعَةٌ عَشَرَ فِي أَقَلِّ مِنْ مِئَلٍ فِي مِئَلٍ! وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الصَّلْتِ أُمِّيَّةً (8)
بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْدَلُسِيِّ يَصِفُ الرَّصْدَ الَّذِي يُظَاهِرُ مِصْرَ :

يَازْهَةَ الرَّصْدِ الَّذِي قَدْ نَزَهَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَا فِي جَانِبِ الْوَادِي
فَذَا غَدِيرٌ وَذَا رَوْضٌ وَذَا جَبَلٌ فَالضَّبُّ (9) وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ص 196 ج 2

(7) نهر عجاج : متدفق المياه يسمع لجريانه صوت .
(8) ابو الصلت : ولد بدانية سنة 460 هـ. (1068 م.) كان يقال له الاديبي
الحكيم ذهب الى الاسكندرية ثم انتقل في آخر حياته الى المهديّة وبها
توفي سنة 529 هـ. (1135 م.)
(9) الضب : حيوان من الزحافات يعيش في الاراضي الحارة - وتقول
العرب : اعقد من ذنب الضب - والنون : الحوت .



شيدت قبة الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان عام 691 م.
اسمها أم داود إسلامي، بقي حتى الآن



مدرسة وقبة وبیمارستان قلاوون بالنحاسین (القاهرة)

(57) مسجد دمشق وسوقها في القرن الثامن للهجرة

قَالَ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِيُّ (I) : إِنَّ مَسْجِدَ دِمَشْقَ مَعْمُورٌ بِالنَّاسِ كُلِّ النَّهَارِ وَطَرَفَيِ اللَّيْلِ، لَأَنَّهُ مَمَرُ الْمَدَارِسِ وَالْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ، وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الْأُثْمَةِ وَالْقُرَاءِ وَمَشَايِخِ الْعِلْمِ وَالْإِقْرَاءِ (2) وَوُجُوهِ أَهْلِ التَّصَدِيرِ وَالْإِفْتَاءِ، وَوُطَائِفِ الْحَدِيثِ وَقُرَّاءِ الْأَسْبَاعِ وَالْمَجَاوِرِينَ (3) مِنْ ذَوِي الصَّلَاحِ. فَلَا تَزَالُ أَوْقَاتُهُ مَعْمُورَةٌ بِالْخَيْرِ، أَهْلَةُ بِالْعِبَادَةِ، قَلٌّ أَنْ يَخْلُو طَرَفَةٌ عَيْنٍ، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، مِنْ مُصَلٍّ أَوْ جَالِسٍ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ لَا عَيْتَكَافٍ، أَوْ مُرْتَلٍّ لِلْقُرْآنِ، أَوْ رَافِعٍ عَقِيرَتَهُ بِأَذَانٍ، أَوْ مُكْرِرٍ فِي كِتَابٍ عِلْمٍ، أَوْ سَائِلٍ عَنْ دِينٍ، أَوْ بَاحِثٍ فِي مُعْتَقَدٍ، أَوْ مُقَرَّرٍ لِمَذْهَبٍ، أَوْ طَالِبٍ لِحَلِّ مُشْكِلٍ مِنْ سَائِلٍ وَمَسْئُولٍ. هَذَا إِلَى مَنْ يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ مُسْتَأْنِسًا لِحَدِيثٍ، أَوْ مُرْتَقِبًا لِقَاءِ أُنْجٍ، أَوْ مُتَفَرِّجًا فِي فضاء صُحْنِهِ، وَحُسْنِ مَرَأَى الْقَمَرِ وَالنَّجُومِ لَيْلًا فِي سَمَائِهِ. هَذَا إِلَى فَسْحَةِ الْفُضَاءِ، وَطَيْبِ الْهَوَاءِ، وَبَرْدِ رَوَاقَاتِهِ وَأَوْقَاتِ الْهَجِيرِ، وَحُسْنِ مَرَأَى مَيَازِيهِهِ أَحْيَانَ الْمَطَرِ. «وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ وَجْهَيْهَا قَمَرٌ».

(I) ابن فضل الله العمرى : ينتهى نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولد بدمشق سنة 700 هـ. (I30I م.) تولى القضاء والكتابة الف كتاب «مسالك الابصار فى ممالك الامصار» توفى بدمشق سنة 748 هـ. (I348 م.)

(2) مشايخ الاقراء : العلماء الذين يحسنون النطق بحروف القرآن ، وقراء الاسباع يحسنون الكيفيات السبع التى يقرأ بها القرآن ولكل من هذه القراءات شيخ قارىء يرجع اليه .

(3) المجاورون : هم الذين يعتكفون على العبادة فى المساجد ويقىمون فيها مدة طويلة .

وَيَقُولُ ابْنُ بَطُوطَةَ : «وَحَوْلَ هَذَا الْمَسْجِدِ شَوَارِعٌ مُسْتَدِيرَةٌ، فِيهَا حَوَانِيتُ الْبَزَازِينَ وَغَيْرُهَا، وَشَوَارِعٌ مُسْتَطِيلَةٌ، فِيهَا حَوَانِيتُ الْجَوْهَرِيِّينَ وَالْكَتَبِيِّينَ وَصُنَاعُ أَوَانِي الزُّجَاجِ الْعَجِيبَةِ. وَفِي الرَّحْبَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْبَابِ، دَكَاكِينُ لِكِبَارِ الشُّهُودِ: مِنْهَا دُكَّانٌ لِلشَّافِعِيَّةِ (4)، وَدَكَاكِينُ لِسَائِرِ الْمَذَاهِبِ، يَكُونُ فِي الدُّكَّانِ مِنْهَا الْخُمْسَةُ وَالسِّتَةُ مِنَ الْعُدُولِ وَالْعَاقِدِ لِلْأُنْكِحَةِ مِنْ قَبْلِ الْقَاضِي، وَسَائِرِ الشُّهُودِ مَتَفَرِّقُونَ فِي الْمَدِينَةِ . وَبِقُرْبٍ مِنْ هَذِهِ الدَكَاكِينِ سُوقُ الْوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ الْكَاغِدَ وَالْأَقْلَامَ وَالْمِدَادَ» .

عن مجلة المستمع العربي سنة 10 عدد 24

(4) الشافعية: هم الذين على مذهب الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى (توفى سنة 204هـ. 820م) والائمة اصحاب المذاهب الاخرى هم الامام : ابو حنيفة (مات سنة 150 هـ. 767 م.) . والامام ابو عبد الله مالك بن انس (179 هـ. 795 م.) ، والامام احمد بن حنبل (241 هـ. 855 م.) .

(58) بخارى

إنَّهَا مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ نَزْهَةٌ ، كَثِيرَةُ الْبَسَاتِينِ ، وَاسِعَةُ الْفَوَاكِهِ جَيِّدَتِهَا .
عَهْدِي بِفَوَاكِهَيْهَا تُحْمَلُ إِلَى مَرَوْ وَبَيْنَهُمَا اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَّخَلَةً ، وَإِلَى خَوَارِزْمَ
وَبَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِ عَشْرَةَ يَوْمًا .. وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الصُّورِ (I) :
وَأَمَّا نَزْهَةُ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فَلِئَنِّي لَمْ أَرْ وَلَا بَلَّغْنِي فِي الْإِسْلَامِ ، بَلَدًا أَحْسَنَ
خَارِجًا مِنْ بُخَارَى ، فَإِنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ قَهَنْدَرَهَا (2) لَمْ يَقَعْ بِصَرْكِ ، مِنْ جَمِيعِ
التَّوَّاجِيهِ إِلَّا عَلَى خَضْرَةٍ مُتَّصِلَةٍ خَضَرَتْهَا بِخَضْرَةِ السَّمَاءِ : فَكَأَنَّ السَّمَاءَ
بِهَا مَكَبَّةٌ خَضْرَاءَ مَكْبُوبَةٍ عَلَى بَسَاطٍ أَخْضَرَ تُلُوحُ الْقُصُورُ فِيهَا بَيْنَهَا ،
كَالتَّوَاوِيرِ فِيهَا . وَأَرَاظِي ضِيَاعَهُمْ مَمْنُوعَةٌ بِالْأَسْتِوَاءِ كَالْمَرَّاةِ . وَلَيْسَ بِمَا
وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَّاسَانَ ، بَلَدَةٌ أَهْلُهَا أَحْسَنُ قِيَامًا بِالْعِمَارَةِ عَلَى ضِيَاعِهِمْ مِنْ أَهْلِ
بُخَارَى ، وَلَا أَكْثَرُ عَدَدًا عَلَى قَدْرِهَا فِي الْمَسَاحَةِ . وَهِيَ مَدِينَةٌ بِنَاؤُهَا خَشَبٌ
مَشْبُكٌ ، وَيُحِيطُ بِهَذَا الْبِنَاءِ مِنَ الْقُصُورِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَحَالِّ ، وَالسُّكُكِ
الْمُفْتَرَشَةِ ، وَالْقُرَى الْمُتَّصِلَةِ ، سُرٌّ يَكُونُ اثْنَى عَشَرَ فَرَسَخًا فِي مِثْلِهَا يَجْمَعُ
هَذِهِ الْقُصُورَ وَالْأَبْنِيَةَ وَالْقُرَى وَالْقَصَبَةَ ، فَلَا تَرَى فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، قِفَارًا وَلَا
خُرَابًا .. وَلَيْسَ بِخُرَّاسَانَ ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، مَدِينَةٌ أَشَدَّ اشْتِبَاكًا ، وَلَا
أَكْثَرَ أَهْلًا عَلَى قَدْرِهَا ، وَلَهُمْ فِي الرَّبْضِ نَهْرٌ الصَّغْدِيُّ يَشُقُّ الرَّبْضَ ... فَيَقْضِي
إِلَى طَوَّاحِينَ وَضِيَاعٍ وَمَزَارِعَ .

معجم البلدان ج 2 ص 82

(I) صاحب كتاب الصور : المعروف ان الكثيرين من الجغرافيين المسلمين
كانوا يحلون كتبهم بالصور توضيحاً لما يصفون، ولم يكونوا هم اول
من ابتدع هذه الطريقة - ولا ندرى الى من يشير الكاتب هنا .
(2) قهندز : برج او قصبة .

(59) رعاية للوطن : الحيرة

كَانَ بَعْضُ وَلَاةِ الْكُوفَةِ يَذُمُّ الْحِيرَةَ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ أَهْلِهَا - وَكَانَ عَاقِلًا ظَرِيفًا : أَتُعِيبُ بِلَدَةً بِهَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : وَبِمَاذَا تُمَدِّحُ ؟ قَالَ : بِصِحَّةِ هَوَائِهَا، وَطَيِّبِ مَائِهَا ، وَنُزْهَةِ ظَاهِرِهَا ، تَصْلُحُ لِلْخَفِ وَالظِّلْفِ (1)؛ سَهْلٌ ، وَجَبَلٌ ، وَبَادِيَةٌ ، وَبُسْتَانٌ ، وَبَرٌّْ ، وَبَحْرٌ ؛ مَحَلُّ الْمُلُوكِ وَمَزَارِهِمْ وَمَسْكَنُهُمْ وَمَثْوَاهُمْ . وَقَدْ قَدَّمْتُهَا - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - مَخْفَاً (2) فَرَجَعْتُ مَثْقَلًا، وَوَرَدْتُهَا مُقْلًا (3) فَأَصَارَتَكَ مُكْثَرًا . قَالَ : فَكَيْفَ نَعْرِفُ مَا وَصَفْتُهَا بِهِ مِنْ الْفَضْلِ ؟ قَالَ : بِأَنْ تَصِيرَ إِلَى ، ثُمَّ ادْعَ مَا شِئْتَ مِنْ لَذَاتِ الْعَيْشِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجُوزُ بِكَ الْحِيرَةَ فِيهِ .

قَالَ : فَاصْنَعْ لَنَا صَنِيعًا (4)، وَاخْرُجْ مِنْ قَوْلِكَ . قَالَ : أَفْعَلُ ، فَصْنَعُ لَهُمْ طَعَامًا وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ خَبِيزِهَا وَسَمَكِهَا وَمَا صِيدَ مِنْ وَجْشِهَا : مِنْ طِبْءٍ وَنَعَامٍ وَأَرَانِبٍ وَحُبَارَى؛ وَسَقَاهُمْ مَاءَهَا فِي قِلَالِهَا؛ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى رَقْمِهَا؛ وَلَمْ يَسْتَخْدِمْ لَهُمْ حَرًّا وَلَا عَبْدًا إِلَّا مِنْ مَوْلِدِهَا (5) وَمَوْلِدَاتِهَا مِنْ خَدَمٍ وَوَصَائِفٍ وَوَصَفَاءٍ كَانَتْهُمْ التُّلُؤُ ، لُعْتَهُمْ لُغَةُ أَهْلِهَا . ثُمَّ غَنَّاهُمْ حَنِينَ (6) وَأَصْحَابَهُ

(1) للمخف والظلف : أى للحيوانات ذات الخف كالبقر والظلف كالجمال

(2) مخفاً : خفيف الحمل .

(3) مقل : فقير

(4) صنيع : هنا مأدبة

(5) مولد : هو الذى ابوه عربى وامه عجمية .

(6) حنين الحيرى : كان شاعرا مغنيا عاش فى عهد هشام بن عبد الملك.

فِي شِعْرِ عُدَى (7) بَنُ زَيْدٍ شَاعِرُهُمْ ، وَأَعَشَى هَمْدَانَ (8) لَمْ يَتَجَاوَزْهُمَا .
وَحَيَّاهُمْ بِرِّيَاحِينَهَا ، وَنَقَلَهُمْ عَلَى شَرَابِهَا ، وَقَدْ شَرِبُوا ، بِفَوَاحِيهَا . ثُمَّ قَالَ
لَهُ : هَلْ رَأَيْتَنِي اسْتَعْنْتُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا رَأَيْتُ وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَافْتَرَشْتُ
وَشَمِمْتُ وَسَمِعْتُ بِغَيْرِ مَا فِي الْحِيرَةِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ
صِفَةَ بَلَدِكَ فَأَحْسَنْتَ نَصْرَتَهُ وَالْخُرُوجَ مِمَّا تَضَمَّنْتَهُ ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي
بَلَدِكُمْ . !

الآغانى ج 2 ص 351 .

(7) عدى بن زيد: (582 م.) شاعر من شعراء الجاهلية تربي ببلاد فارس
وكان أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى . حظى عند النعمان
ابن المنذر وتزوج بابنته هند ولكن لم يلبث أن غضب عليه المنذر
فقتله .

(8) اعشى همدان : شاعر كوفي فصيح، صاحب ابن الاشعث عدو الحجاج
ابن يوسف، فقبض عليه هذا وقتله سنة 82 هـ. 702 م.

(60) البصرة

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ (I) : وَفَدَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ (2) عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (3)، فَوَافَقَ عِنْدَهُ وَفُودُ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَقَدْ اتَّخَذَ مُسْلِمَةَ (4)، مَصَانِعَ (5)، فَسَأَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ أَنْ يَأْذَنَ لِلْوُفُودِ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى تِلْكَ الْمَصَانِعِ فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَمَّا نَظَرُ إِلَيْهَا مُسْلِمَةُ أُعْجِبَ بِهَا، فَأَقْبَلَ عَلَى وَفْدِ مَكَّةَ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ هَلْ فِيكُمْ مِثْلُ هَذِهِ الْمَصَانِعِ؟ فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنْ فِيْنَا بَيْتَ اللَّهِ الْمُسْتَقْبَلِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى وَفْدِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ هَلْ فِيكُمْ مِثْلُ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنْ فِيْنَا قَبْرَ نَبِيِّ اللَّهِ الْمُرْسَلِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى وَفْدِ الْكُوفَةِ فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ سُؤَالَهِ، فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنْ فِيْنَا تِلَاوَةَ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ (*) ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى وَفْدِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَأَعَادَ سُؤَالَهِ، فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ قَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا عَلَى بِلَادِهِمْ وَلَوْ أَنَّ عِنْدَكَ مَنْ لَهُ بِبِلَادِهِمْ خَبْرَةٌ لَأَجَابَ عَنْهُمْ. قَالَ: أَفَعِنْدَكَ فِي بِلَادِكَ غَيْرُ مَا قَالُوهُ فِي بِلَادِهِمْ؟

(*) ذكر أهل الكوفة تلاوة القرآن لأن أكثر أهل الكوفة كانوا شيعة معتكفين على تلاوة القرآن وطلب العلم.

(I) المدائني : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي يوسف المدائني - كان إماماً حافظاً ثقة، وكثيراً ما يروى عنه أصحاب التواريخ توفي سنة 231 هـ. (846 م.).

(2) خالد بن صفوان : أحد عقلاء العرب . وفد مراراً على عبد الملك بن مروان واتخذهُ السُّفَّاحَ نديماً يرجع إلى مشاورته في معضلات الأمور. توفي سنة 140 هـ. (757 م.).

(3) عبد الملك بن مروان : تقدمت ترجمته (قطعة 23)

(4) مسلمة بن عبد الملك : أخو الخليفة الأموي - كثيراً ما تولى قيادة الجيش وإمارة الحج مات 119 هـ. (638 م.).

(5) مصانع : هنا بنايات وبساتين .

قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَصِيفُ لَكَ بِلَادَنَا. فَقَالَ: هَاتِ. قَالَ: يَغْدُو قَانِصَنَا
وَنَحْنُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَاجًا، وَسَاجًا، وَخَزَا، وَدِيْبَاجًا، وَبَرْدُونًا هَمْلَاجًا (9)
وَخَرِيدَةً (IO) مِفْنَاجًا (II) بِيُوتُنَا الذَّهَبُ، وَنَهْرُنَا الْعَجَبُ، أَوَّلُهُ الرُّطْبُ، وَأَرْسَطُهُ
الْعِنَبُ، وَآخِرُهُ الْقَصَبُ، فَأَمَّا الرُّطْبُ عِنْدَنَا فَمِنَ النَّخْلِ فِي مَبَارِكِهِ كَالزَّيْتُونِ
عِنْدَكُمْ فِي مَنَابِتِهِ، هَذَا عَلَى أَفْتَانِهِ كَذَلِكَ عَلَى أَغْصَانِهِ، هَذَا فِي زَمَانِهِ كَذَلِكَ
فِي إِثْبَانِهِ مِنَ الرَّاسِخَاتِ فِي الْوَحْلِ، الْمُطْعَمَاتِ فِي الْمَحَلِّ (I2) يَخْرُجُنَّ إِسْفَاطًا
عِظَامًا وَأَوْسَاطًا (I3) ضِخَامًا. وَأَمَّا نَهْرُ الْعَجَبِ فَإِنَّ الْمَاءَ يَقْبَلُ عَنْقًا فَيَفِيضُ
مُنْدَفِقًا، فَيَغْسِلُ غَتَّهَا (I5) وَيَبْدِي مَبِثَّهَا (I6)، يَأْتِينَا فِي أَوَانٍ عَطِشْنَا،
وَيَذْهَبُ فِي زَمَانٍ رَرِينَا، فَتَأْخُذُ مِنْهُ حَاجَتُنَا وَنَحْنُ نِيَّامٌ عَلَى فِرَاشِنَا، فَيَقْبَلُ
الْمَاءُ وَلَهُ عُجَابٌ وَازْدِيَادٌ، وَلَا يَحْجُبُنَا عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا تُغْلِقُ دُونَهُ الْأَبْوَابُ.
وَأَمَّا بِيُوتُنَا الذَّهَبُ فَإِنَّا لَنَأَعْلِيهِمْ (I7) خِرَاجًا السِّنِينَ وَالشُّهُورَ نَأْخُذُهُ فِي
أَوْقَاتِهِ وَيُسَلِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آفَاتِهِ وَنُفْقِهِ فِي مَرْضَاتِهِ.

معجم البلدان ج 2 ص 204

-
- (6) الشبوط : ج. شبابيط : حوتة عريضة رقيقة الذنب صغيرة الرأس.
(7) الشيم : نوع من السمك واحدتها شيمة .
(8) الظليم : ج. ظلمان : ذكر النعام .
(9) هملاجا : ذا خطوات متزنة سريعة .
(IO) خريدة : عذراء .
(II) مفنجا : صاحبة دلال .
(I2) المحل : القحط . محل المكان : اجذب، وامحل القوم : اصابهم الجذب .
(I3) اسقاط واوساط : هنا عراجين التمر (الرطب) .
(I4) عنقا : متدقفا سريعا يقال عنق : فاض .
(I5) الفث في الاصل : هو الشيء الضعيف وهنا بمعنى الوسخ .
(I6) المبث : هو الشيء الخفى - «والهاء» في غثها ومبثها تعود على البصرة .
(I7) عليهم : اى العجم .

(61) بغداد

لَمَّا عَزَمَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ (I) عَلَى بِنَاءِ مَدِينَةٍ لَهُ، وَلِعِيَالِهِ وَأَهْلِهِ وَجُنْدِهِ، أَرْسَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْحُكَمَاءِ، ذَوِي الثَّلَبِ وَالْعَقْلِ، لِارْتِيَادِ (2) مَوْضِعٍ، فَاخْتَارُوا لَهُ ذَلِكَ، وَقَصَدَ الْمَكَانَ بِنَفْسِهِ وَاخْتَبَرَهُ كَيْلًا وَنَهَارًا، فَاسْتَطَابَهُ . وَنَبَّهَهُ بَعْضُ عَقْلَاءِ النَّصَارَى إِلَى فَضِيلَةِ مَكَانَتِهَا، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَكُونُ عَلَى الصَّرَةِ بَيْنَ دَجْلَةَ وَالْفُرَاتِ . فَإِذَا حَارَبَكَ أَحَدٌ كَانَتْ دَجْلَةُ وَالْفُرَاتُ خَنَادِيقَ لِمَدِينَتِكَ، ثُمَّ إِنْ الْمِيرَةَ (3) تَأْتِيكَ فِي دَجْلَةَ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ تَارَةً ، وَمِنْ الْبَحْرِ وَالْهِندِ وَالصَّيْنِ وَالْبَصْرَةِ تَارَةً ، وَفِي الْفُرَاتِ مِنَ الرِّقَّةِ وَالشَّامِ .. وَتَجِيئُكَ الْمِيرَةُ أَيْضًا مِنْ خُرَاسَانَ وَبِلَادِ الْعَجَمِ فِي شَطِ تَامِرَا . وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ أَنْهَارٍ ، لَا يَصِلُ إِلَيْكَ عَدُوُّكَ إِلَّا عَلَى جَسَرٍ أَوْ قَنْطَرَةٍ . فَإِذَا قَطَعْتَ الْجَسَرَ أَوْ أَخْرَبْتَ الْقَنْطَرَةَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ عَدُوُّكَ . وَأَنْتَ مُتَوَسِّطٌ لِلْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَوَاسِطٌ وَالْمَوْصِلِ وَالسَّوَادِ (4) . وَأَنْتَ قَرِيبٌ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْجَبَلِ » . فَازْدَادَ الْمَنْصُورُ جَدًّا وَحِرْصًا عَلَى بِنَائِهَا . وَكَاتِبَ الْأَطْرَافِ بِإِنْفَازِ الصَّنَاعِ وَالْفَعْلَةِ (5) . وَأَمَرَ بِاخْتِيَارِ قَوْمٍ مِنْ ذَوِي الْعَدَالَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَمَانَةِ،

(I) ابو جعفر المنصور : تقدمت ترجمته (قطعة رقم 22) .

(2) ارتياد : من راد يرود الشيء : طلبه، وراد الارض : تفقد ما فيها من المراعى والماء ليرى هل تصلح للنزول فيها .

(3) الميرة : من مار - يميز ميرا - الرجل عياله ، اتاهم بالطعام والمؤونة، فالميرة هو الطعام الذى يدخره الانسان .

(4) السواد : هو ما حول البلدة من القرى او الريف وسمى ما حول بغداد كذلك لسواد الارض وخصبها .

(5) الفعلة ج. فاعل : بمعنى العملة .

وَالْمَعْرِفَةَ بِالْهَنْدَسَةِ، لِيَتَوَلَّوْا قِسْمَةَ الْمَدِينَةِ وَعَمَلَهَا . وَوَضَعَ بِيَدِهِ أَوَّلَ لُبْنَةٍ،
وَقَالَ : « بِاسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْأَرْضُ لِلَّهِ ، يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ،
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » . ثُمَّ قَالَ : « ابْنُوا » وَجَعَلَهَا مَدُورَةً، وَجَعَلَ قَصْرَهُ فِي
وَسْطِهَا، لِئَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرِ . وَشَرَعَ فِيهَا سَنَةَ 145 هـ .
وَتَمَّمَهَا فِي سَنَةِ 146 هـ ، (*)

الفخرى



(*) انظر وصفا تاما لبغداد للمؤرخ اليعقوبى ص 119 من كتاب الاستاذ
بلاشير «منتخبات من آثار الجغرافيين فى القرون الوسطى»

(62) تلمسان

قَالَ ابْنُ خَفَّاجَةَ (I) مُخَاطِباً أَهْلَ تَلَمَّسَانَ : (بسيط)

مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي مَنَازِلِكُمْ وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيْرْتُ اخْتَارَ
لَا تَتَّقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وَمِمَّا يُنْسَبُ لِللِّسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ (2) فِي وَصْفِهَا مَا صَوَّرْتُهُ:
«تَلَمَّسَانَ مَدِينَةً جُمِعَتْ بَيْنَ الصُّحُرَاءِ وَالرِّيفِ، وَوُضِعَتْ فِي مَوْضِعٍ شَرِيفٍ،
كَانَهَا مَلِكٌ عَلَى رَأْسِهِ تَاجَةٌ، وَحَوَالِيهِ مِنَ الدَّوْحَاتِ (3) حَشْمُهُ وَأَعْلَاجُهُ،
عِبَادُهَا (4) يَدُهَا، وَكَهْفُهَا (5) كَفُّهَا، وَزَيْتَانُهَا (6)، وَعَيْنُهَا أَعْيَانُهَا.

(I) ابن خفاجة 450 - 533 هـ. 1098 - 1138 م، شاعر اندلسي كان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستمache ملوك الطوائف، له ديوان شعر احسن فيه كل الاحسان - والمعروف ان هذه الابيات قيلت في اهل الأندلس .

(2) لسان الدين بن الخطيب القرطبي : ولد بلوشة قرب غرناطة - استوزره بنو الأحمر توفي مقتولا بفاس سنة 776 هـ. (1375 م)، وله تأليف وانشادات ومراسلات ذكر منها المقرئ قسماً كبيراً في كتاب «نفع الطيب» و«ازهار الرياض» .

(3) الدوحات ج دوحه : شجرة عظيمة باسقة .

(4) عباد : جبل صغير قرب تلمسان، يقال انه كان يتعبد فيه اولياء كثيرون. وبه قبة فبر ومسجد سيدي ابي مدين .

(5) كهف : ربما يقصد به الموضع الذي يسمى اليوم «بالاوريط» وهو شبه مغارة في كنف جبل فيه عيون ماء باردة عذبة يقصدها اهل تلمسان في الصيف للتنزه .

(6) زيان : ربما يقصد بهذا الاسم الزيانيين اى ملوك بني عبد الوادي الذين حكموا مملكة تلمسان اكثر من قرنين (1239 - 1554) .

هَوَاهَا الْمُقْصُورُ (7) بِهَا فَرِيدٌ، وَهَوَاؤُهَا الْمَدْدُودُ صَحِيحٌ عَتِيدٌ، وَمَاؤُهَا
 بَرُودٌ صَرِيدٌ، حَجَبَتْهَا أَيْدِي الْقُدْرَةِ عَنِ الْجَنُوبِ، فَلَا نُحُولَ فِيهَا وَلَا شُحُوبَ.
 خِزَانَةُ زَرْعٍ، وَمَسْرَحَ ضَرْعٍ (8) فَوَاكِهَهَا عَدِيدَةُ الْأَنْوَاعِ، وَمَتَاجِرُهَا فَرِيدَةُ
 الْإِنْتِفَاجِ، وَبَرَانِسُهَا رِقَاقُ رِقَاقٍ، إِلَّا أَنَّهَا بِسَبَبِ حُبِّ الْمُلُوكِ، مَطْمَعَةٌ لِلْمُلُوكِ،
 وَمِنْ أَجْلِ جَمْعِهَا الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفَرَا (9) مَغْلُوبَةٌ لِلْأَمْرَاءِ، أَهْلُهَا لَيْسَتْ عَنْدهُمْ
 الرَّاحَةُ إِلَّا فِيمَا قَبِضَتْ عَلَيْهِ الرَّاحَةُ (10)، وَلَا فِلَاحَةٌ (II) إِلَّا لِمَنْ أَقَامَ رَسْمَ
 الْفِلَاحَةِ؛ لَيْسَ بِهَا لَسْعُ الْعَقَارِبِ، إِلَّا فِيمَا بَيْنَ الْأَقَارِبِ؛ وَلَا شَطَارَةٌ (I2)،
 إِلَّا فِيمَنْ ارْتَكَبَ الْحَضَارَةَ.

نفح الطيب ج 4 ص 268

-
- (7) هوى المقصور : الذى يكتب بالف مقصورة ومعناه : العشق يكون
 فى الخير والشر، هواء المددود : الذى يكتب بالف ممدودة : الجو
 الرياح .
 (8) مسرح ضرع : اى مرعى الحيوانات ذوات الضروع (الضرع للبقر
 كالئدى للمرأة) .
 (9) الفرا : حمار الوحش - ويقال : كل الصيد فى جوف الفرا (اى
 فهو اذا صيد يغنى عن غيره) والمعنى هنا ان تلمسان احتوت على
 جميع الخيرات ولذا ترى الامراء يتقاتلون للاستيلاء عليها .
 (10) الراحة : كف اليد - ومعنى الجملة ان اهل تلمسان لا يشقون الا بما
 فى ايديهم اما الباقي من الاملاك فهو معرض للضياع لكثرة المغيرين
 على بلدهم والمحاصرين لها .
 (II) الفلاحة الاولى : النجاح والثانية : حراثة الارض .
 (I2) الشطارة : الدهاء والخيانة - ومنها الشاطر ج شطار .

(63) فاس في عهد المرصدين

قَدْ جَمَعَتْ فَاسُ بَيْنَ عُدُوبَةِ الْمَاءِ، وَاعْتِدَالِ الْهَوَاءِ، وَطَيِّبِ التُّرْبَةِ، وَحُسْنِ الثَّمَرَةِ. فَلَهَا مِنَ الْحَرْثِ الْعَظِيمِ سَقِيًّا وَبَعْلًا (I) عَلَى كُلِّ جِهَةٍ مِنْهَا. وَعَلَيْهَا الْمُحَطَّبُ فِي جَبَلِ بَنِي تَهْدَلِ الَّذِي فِي قِبَلَتِهَا، يَصْبِغُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى أَبْوَابِهَا مِنْ أَحْمَالِ حَطَبِ الْبُلُوطِ وَالْفَحِيمِ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً، وَنَهْرَهَا يَشُقُّهَا نِصْفَيْنِ وَيَتَشَعَّبُ فِي دَاخِلِهَا أَنْهَارًا وَجَدَاوِلَ وَخِلْجَانًا، فَتَخْلُلُ الْأَنْهَارُ دِيَارَهَا، وَبَسَاتِينَهَا، وَجَنَاتَهَا، وَشَوَارِعَهَا، وَأَسْوَاقَهَا، وَحَمَامَاتَهَا، وَتَطْحَنُ بِهِ أَرْحَاؤُهَا، وَيَخْرُجُ مِنْهَا وَقَدْ حُمِلَ أَثْقَالُهَا، وَاقْدَارُهَا وَارْمَدَتُهَا.

قَالَ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ: بَلَغَتْ فَاسُ، فِي أَيَّامِ الْمُرَابِطِينَ وَأَيَّامِ الْمُوحِدِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، مِنَ الْعِمَارَةِ وَالْغِبْطَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ وَالِدِّعَةِ، مَا لَمْ تَبْلُغْهُ مَدِينَةُ مِنْ مَدْنِ الْمَغْرِبِ. انْتَهَى عَدَدُ مَسَاجِدِهَا فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ (2) وَأَبْنَةِ النَّاصِرِ 782 مَسْجِدًا. وَاحْصَاءُ مَا بِهَا مِنَ السَّقَايَاتِ وَدِيَارِ الْوُضُوءِ 122 مَوْضِعًا، وَمِنْ الْحَمَامَاتِ الْمُبْرَزَةِ لِلنَّاسِ 73 حَمَامًا، وَمِنْ الْأَرْحَاءِ الَّتِي دَارَ عَلَيْهَا الشُّورُ 472 حَجَرًا دُونَ مَا بِخَارِجِهَا. وَأُحْصِيَتْ الدِّيَارُ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ فَكَانَتْ 89.236 دَارًا، وَ 19.041 مِصْرِيَّةً (3). وَمِنْ الْفَنَادِقِ الْمُعَدَّةِ لِلتَّجَارِ وَالْمَسَافِرِينَ وَالْغُرَبَاءِ

(I) البعل من الارض : ما يسقيه المطر ولا يسقى بماء الينابيع .
(2) المنصور : هو ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن : هو الذي أسس مدينة الرباط ، مات سنة 595 هـ .
(3) مصرية : (اللفظة مغربية) محل يتخذ في الدار على حدة ويخصص عادة للابناء الكبار وللضيوف .

467 فُنْدُقًا . وَمِنْ الْحَوَانِيتِ 9.082 حَانُوتًا ، وَقَسَارِيَّتَانِ ، إِحْدَاهُمَا بَعْدُوةُ الْقَرْوِيِّينَ ، وَالثَّانِيَةُ بَعْدُوةُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى وَادِي مَصْمُودَةَ .. وَأُخْصِيَ مَا بِهَا مِنْ التَّرَابِيعِ وَالْأَطْرَازِ الْمَعْدَّةِ لِصِنَاعَةِ الْحَيَّاتِكَةِ ، فَكَانَتْ 3.064 مَوْضِعًا ، وَكَانَ بِهَا مِنَ الدِّيَارِ الْمَعْدَّةِ لِعَمَلِ الصَّابُونِ 47 دَارًا ، وَلِلدَّبَاغَةِ 86 دَارًا ، وَلِلصَّبَاغَةِ 116 دَارًا ، وَ122 دَارًا لِسِكِّ النِّحَاسِ ، وَ130 كُوشَةً لِعَمَلِ الْجِيرِ ، وَ1.170 فَرْنًا ، وَ11 مَوْضِعًا لِعَمَلِ الزَّجَاجِ ، وَبِخَارِجِهَا مِنَ الدِّيَارِ الْمَعْدَّةِ لِعَمَلِ الْفَخَّارِ 118 دَارًا ، وَكَانَ بِهَا 400 لِعَمَلِ الْكَاغِدِ .

عن الانيس المطرب بروض القرطاس



(64) قرطبة

قَالَ السُّلْطَانُ يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ،
لِأَحَدِ رُؤَسَاءِ أَجْنَادِ قُرْطُبَةَ : مَا تَقُولُ فِي قُرْطُبَةَ ؟ فَخَاطَبَهُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ
كَلَامُ عَامَّةِ الْأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ : جَوْفَهَا (شَمَالُهَا) شَمَامٌ، (يَعْنِي بِهَا جِبَالُ الْوَرْدِ).
وَعَرَبِيَّهَا فَمَامٌ (يَعْنِي مَا يُوَكِّلُ) ، وَقَبْلَتُهَا مَدَامُ (يَقْصِدُ بِهَا النَّهْرُ) وَالْجَنَّةُ
هِيَ وَالسَّلَامُ .

قَالَ فِيهَا بَعْضُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ :

بَارَبَّعَ فَاقَتِ الْأَمْصَارُ قُرْطُبَةَ مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا
هَاتَانِ اثْنَتَانِ وَالزُّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ وَالْعِلْمُ أَكْثَمُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وَقَالَ الْحَجَرِيُّ فِي الْمُسْتَهَبِ : كَانَتْ قُرْطُبَةُ فِي الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ (I)
قُبَّةَ الْإِسْلَامِ، وَمَجْمَعِ أَعْلَامِ الْأَنْامِ . بِهَا اسْتَقَرَّ سِرِيرُ الْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَفِيهَا
تَمَحَّضَتْ (2) خُلَاصَةُ الْقَبَائِلِ الْمَعْدِيَّةِ (3) وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَلِئِذَا كَانَتْ الرِّحْلَةُ
فِي الرِّوَايَةِ (4) ، إِذْ كَانَتْ مَرْكَزَ الْكُرَمَاءِ ، وَمَعْدِنِ الْعُلَمَاءِ . نَهَرُهَا أَحْسَنُ

(I) الدولة المروانية : يعنى بها الدولة الاموية بالاندلس نسبة الى مروان بن الحكم .

(2) تمحضت : المحض من اللبن وغيره : الخالص الذى لم يخالطه شيء ويقال : عربى محض : اى خالص النسب .

(3) القبائل المعديّة : قبائل شمال جزيرة العرب وهم ابناء مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(4) فى الرواية : اى لرواية الحديث .

الأنهار ، هُكْتَنَفَ بِدِيْبَاجِ المَرْوَجِ ، مُطَرَّرٌ بِالْأَزْهَارِ ، تَصَدَّحُ فِي جَنَبَاتِهِ الْأَطْيَارُ ،
وَتَنْعُرُ التَّوَاعِرُ ، وَيَبْتَسِمُ النُّوَارُ ، وَقَرَطَاهَا (5) الزَّاهِرَةُ وَالزَّهْرَاءُ ، وَافْقَاهُمَا
النَّعْمَاءُ وَالسَّرَاءُ ، وَلَئِنْ كَانَ قَدْ اخْنَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ وَغَيَّرَ أَوْجُهَهَا الْحَسَانُ
فَتِلْكَ عَادَتُهُ ! إِذْ لَمْ يَزَلْ يَنَادِي بِصُرُوفِهِ : لَا أَمَانَ ! لَا أَمَانَ !

عن الحلل السندسية للامير شكيب. أرسلان ج I ص 194



(5) القرط : ما تعلقه المرأة في شحمة اذنها من درة ونحوها للتزيين

(65) أُنْذِرْ مَا كَانَ فِي الْوَطَنِ

قَالَ أَبُو عِمْرَانَ (I) مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ فِي جَوَابِهِ لِأَبِي يَحْيَى، صَاحِبِ سَبْتَةَ، لَمَّا اسْتَوَزَرَهُ مُسْتَنْصِرٌ (2) بَنَى عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَذْكُورِ يَرْغِبُهُ فِي النُّقْلَةِ عَنِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى مُرَاكُشٍ: «وَأَمَّا مَا ذَكَرَ سَيِّدِي مِنَ التَّخْيِيرِ بَيْنَ تَرْكِ الْأَنْدَلُسِ وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ مُرَاكُشٍ، فَكَفَى الْفَهْمَ الْعَالِي مِنَ الْإِشَارَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَالْعِزُّ مَحْمُودٌ، وَمُلْتَمَسٌ وَالذُّهُ مَا كَانَ فِي الْوَطَنِ
فَإِذَا نِلْتُ بِكَ السَّمَاءَ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ، فَعَلَى مَنْ أَسُودَ فِيهَا؟ وَمَنْ
ذَا أَضَاهَى (3) بِهَا؟ وَكَيْفَ أَفَارِقُ الْأَنْدَلُسَ، وَقَدْ عَلِمَ سَيِّدِي أَنَّهَا جَنَّةُ
الدُّنْيَا بِمَا حَبَّاهَا (4) اللَّهُ مِنْ أَعْتِدَالِ الْهَوَاءِ، وَعَذُوبَةِ الْمَاءِ، وَكَثَافَةِ الْأَفْيَاءِ (5)
وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْرَحُ فِيهَا بَيْنَ قَرَّةٍ عَيْنٍ وَقَرَارٍ نَفْسٍ:
هِيَ الْأَرْضُ لَا وَرْدَ لَدَيْهَا مُكْدَّرٌ وَلَا ظِلٌّ مَقْصُورٌ وَلَا رَوْضٌ مُجَدَّبٌ
أَفْقٌ صَقِيلٌ، وَبَسَاطٌ مَدْبَجٌ، وَمَاءٌ سَائِجٌ، وَطَائِرٌ مُتَرَنِّمٌ بَلِيلٌ.

(I) أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر كان أحد الأفاضل الصالحين والأجواد السمعاء يؤم الناس في صلاة الفريضة .
(2) مستنصر بن عبد المؤمن هو الخليفة الخامس من الدولة الموحدية: بويح له وعمره ست عشرة سنة ومات بعد عشر سنين (620 هـ . 1223 م.) بمراكش . وفي مدته تهدنت البلاد الأندلسية والأفريقية من غير منازع ولا معاند .

(3) ضاهى - يضاهاى : شابه وهنا نafs .

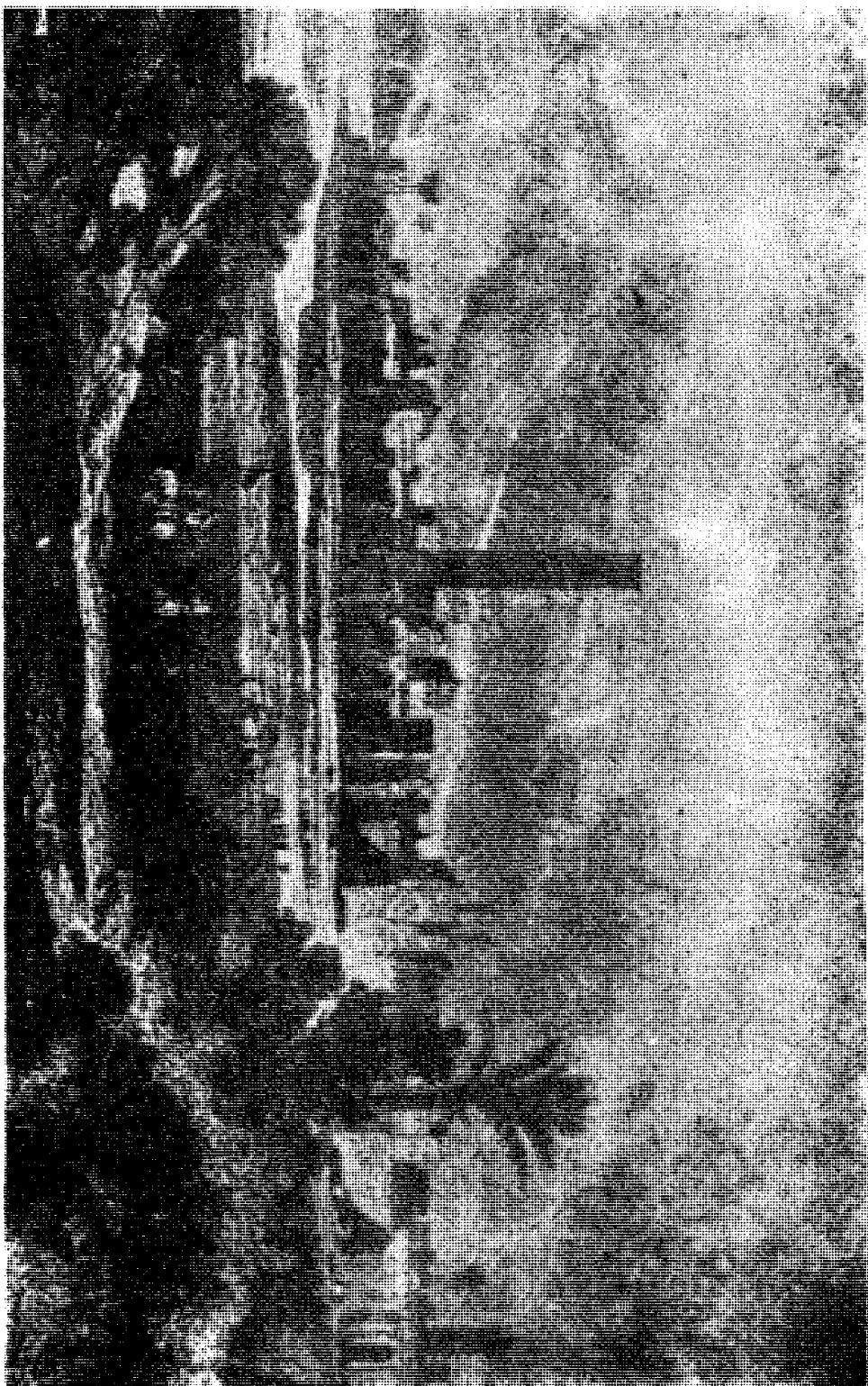
(4) حباه بالشيء يحبوه : أعطاه إياه وآثره به .

(5) الأفياء ج فيء : الظل

وَكَيْفَ يَعْدُلُ الْأَدِيبُ عَنْ أَرْضٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ فَيَاسَمَوْءَل (6) الْوَفَاءُ
وَيَاحَاتِم (7) السَّمَاح ، وَيَاجِدِيْمَة (8) الصُّفَاء ، كَمَلْ لِمَنْ أَمْلَكَ النِّعْمَةَ يَنْتَرِكْ
فِي مَوْطِنِهِ ، غَيْرُ مُكَدِّرٍ لِحَاطِرِهِ ، بِالتَّحَرُّكِ مِنْ مَعْدِنِهِ مُتَلَفِتًا إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ :
وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَفَارِقَهَا وَالْمَاءُ فِي الْمَزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِي الْغَدْرِ
فَإِنْ أَغْنَاهُ اهْتِمَامُ مُؤْمِلِهِ عَنْ ارْتِيَادِ الْمَرَادِ ، وَبَلَغَهُ دُونَ أَنْ يَشْدَ قَتَبًا (9) ،
وَلَا أَنْ يَنْضَى عَيْسًا (10) غَايَةَ الْمَرَادِ أَنْشَدَ نَاجِعُ الْمَرْغُوبِ بِإِلْغِ الْمَطْلُوبِ :
وَلَيْسَ الَّذِي يَسْتَتْبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (11)
عن الحلل السندسية ج I ص 220

-
- (6) السموءل بن عادياء : هو الشاعر اليهودي الذي يضرب به المثل في الوفاء ، عاش قبيل الاسلام وكان حصنه المعروف بالابلق قرب يثرب (المدينة) .
(7) حاتم : انظر قطعة رقم 50 .
(8) جديمة الابرش او جديمة الوضاح : من الملوك المنادرة بالعراق (قبل الاسلام) يضرب به المثل بطول المنادمة لانه كان له نادمان عاشراه اربعين عاما .
(9) قتب وقتب ج اقتاب : هو البردعة او الرحل الذي يشد على البعير .
(10) العيس : الجمل - وانضاه : اهزله بكثرة الاسفار .
(11) رائد : هو الذي يتقدم القافلة للبحث عن ارض تصلح للنزول لما بها من كلاً وماء .

منظر لمدينة مراكش في اواخر القرن السابع عشر



الباب الثالث

الفصل الثاني

المنزهات والقصور

قَالَ تَعَالَى : « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » .

(66) قصر البديع بمراكش

لَمَّا عَزَمَ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ الْمَنْصُورُ عَلَى الشَّرُوعِ فِي بِنَاءِ قَصْرِ الْبَدِيعِ ،
أَحْضَرَ أَهْلَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ يَتَسَمُّ بِالصَّلَاحِ . فَتَحَيَّنُوا أَوَانَ الْإِبْتِدَاءِ ، فَكَانَ ذَلِكَ
فِي شَوَّالِ خَامِسِ الْأَشْهُرِ مِنْ خِلَافَتِهِ عَامَ 986 هـ . وَاتَّصَلَ الْبِنَاءُ فِيهِ إِلَى عَامِ
1002 ، وَلَمْ يَتَخَلَّلْ ذَلِكَ فِتْرَةٌ . فَحَشَدَ لَهُ الصَّنَاعَ حَتَّى مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ .
وَكَانَ يَجْتَمِعُ بِبَابِهِ سَوْقٌ عَظِيمٌ يَقْصِدُهُ التَّجَارُ بِبَضَائِعِهِمْ ، وَنَقَائِسِ أَعْلَاقِهِمْ .
وَجَلَبَ لَهُ الرُّخَامَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ، فَكَانَ يَشْتَرِيهِ مِنْهُمْ بِالسُّكْرِ وَزَنًا يَوْزَنُ .
وَكَانَ الْمَنْصُورُ قَدْ اتَّخَذَ مَعَاصِرَ الْمُسْكَرِ بِبِلَادِ حَاحَةَ وَشَيْشَاوَةَ وَغَيْرِهِمَا .
وَأَمَّا جِبْصُهُ وَجِيرُهُ وَبَاقِي أَنْقَاضِهِ ، فَلِإِنِّهَا جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَحُمِلَتْ مِنْ
كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَنَّهُ وَجِدَتْ بِطَاقَةٍ فِيهَا : « أَنَّ فَلَانًا دَفَعَ صَاعًا مِنْ جِيرٍ حَمَلَهُ
مِنْ تَنْبُكْتُو وَظَفَ عَلَيْهِ فِي غِمَارِ النَّاسِ » . وَكَانَ الْمَنْصُورُ مَعَ ذَلِكَ يُحْسِنُ
إِلَى الْأَجْرَاءِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ ، وَيُجْزِلُ صِلَةَ الْمَعْلَمِينَ بِالْبِنَاءِ ، وَيُوسِّعُ عَلَيْهِمْ
فِي الْعَطَاءِ ، وَيَقُومُ بِمُؤُونِ أَوْلَادِهِمْ كَيْ لَا تَتَشَوَّقَ نَفُوسُهُمْ وَتَتَشَعَّبَ أَفْكَارُهُمْ .
وَهَذَا الْقَصْرُ دَارٌ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ ، وَفِي كُلِّ جِهَةٍ مِنْهَا قُبَّةٌ رَاقِيَّةٌ الْهَيْئَةِ .
وَهَذِهِ الْقِبَابُ قَدْ كُتِبَتْ بِالْحَطِّينِ الْمُورَقِ وَالْمُجَوَّهِ (I) عَلَى أَطْنَافِ (2) نَوَافِذِهَا ،

(I) الخط المورق والخط المجوهر : ربما يقصد بهما الخطين الكوفي والنسخي .

(2) اطناف ج طنف: ما اشرف من البناء خارجا عن الجدار ومثلها الافاريز

وَأَفَارِيزُ جُدْرَانِهَا ، بَلِيعُ الشَّعْرِ وَرَائِقُ النَّظْمِ ، فَنَقِشَ فِي الْخَشَبِ ، وَحَفَرَ فِي الرُّخَامِ ، وَنَظَّمَ فِي الزَّلْيَجِ . وَهَذَا الشَّعْرُ كَانَ مُفْرَضاً عَلَى لِسَانِ كُلِّ قَبَّةٍ كَمُفَاخَرَةٍ لِلَّتِي تُقَابِلُهَا . وَفِي كُلِّ قَبَّةٍ عَوَامِدٌ مِنَ الْمُرْمَرِ الشَّقَافِ ، نُقِشَتْ تَبِجَانُهَا ، وَأُفْرِغَ عَلَيْهَا الذَّهَبُ الدَّائِبُ ، ثُمَّ مَوَّهَتْ بِالنُّضَارِ (3) اللَّامِعِ ، وَفَرَشَتْ أَرْضُهَا بِالرُّخَامِ الْمُجَزَّعِ (4) الصَّافِي الْبُشْرَةِ ، الْمُقْطُوعِ فِي أَشْكَالٍ هَنْدَسِيَّةٍ عَجِيبَةٍ ، وَأَمَّا سُقُوفُهَا فَقَدْ أُبْدِعَ فِيهَا الْفَنَانُ التَّسْطِيرَ وَالتَّوْرِيقَ (5) وَالْمَقْرَنَصَ (5) ، ثُمَّ طُعِمَتْ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ ، كَمَا طُعِمَتْ بِهِ زَخْرَفَةُ الْجُدْرَانِ . وَلَكِنَّ الْقَبَّةَ الْخَمْسِيْنِيَّةَ (خَمْسِينَ ذِرَاعاً) ، قَبَّةَ الْعَرْشِ ، وَقَبَّةَ الْمَقَابِلَاتِ الرَّسْمِيَّةِ ، كَانَتْ أَرْوَعَ هَذِهِ الْقِبَابِ ، قَدْ أُجْرِى فِيهَا سَوَاقٍ مُلْتَوِيَّةٌ ، مِنَ الْمُرْمَرِ ، رُصِّعَتْ بِحَصَبَاءَ مُلَوَّنَةٍ ، لِتَجْرِيَ فِيهَا الْمِيَاءُ الصَّافِيَةُ . وَحَوَالَى هَذِهِ السَّوَاقِ ، وَضِعَتْ جِفَانٌ مِنَ الرُّخَامِ ، غُرِسَ بِهَا أَلْوَانٌ مِنَ الْأَزْهَارِ ، وَمِزَجَ تَرَابُهَا بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ حَتَّى إِذَا سَارَتْ عَلَيْهَا نَفْحَةٌ مِنَ الشَّيْمِ الْمَارِّ بَيْنَ النَّوَافِذِ الْعَدِيدَةِ ، حَمَلَ رَوَائِحَ زَكِيَّةً . وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الْقَبَّةِ قَامَتْ خَصَّةٌ مِنَ الْمُرْمَرِ ، تَنْهَمُرُ الْأَمْوَاهُ عَلَى جَنْبَاتِهَا ، وَيَكْتَنِفُ حَوْضَهَا عَدَدٌ مِنَ الدُّمَى (6) الرُّخَامِيَّةِ ، أَمَاطَ (7) عَنْهَا النُّحَاتُ الْمَازِرَ وَالْغَلَائِلَ (8) ، وَأَبْرَزَهَا عَارِيَّةً مُتَبَرِّجَةً (9) ، وَعَلَى رَأْسِ

(3) موهت بالنضار : طليت بالذهب المذاب .

(4) الرخام المجزع : الذى فيه بياض وسواد .

(5) التسطير : تزويق بسطور وزوايا مستقيمة - والتوريق : زخارف تمثل اوراق الاشجار وافنانها - والمقرنص : ذو افاريز بعضها فوق بعض ويقال له فى العربية العامة «المقرنز» و«القرنيزة» .

(6) الدمى ج دمية : الصورة المزينة فيها حمرة كالدم - وهنا تماثيل للنساء نحتت من حجر او رخام .

(7) أماط : ازال - أماطت المرأة اللثام ، وأماط الحجر عن الطريق .

(8) الغلائل مفردا غلالة : شعار يلبس تحت الثوب او تحت الدرع وهنا لباس قصير رفيع النسج متقن الوشى تغطى به المرأة اعلى جسمها .

(9) متبرجة : مظهرة زينتها ومحاسنها للاجانب .

كُلُّ دُمِّيَّةٍ مِنْهَا ، تَاجٌ مِنْ الذَّهَبِ الْمَرْصُوعِ بِالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ . وَدَارَتْ
فِي جَنَابَاتِ هَذِهِ الْقُبَّةِ الْحَنَائِيَا ذَاتُ الْأَقْوَاسِ الْقَائِنَةِ ، وَلِيَّ الْوَاجِهَةِ بِهِوَ عَظِيمٌ
وُضِعَ بِهِ عَرْشُ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ (١٠) ، وَهُوَ كُرْسِيُّ مِنْ الْعَاجِ الْمَصْفُوعِ بِالذَّهَبِ
وَيَدْخُلُ هَذَا الْبَهْوُ كُتُبَ بِعُرُوفٍ مِنَ الرُّخَامِ الْأَسْوَدِ مَرْصُوعَةٍ فِي قَرَمَرٍ أَيْضًا
أَشْغَارٌ رَقِيقَةٌ وَأَيَاتٌ كَرِيمَةٌ .

نزعة الحادى ص ١٥٢



(١٠) المنصور: هو احمد المنصور الذهبي سابع ملوك السعديين ببيع له بمراكش
بعد واقعة وادى المخلزن، استولى على بلاد السودان وكثرت الخيرات
والنعم فى زمانه مات سنة ١٥١٢ هـ . (١٥١٧ م).

(67) مجلس ذي النون : « المكرم »

وبحيرتا قصره

قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ (I) : وَكُنْتُ مِمَّنْ أَذْهَلْتُهُ فِتْنَةُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ : وَأَغْرَبَ مَا قِيدَ لَحْطَى مِنْ بَهَيِّ زُخْرِفِهِ ، عَنِ التَّرَقُّيِّ عَنْهُ إِلَى مَا فَوْقَهُ ، أَزَارُهُ الرَّائِعُ الدَّائِرُ بِأَسْنِهِ حَيْثُ دَارَ ، وَهُوَ مَتَّخِذٌ مِنَ الْمُرْمَرِ الْأَبْيَضِ الْمَسْنُونِ (2) قَدْ حُرِّمَتْ فِي جُثْمَانِهِ صُورُ الْبَهَائِمِ ، وَأَطْيَارُ ، وَأَشْجَارُ ذَاتِ ثِمَارٍ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ كَثِيرٌ مِنْ تِلْكَ التَّمَاثِيلِ الْمَصَوَّرَةِ بِمَا يَلِيهَا مِنْ أَفْنَانِ أَشْجَارٍ ، وَأَشْكَالِ الشُّمَرِ ، مَا بَيْنَ جَانٍ وَعَايِثٍ ، وَعَلِقَ (3) بَعْضُهَا بَعْضًا بَيْنَ مَلَاعِبٍ وَمَتَاقِفٍ (4) تَزْنُو إِلَى مَنْ تَأَمَّلَهَا بِالْحَاطِطِ عَاظِفٍ ، كَأَنَّهَا مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْ مُسِيرَةٌ إِلَيْهِ.. وَقَدْ فَصَلَ ذَلِكَ الْإِزَارُ عَمَّا فَوْقَهُ ، كِتَابٌ نَقَشَ عَرِيضُ التَّقْدِيرِ ، مُعَرَّمٌ مُحْفُورٌ دَائِرٌ بِالْمَجْلِسِ الْجَلِيلِ مِنْ دَاخِلِهِ ، قَدْ خَطَّهُ الْمُنْقَارُ (5) أَبْيَنَ مِنْ خَطِّ التَّزْوِيرِ (6) قَائِمُ الْحُرُوفِ ، بَدِيعُ الشَّكْلِ ، مَرْقُومٌ كُلُّهُ بِأَشْعَارِ حِسَانٍ ، قَدْ تُخَيَّرَتْ مِنْ

(I) ابن حيان : ابن خلف ابو مروان حيان القرطبي ويكنى عادة بابن حيان نسبة الى جده وهو من اقدم مؤرخى الاندلس وافضلهم الا ان تفاصيل حياته مجهولة وضاع الكثير من مؤلفاته (377 - 469هـ. 1076-987 م.)

(2) المسنون : الاملس المصقول .

(3) علقه : احبه - وهنا قال ذلك على سبيل المجاز .

(4) متاقف : المتاقف هو الملاعب بالسلاح - وثاقفه فتقفه اى غالبه فغلبه فى الحلق .

(5) المنقار : هى الآلة التى يحفر وينحت بها .

(6) التزوير : من زور فلان - زين الكذب - وزور الشيء - حسنه وقومه وازال زوره اى ميله واعوجاجه .

أَمَادِيحٌ مُخْتَرَعَةٌ فِي الْمَأْمُونِ (7)، وَفَوْقَ هَذَا الْكِتَابِ الْفَاصِلُ فِي الْمَجْلِسِ،
بُحُورٌ مُنْتَظَمَةٌ مِنَ الزُّجَاجِ الْمَلُونِ، الْمَلْبَسُ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ، مَصَوْرَةٌ بِأَمْثَالِ
تِلْكَ التَّصَاوِيرِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارِ، بِاتَّقْنِ تَصْوِيرٍ وَأَبْدَعِ تَقْدِيرٍ .
وَلِهَذِهِ الدَّارُ بُحَيْرَتَانِ، قَدْ نُصِّتَ (8) عَلَى أَرْكَانِهِمَا صُورُ أُسْدٍ مَصُوغَةٌ
مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ أَحْكَمَ صِيَاغَةً، تَتَخَيَّلُ لِتَأْمَلِهَا كَالِحَةً (9) الْوُجُوهَ، فَاغِرَةً
الشُّدُوقِ، يَنْسَابُ مِنْ أَفْوَاهِهَا نَحْوُ الْبُحَيْرَتَيْنِ الْمَاءُ هَوْنًا كَرَشِيْشِ الْقَطْرِ،
أَوْ سَحَالَةِ اللَّجَيْنِ (10). وَقَدْ وُضِعَ فِي قَعْرِ كُلِّ بُحَيْرَةٍ حَوْضٌ رُخَامٍ يُسَمَّى
الْمَذْبَحَ، مَحْفُورٌ مِنْ رَفِيعِ الْمَرْمَرِ، كَبِيرِ الْجَرْمِ، غَرِيبِ الشَّكْلِ، بَدِيعِ النَّقْشِ،
قَدْ أَهْرَزَتْ فِي جَنْبَاتِهِ صُورَ حَيَوَانٍ، وَأَطْيَارٍ، وَأَشْجَارٍ، وَيَنْحَصِرُ مَاؤُهَا
فِي شَجَرَتَيْنِ فِضَّةٍ عَالِيَتَيِ الْأَصْلَيْنِ، غَرِيبَتَيِ الشَّكْلِ قَدْ غَرَزَتْ كُلُّ شَجَرَةٍ
وَسَطَ مَذْبَحٍ بِأَدَقِّ صِنَاعَةٍ، يَتَرَقَّى فِيهِمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَذْبَحَيْنِ، فَيَنْصَبُ مِنْ أَعَالَى
أَفْنَانِهِمَا أَنْصِبَابَ رَذَاذِ الْمَطَرِ (11) أَوْ رَشَاشِ السَّنْدِيَةِ، فَتَحْدُثُ لِمُخْرَجِهِ نَفَمَاتٌ

(7) المامون بن ذى النون من ملوك الطوائف واصلهم من قبائل هواره
وكان المامون شديد البأس وقد قام عليه المعتمد بن عباد فغلبه وكانت
وفاته بعد ذلك بقليل (467 هـ . 1075 م .)

(8) نصت : نصبت ، نص الشيء : رفعه وظهره .

(9) كالحة الوجوه : يقال - كلج وجهه : تكشر فى عبوس او عبس فافرط
فى تعبسه .

(10) سحالة : يقال : سحلت العين : بكت . وسحل الدراهم ، صبها كانه
حك بعضها ببعض، والسحالة : هو ما يقطع بالمبرد . واللجين : الفضة
(11) الرذاذ : المطر الضعيف .

تُصِيبِي (I2) النَّفُوسَ وَيَرْتَفِعُ بِذُرُوتِهَا عَمُودٌ مُنْضَغُطٌ (I3) الْإِنْدِفَاعُ، يَنْسَابُ
مِنْ أَفْوَاهِهَا، وَيُبَلِّلُ أَشْخَاصَ أَطْيَارِهَا وَثِمَارِهَا بِالسِّنَةِ كَالْمَبَارِدِ الثَّقِيلَةِ ،
يَقْيِدُ حُسْنَهَا الْأَلْحَاطَ ، وَيَدْعُ الْأَذْهَانَ الْعَادَّةَ كَلِيلَةً .

الذخيرة قسم 4 مجلد ، ص 102



(I2) أصبى - من صبا يصبو اليه : اى حن اليه واشتاق - واصباه الشئ:

شاقه واستهواه فحن اليه يقال : اصبته المكارم .

(I3) عمود منضغط الاندفاع : اى عمود من الماد يصعد بقوة .

(68) قبة من زجاج

شَادَ مَلِكٌ طَلِيْطَلَّةَ الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ (I) قَصْرًا ، أَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً ، وَصَنَعَ فِي وَسْطِهِ بُحَيْرَةً ، صَنَعَ فِي وَسْطِهَا قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنُقُوشٍ بِالذَّهَبِ ، وَجَلَبَ عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ ، بِتَدْبِيرِ أَحْكَمِهِ الْمَهَنْدِسُونَ ، الْمَاءَ . فَكَانَ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا عَلَى جَوَانِبِهَا ، مُحِيطًا بِهَا ، وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ : فَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي غِلَالَةٍ مِمَّا سَكَبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ ، لَا يَفْتَرُّ مِنَ الْجَرَى ، وَالْمَلِكُ قَاعِدٌ فِيهِ ، لَا يَمْسُهُ مِنَ الْمَاءِ شَيْءٌ ، وَتَوَقَّدَ فِيهَا الشَّمْعُ ، فَيَرَى لِدَلِكِ مَنَظَرٌ بَدِيعٌ عَجِيبٌ ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِيهَا مَعَ جَوَارِيهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ : (طويل)

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ (2) كَفَايَةً لِمَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ
فَنَغْصَصَ (3) فِي ذَلِكَ حَالَهُ ، وَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَظُنُّ أَنَّ
الْأَجَلَ قَدْ قَرُبَ . فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا غَيْرَ شَهْرٍ ، وَلَمْ يَجْلِسْ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ
بَعْدَهَا .

نفح الطيب

(I) المأمون بن ذي النون : انظر ترجمته في القطعة السابقة .
(2) الاراك : شجر ينبت بجزيرة العرب ويتخذ منه المساويك وواحدتها اراكة .
(3) نفص عليه العيش : كدره .

(69) بركة الزئبق

شكا خمارويه (I) إلى طبيبه كثرة السهر ، فأشار عليه بالتغميز (2) . فانف من ذلك ، وقال : « لا أقدر على وضع يد أحد على » . فقال له : « تأمر بعمل بركة من زئبق » . فعمل بركة يقال إنها خمسون ذراعاً طولاً ، وفي خمسين ذراعاً عرضاً ، وملاها من الزئبق ، فأنفق في ذلك أموالاً عظيمة . وجعل في آركان البركة سككاً (3) من الفضة الخالصة ، وجعل في السكك زناير من حرير ، مُحَكَّمَة الصنعة ، في حلق من الفضة ، وعمل فرشاً من آدم (4) يحشى بالريش حتى ينتفخ ، فيحكّم حينئذ شده ، ويلقى على تلك البركة الزئبق ، وتشد زناير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة ، وينام على هذا الفراش فلا يزال الفراش يرتج ، ويتحرك بحركة الزئبق ، ما دام عليه وكانت هذه البركة من أعظم ما سُمِعَ به من الهيم الملوكية : فكان يرى لها ، في الليالي الممطرة ، منظرٌ عجيب ، إذا تألف نور القمر بنور الزئبق .

الخطط المقرزية ج 2 (في ترجمة ابن طولون)

(I) خمارويه بن احمد بن طولون : واحمد هذا تركي اصله من وراء النهر . اسر بها وتربى في قصر المأمون . ارسله احد القواد الاتراك الى مصر ليخدم ما بها من الفتن . فظهر كفاءة عظيمة وحصل على شبه استقلال ، اعتنى بالمصالح العامة وبنى مساجد وقصور لا زال بعضها موجودا الى يومنا هذا ، اقتفى اثره ابنه خمارويه - قتل سنة 282 هـ . (895 م) . انظر القطع التالية .

(2) التغميز : من غمزه اى جسده وكبسه باليد .

(3) السكك : هنا قضبان من فضة .

(4) ادم والادمة : باطن الجلد ، والاديم : الجلد المدبوغ .

(70) حريق السباع

بَنَى خَمَارَوَيْهِ دَاراً لِلْسَّبَاعِ ، عَمَلَ فِيهَا بُيُوتاً بِأَزَاجٍ ، كُلُّ بَيْتٍ يَسَعُ سَبْعاً وَلُبُوتَهُ . وَعَلَى تِلْكَ الْبُيُوتِ أَبْوَابٌ تَفْتَحُ مِنْ أَعْلَاهَا بِحَرَكَاتٍ . وَلِكُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا طَاقٌ صَغِيرٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الرَّجُلُ الْمَوْكُلُ بِخِدْمَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ ، يُفَرِّشُهُ بِالزَّبْلِ ، وَفِي جَانِبِ كُلِّ بَيْتٍ حَوْضٌ مِنْ رُخَامٍ ، بِمِيزَابٍ مِنْ نَحَاسٍ يَصُبُّ فِيهِ الْمَاءُ . وَبَيْنَ يَدَيِ هَذِهِ الْبُيُوتِ ، قَاعَاتٌ فَيْسِيحَةٌ مُتَّسِعَةٌ ، فِيهَا رَمْلٌ مَفْرُوشٌ بِهَا ، وَفِي جَانِبِهَا حَوْضٌ كَبِيرٌ مِنْ رُخَامٍ ، يَصُبُّ فِيهِ الْمَاءُ مِنْ مِيزَابٍ كَبِيرٍ ، فَإِذَا أَرَادَ سَائِسُ سَبْعٍ مِنْ تِلْكَ السَّبَاعِ ، تَنْظِيفَ بَيْتِهِ ، أَوْ وَضَعَ وَطِيفَةَ اللَّحْمِ الَّتِي لِغِذَائِهِ ، رَفَعَ الْبَابَ بِحِيلَةٍ مِنْ أَعْلَى الْبَيْتِ ، وَصَاحَ بِالسَّبْعِ فَخَرَجَ إِلَى الْقَاعَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَيَرُدُّ الْبَابَ ، ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْبَيْتِ مِنَ الطَّاقِ ، فَيُكْنِسُ الزَّبْلَ (I) وَيُبَدِّلُ الرَّمْلَ بِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ نَظِيفٌ ، وَيَضَعُ الْوَطِيفَةَ مِنَ اللَّحْمِ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ لَذَلِكَ ، بَعْدَ مَا يُخْلَصُ مِمَّا فِيهِ مِنَ الْغُدَدِ (2) وَيَقْطَعُهُ وَيَغْسِلُ الْحَوْضَ ، وَيَمْلَأُهُ مَاءً ، ثُمَّ يَخْرُجُ ، وَيَرْفَعُ الْبَابَ مِنْ أَعْلَاهُ ، وَقَدْ عَرَفَ السَّبْعُ ذَلِكَ : فَحَالَمَا يَرْفَعُ السَّائِسُ الْبَابَ ، دَخَلَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ ، فَأَكَلَ مَا هَبَّيَ لَهُ .

وَكُلَّانِ لِلْسَّبَاعِ أَوْقَاتٌ يَفْتَحُ لَهَا سَائِرُ بُيُوتِ السَّبَاعِ ، فَتَخْرُجُ إِلَى الْقَاعَةِ وَتَتَمَشَّى فِيهَا وَتَمْرَحُ وَتَلْعَبُ ، وَتَهَارِشُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَتُقِيمُ يَوْماً كَامِلاً

(I) الزبل : هنا القش اليابس الذي يفرش للحيوان لينام عليه
(2) الغدد مفردا غدة : وهو اللحم الصلب الذي يصعب مضغه - وقد تحدث عن داء بين الجلد واللحم .

إِلَى الْعِشِيِّ فَيَصِيحُ بِهَا السَّوَّاسُ ، فَيَدْخُلُ كُلُّ سَبْعٍ إِلَى بَيْتِهِ ، لَا يَتَخَطَّاهُ
إِلَّا تَهْتَرُ .

وَكَانَ مِنْ جُحْلِهِ هَذِهِ السَّبَاعُ ، سَبْعٌ أَرْزَقُ الْعَيْنَيْنِ ، يُقَالُ لَهُ زُرِّيْقُ ،
لَقَدْ أَسَى بِخَمَارَوَيْهِ وَخَمَارٍ مُطْلَقًا فِي الدَّارِ ، لَا يُؤْذِي أَحَدًا ، وَيُقَامُ لَهُ بِوَطِيفَتِهِ
مِنَ الْغَدَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَإِذَا نُصِبَتْ مَائِدَةُ خَمَارَوَيْهِ ، أَقْبَلَ زُرِّيْقُ مَعَهَا ،
فَرَبَضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، كَرَمَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ الدَّجَاجَةَ بَعْدَ الدَّجَاجَةِ وَالْفَضْلَةَ الصَّالِحَةَ
مِنَ الْجَنَى وَنَحْوَ ذَلِكَ مِثْلًا إِلَى الْمَائِدَةِ ، فَيَتَفَكَّهُ بِهِ . وَكَانَتْ لَهُ لُبْسُوءَةٌ لَمْ
تَسْتَأْنِسْ كَمَا أَسَى ، فَكَانَتْ مَقْصُورَةً فِي بَيْتِهِ ، وَلَهَا وَقْتُ مَعْرُوفٌ يَجْتَمِعُ
مَعَهَا فِيهِ . فَإِذَا نَامَ خَمَارَوَيْهِ ، جَاءَ زُرِّيْقُ لِيَحْرُسَهُ : فَإِنْ كَانَ قَدْ نَامَ عَلَى
سَيْبِهِ ، رَبَضَ بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيرِ ، وَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مَا دَامَ نَائِمًا ، وَإِنْ كَانَ
إِنَّمَا نَامَ عَلَى الْأَرْضِ ، بَقِيَ قَرِيبًا مِنْهُ وَتَفَطَّنَ لِمَنْ يَدْخُلُ وَيَقْصِدُ خَمَارَوَيْهِ ،
لَا يَفْغُلُ عَنْ ذَلِكَ لِحَظَةٍ وَاحِدَةً . وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ دَهْرُهُ ، قَدْ أَلْفَ ذَلِكَ ، وَدَرَبَ
عَلَيْهِ . وَكَانَ فِي حُجَّتِهِ طَلُوقٌ مِنْ ذَهَبٍ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ مِنْ خَمَارَوَيْهِ
مَا كَلَّمَ نَائِمًا لِمَزَاحِيهِ لَهُ ، وَحِرَاسَتُهُ إِثَامٌ ، حَتَّى إِذَا شَاءَ اللَّهُ إِنْفَازَ قَضَائِهِ
فِي خَمَارَوَيْهِ ، كَانَ يَدْمِشِقُ وَزُرِّيْقُ كَاثِبٌ عَنْهُ بِمُصَرٍّ ، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُغْنِي
حَدَرٌ مِنْ قَدَرٍ (3) .

خطط المقرئ ج 2 (في ترجمة ابن طولون)



(3) مات خمارويه مقتولا .

(71) صرع الطيور

فَلَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ (I) وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ خَمَارُويهِ، أَقْبَلَ عَلَى قَصْرِ أَبِيهِ، وَزَادَ فِيهِ وَأَخَذَ الْمِيدَانَ الَّذِي كَانَ لِأَبِيهِ فَجَعَلَهُ كُلَّهُ بُسْتَانًا، وَزَرَعَ فِيهِ أَنْوَاعَ الرِّيَاحِينَ، وَأَصْنَافَ الشَّجَرِ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ الْوَدَى (2) اللَّطِيفَ، الَّذِي يَنَالُ ثَمَرُهُ الْقَائِمُ، وَمِنْهُ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْجَالِسُ مِنْ أَسْنَافِ خِيَارِ النَّخْلِ. وَحَمَلَ إِلَيْهِ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الشَّجَرِ الْمُطْعِمِ الْعَجِيبِ، وَأَنْوَاعَ الْوَرْدِ، وَزَرَعَ فِيهِ الرَّعْفَرَانَ وَكَسَا أَجْسَامَ النَّخْلِ نَحَاسًا مَذْمُومًا حَسَنَ الصَّنْعَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ النَّحْلِ وَالْجَسَادِ النَّخْلِ مَيَازِيبَ الرُّصَاصِ، وَأَجْرَى فِيهَا الْمَاءَ الْمَدْبَرُ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ تَضَاعِيفِ قَائِمِ النَّخْلِ عُيُونُ الْمَاءِ، فَتَنَحَدِرُ إِلَى فَسَاقِي (3) مَعْمُولَةٍ، وَيَفِيضُ مِنْهَا الْمَاءُ إِلَى مَجَارٍ تَسْقِي سَائِرَ الْبُسْتَانِ؛ وَنُقِشَ فِيهِ مِنَ الرِّيحَانِ الْمَزْرُوعِ عَلَى نُقُوشٍ مَعْمُولَةٍ، وَكِتَابَاتٍ مَكْتُوبَةٍ، يَتَعَاهَدَهَا الْبُسْتَانِيُّ بِالْمِقْرَاضِ، حَتَّى لَا تَزِيدَ وَرَقَةً عَلَى وَرَقَةٍ، وَزَرَعَ فِيهِ النَّيْلُوفَارَ (4) الْأَحْمَرَ وَالْأَزْرَقَ وَالْأَصْفَرَ، أَهْدَى إِلَيْهِ مِنْ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا كُلَّ أَصْلٍ عَجِيبٍ. وَطَعَّمُوا لَهُ شَجَرَ الْمَشْمَشِ بِاللُّوزِ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا يُسْتَظَرَفُ.

وَبَنَى فِيهِ بُرْجًا مِنْ خَشَبِ السَّاجِ الْمُنْقُوشِ بِالنَّقْرِ النَّافِذِ لِيَقُومَ مَقَامَ الْأَقْفَاصِ، وَزَوَّقَهُ بِأَصْنَافِ الْأَصْبَاغِ، وَبَلِطَ أَرْضَهُ، وَجَعَلَ فِي تَضَاعِيفِهِ

(I) أحمد بن طولون: تقدمت ترجمته مع ترجمة ابنه خمارويه قطعة 69

(2) الودى: ج ودية: نخل صغير للمفراصة.

(3) فسقية ج فساقى وفسقيات: صهاريج ذات فوارات.

(4) النيلوفار: نبات مائى له ازهار ملونة تنسد وتنغمس فى الماء عند غروب الشمس.

أَنْهَاراً لَطَافاً جَدّاً يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ مُدْبِراً مِنَ السَّوَاقِي الَّتِي تَدُورُ عَلَى الْآبَارِ
 الْعَذْبَةِ، وَيَشْقَى مِنْهَا الْأَشْجَارُ وَغَيْرُهَا . وَسَرَّحَ فِي هَذَا الْبُرْجِ أَصْنَافُ
 الْقَمَارِي (5) وَالِدَبَاسِي وَكُلُّ طَائِرٍ مُسْتَحْسَنٍ حَسَنَ الصَّوْتِ . فَكَانَتْ الطُّيُورُ
 تَشْرَبُ وَتَغْتَسِلُ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ فِي الْبُرْجِ . وَجَعَلَ فِيهِ أَوْكَاراً فِي
 قَوَادِيسٍ لَطِيفَةٍ مُمَكَّنَةٍ فِي جَوْفِ الْحِيطَانِ ، لِتَفَرِّخَ الطُّيُورَ فِيهَا . وَعَارَضَ
 لَهَا فِيهِ عَيْدَاناً مُمَكَّنَةً فِي جَوَانِبِهِ، لِتَقِفَ عَلَيْهَا إِذَا تَطَايَرَتْ حَتَّى يَجَاوِبَ
 بَعْضُهَا بَعْضاً بِالضِّيَاحِ . وَسَرَّحَ فِي الْبُسْتَانِ مِنَ الطُّيْرِ الْعَجِيبِ كَالطَّوَاوِيسِ
 وَدَجَاجِ الْحَبَشِ وَنَحْوَهَا شَيْئاً كَثِيراً .

المقريزي - (الخطوط)



(5) القمارى ج قمرى : ضرب من الحمام حسن الصوت . والدباسى
 ج دبسى : نوع من الفواخت نسبة الى طير دبس وهو الذى لونه
 بين السواد والحمرة .

(72) حمام خصوصي

حكى بدر الدين بن زفر الأربلي المتطبب (I) قال : «رَأَيْتُ بِبَغْدَادَ فِي دَارِ الْمَلِكِ شَرَفَ الدِّينِ ، هَارُونَ بْنِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْجَوِينِيِّ (2)، حَمَامًا مُتَقَنَّ الصَّنْعَةِ، حَسَنَ الْبِنَاءِ كَثِيرَ الْأَضْوَاءِ، قَدْ احْتَفَّتْ بِهِ الْأَزْهَارُ وَالْأَشْجَارُ . قَدْ أَدْخَلَنِي إِلَيْهِ سَائِسُهُ ، فَطَافَ بِي عَلَيْهِ وَأَبْصَرْتُ مِيَاهَهُ ، وَشَبَابِيكَهُ ، وَأَنَايِبَهُ الْمَتَّخَذَ بَعْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ مَطْلِيَّةٍ بِالذَّهَبِ وَغَيْرِ مَطْلِيَّةٍ ، وَبَعْضُهَا عَلَى هَيْئَةِ طَائِرٍ ، إِذَا أُخْرِجَ مِنْهُ الْمَاءُ صَوَّتَ بِأَصْوَاتٍ طَيِّبَةٍ، وَمِنْهَا أَحْوَاضُ رُخَامٍ بَدِيعَةٍ الصَّنْعَةِ ، وَالْمِيَاهُ تَخْرُجُ مِنْ سَائِرِ الْأَنَايِبِ إِلَى الْأَحْوَاضِ ، وَمِنْ الْأَحْوَاضِ إِلَى بَرَكَةِ حَسَنَةِ الْإِتْقَانِ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الْبُسْتَانِ . ثُمَّ أَرَانِي نَحْوَ عَشْرِ خَلَوَاتٍ ، كُلُّ خَلْوَةٍ مِنْهَا صَنَعْتُهَا أَحْسَنُ مِنْ صِنْعَةِ أُخْتِهَا . ثُمَّ انْتَهَى بِي إِلَى خَلْوَةٍ عَلَيْهَا بَابٌ مُقْفَلٌ بِقِفْلٍ حَدِيدٍ ، فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ بِي إِلَى دِهْلِيزٍ طَوِيلٍ، كُلُّهُ مُرَحَّمٌ بِالرُّخَامِ الْأَبْيَضِ السَّادِجِ، وَفِي صَدْرِ الدِّهْلِيزِ خَلْوَةٌ مَرَبَعَةٌ تَسْعُ بِالتَّقْرِيبِ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ .. وَرَأَيْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ فِي هَذِهِ الْخَلْوَةِ أَنَّ حَيْطَانَهَا الْأَرْبَعَةَ مَصْقُولَةٌ صِقَالًا لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِقَالِ الْمَرْأَةِ، يَرَى الْإِنْسَانُ سَائِرَ بَشَرَتِهِ فِي أَى حَائِطٍ شَاءَ مِنْهَا ، وَرَأَيْتُ أَرْضَهَا مَصْوُورَةً بِفُصُوصِ حُمْرٍ وَصَفْرِ وَخَضِرٍ وَمَذْهَبَةٍ، وَكُلُّهَا مَتَّخَذَةٌ مِنْ بُلُورٍ مَصْبُوعٍ .. وَتِلْكَ الصُّورُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ عَلَى هَيْئَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ .. وَرَأَيْتُ فِي

(I) الأربلي : هو الحسن بن أحمد بن زفر الأربلي ثم الدمشقي كان يعرف طرفا صالحا من الطب والتاريخ مات بدمشق سنة 726 هـ.

(2) الجويني : تنسب أسرة الجويني الى مقاطعة جوين من نواحي خراسان وكان لعدة من افرادها نفوذ كبير في عهد المغول - وكان شمس الدين محمدا وزيرا لهولاكو (654 - 663 هـ. 1256 - 1265 م).

صَدْرِ الْخَلْوَةِ حَوْضِ رُخَامٍ مُضَلَّعٍ ، وَعَلَيْهِ أَنْبُوبٌ مُرَكَّبٌ فِي صَدْرِهِ لِلْمَاءِ
 الْفَاتِرِ ، وَأَنْبُوبٌ آخَرٌ يَرْسِمُ الْمَاءَ الْبَارِدَ ، وَعَنْ يَمْنَةِ الْحَوْضِ وَيَسَارِهِ عُجْمَانٌ
 صِفَازٌ مَنْحَوْتَةٌ مِنَ الْبَلُّورِ ، يُوضَعُ عَلَيْهَا مَبَاخِرَ النَّدَى وَالْعُودِ ، وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا
 خَلْوَةً شَدِيدَةَ الضِّيَاءِ ، بَدِيعَةً ، فَسَأَلْتُ الْخَادِمَ عَنْ تِلْكَ الْحَيْطَانِ الْمَشْرِقَةِ
 الْمُضِيئَةِ مِنْ أَيْ شَيْءٍ صُنِعَتْ ، فَقَالَ لِي : مَا أَعْلَمُ ، وَأَمَّا أَنَا ، فَلِإِنِّي لَمْ أَرَ
 فِي عُمْرِي ، وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ تِلْكَ الْخَلْوَةِ .

نفع الطيب ج 2 ص 218



(72) المنظر الحسن لهذا ؟ !

أَخْبَرَنِي الْفَقِيهَ الْمُتَفَنُّ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (I)، وَهُوَ فِي بُسْتَانٍ لَهُ، قَدْ أَيْنَعَتْ ثِمَارُهُ، وَتَفَتَحَتْ أَزْهَارُهُ، وَتَجَاوَبَتْ عَلَى أَغْصَانِهَا أَطْيَارُهُ، وَتَكَامَلَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حُسْنُهُ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي قُبَّةٍ مُشْرِقَةٍ عَلَى الْبُسْتَانِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَجَلَسْتُ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، مُتَعَجِّبًا مِمَّا أَرَى مِنْ حُسْنِ ذَلِكَ الْبُسْتَانِ. فَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَرَاكَ كَثِيرَ النَّظَرِ إِلَى هَذَا الْبُسْتَانِ. قُلْتُ : يُطِيلُ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمَنْظَرٌ حَسَنٌ. فَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ هَذَا ؟ قُلْتُ نَعَمْ. فَسَكَتَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، أَمَرَ بِعَرْضِ الْعَسْكَرِ أَخَذِي أَسْلِحَتِهِمْ، وَجَلَسَ فِي مَكَانٍ مُطَّلٍ، وَجَعَلَتِ الْعَسْكَرُ تَمُرُّ عَلَيْهِ قَبِيلَةٌ بَعْدَ قَبِيلَةٍ، وَكَتِيبَةٌ إِثْرَ كَتِيبَةٍ، لَا تَمُرُّ كَتِيبَةٌ إِلَّا وَالتَّتِي بَعْدَهَا أَحْسَنُ مِنْهَا جُودَةَ سِلَاحٍ وَفَرَاةَ خَيْلٍ، وَظُهُورَ قُوَّةٍ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، انْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ هَذَا هُوَ الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ لَا ثِمَارَكَ وَأَشْجَارَكَ !!

المعجب ط سلا ص 121

(I) عبد المؤمن : تلميذ المهدي ابن تومرت وخلفه، وهو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين وطد مراكزها ونشر لواءها بأفريقية الشمالية والاندلس وصقلية وترك مآثر عديدة تشهد على علو همته، ومنها المساجد والمدارس والقصور لا زال بعضها ماثلاً الى يومنا هذا . مات بسلا سنة 558هـ. (II63م). ونقل جثمانه الى تنعل حيث قبر المهدي

الباب الثالث

الفصل الثالث

المصالح العامة

قَالَ تَعَالَى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى
وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا
ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ » .

(74) قانون المباني بالاندلس

أَمَّا الْبَنِيَانُ فَهِيَ الْاَكْنَانُ (I) لِما وَى الْأَنْفُسِ وَالْمَنَسَحِ (2) وَالْأَبْدَانِ ،
فَيَجِبُ تَحْصِينُهَا وَحِفْظُهَا لِأَنَّهَا مَوَاضِعُ رَفْعِ الْأَمْوَالِ ، وَحِفْظِ الْمَهْجِ (3) ،
فَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ يُنْظَرَ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْرِ : وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُنْظَرَ
أَوَّلًا فِي تَعْرِيضِ الْحِيطَانِ ، وَتَقْرِيبِ الْخَشَبِ الْوَافِرِ ، الْغَلِيظِ الْقَوِي لِلْبِنْيَةِ ؛
وَهِيَ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَثْقَالَ ، وَتُمْسِكُ الْبَنِيَانَ .. وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَجْرُ (4)
وَافِرَةً مُعَدَّةً لِهَذَا الْمِقْدَارِ مِنْ عَرْضِ الْحَائِطِ ؛ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْمُحْتَسِبِ
أَوْ مُعَلَّقًا فِي الْجَامِعِ ، قَالِبٌ غَلِظٌ الْأَجْرِ ، وَسِيعَةٌ الْقُرْمَدَةِ ، وَعَرْضُ الْجَائِزَةِ
وَعِلَظُهَا ، وَغِلَظُ الْخَشَبَةِ ، وَغِلَظُ لُوجِ الْفَرَشِ (5) ، كَهَذِهِ الْقَوَالِبُ مَصْنُوعَةٌ
مِنْ خَشَبٍ صُلْبٍ لَا يَسْتَأْسُ (6) ، مُعَلَّقَةٌ فِي مَسَامِيرَ فِي أَعْلَى حَائِطِ الْجَامِعِ ،
يُعَافِظُ عَلَيْهَا كَتَى يُرْجَعُ إِلَيْهَا ، مَتَى نَقَصَ مِنْهَا أَوْ زِيدَ فِيهَا ، وَيَكُونُ عِنْدَ
الصَّنَاعِ آخِرُ لِعَمَلِهِمْ ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ يَنْظَرُ فِيهِ وَأَوْكَدِهِ .

ابن عبدون «كتاب الحسبة»

-
- (I) الاكنان مفردا كن : وقاء كل شيء وستره - من كن الشيء -
ستره واخفاه .
- (2) منح مفردا منحة : العطية - من منح - اعطى - هنا معناها الخيرات
والنعم .
- (3) مهج مفردا مهجة : الدم او دم القلب ، وهنا الارواح .
- (4) الآجر مفردا أجرة : اللبنة - ويقال لها بالدارجة «اليجورة» .
- (5) الجائزة : هي الخشبة الغليظة (القائزة بالعامية) التي تمد عليها
الخشبات الاخرى الحاملة لالواح السقف (الفرش) .
- (6) لا يستأس : لا يؤثر فيه السوس .

(75) عين زبيدة بمكة المكرمة ★

لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْمَنَاهِلِ إِلَّا الْمَسَائِلُ (I) الَّتِي يَجُودُ بِهَا الْمَطَرُ
أَحْيَانًا ، وَبَعْضُ الْبَنَارِ الَّتِي تَفِيضُ آثًا ، وَتَجِفُّ آثًا ، فَإِنْ جَفَّاهُمْ (2) الْغَيْثُ
عَامًا فَالْوَيْلُ لَهُمْ ، وَلِكُلِّ رَاغِيَةٍ وَثَاغِيَةٍ (3) عِنْدَهُمْ . أَمَّا الْحُجَّاجُ فَكَانُوا يَحْمِلُونَ
مِنْ قَرَبِ الْمَاءِ مَا يُؤَوِّدُهُمْ (4) ، وَيُوقِرُهُ (5) ظُهُورَهُمْ . وَلَقَدْ أَخَذَ بِقَلْبِ زَبِيدَةَ
بِنْتُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ ، وَزَوْجَةُ الرَّشِيدِ ، مَا عَلِمْتُ فِي حَجِّهَا ، إِنْ رَأَوِيَةَ (6)
الْمَاءِ تُبَاعُ بِدِينَارٍ ، وَأَنَّ الْفَقِيرَ إِنَّمَا يَتَبَلَّغُ بِمَا يَتَسَاقَطُ مِنْ قَطَرَاتِ الْغِنَى
فَاعْتَزَمَتْ ، رَوَى اللَّهُ تَرَاهَا ، أَنْ تَحْفَرَ لَالِ مَكَّةَ ، وَقُصَادِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ،
نَهْرًا جَارِيًا ، يَتَصِلُ بِمَنَابِعِ الْمَاءِ ، وَمَسَاقِطِ الْمَطَرِ .

فَدَعَتْ حَازِنَ أَمْوَالِهَا ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَدْعُو الْعُرَفَاءَ ، وَالْمُهَنْدِسِينَ وَالْعُمَالِ ،
مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، وَأَقَاصِي الْبِلَادِ . فَعَظَّمَ حَازِنُهَا الْأَمْرَ ، وَمَا يُسْتَنْفَذُ مِنْ

(*) هذه العين لا زالت موجودة الى يومنا هذا وقد وصفها الامير شكيب أرسلان
في كتابه «الارتسامات» وصفا دقيقا وقد جعلت لها الحكومة الحالية دركا
خاصا ومفتشين لا يزالون يتعهدونها من راس نبعها الى مكة .

(I) المسائل مفردا مسيل : موضع سيل الماء .

(2) جفاهم الغيث : اى لم ينزل عندهم مطر .

(3) الراغية : الناقة ، والثاغية : الشاة - يقال : اتيته فما اثغى ولا ارغى
اى لم يعط شاة ولا ناقة .

(4) يؤود : آده الامر أودا : اضنكه وثقل عليه .

(5) أوقره : أثقل كاهله .

(6) راوية : القربة ج روايا .

المال فيه ، فقالت زبيدة تلك الكلمة الخالدة : «اعمل ولو كلفتك ضربة
الفأس ديناراً».

قالوا : إن زبيدة أنفقت على هذه العين مليون دينار ، وإنها لما انتهت
من العمل ، جئ إليها بدفاتر الحسابات لمراجعتها ، فأمرت بطيها ، وقالت :
«إنما عملنا ما عملناه لله ، فلا فرق بين أن تكون النفقة أكثر أو أقل» .
كتاب «المرأة العربية» وكتاب «الارتسامات اللطاف»



(76) جامع القرويين

قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: لَمْ تَزَلِ الْخُطْبَةُ بِجَامِعِ الشَّرَفَاءِ الَّذِي بَنَاهُ
الإمام إدريس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعْدَ الْقُرُوبَيْنِ ، وَبِجَامِعِ الْأَشْيَاحِ بَعْدَ
الْأَنْدَلُسِ ، طَوَّلَ أَيَّامَ الْأَدَارِسَةِ ، وَكَانَ مَوْضِعُ جَامِعِ الْقُرُوبَيْنِ أَرْضًا بَيْضَاءَ ،
يَعْمَلُ بِهَا أَصْنَافُ الْحَصِّ ، وَبِهَا أَيْضًا أَصْنَافٌ مِنَ الشَّجَرِ ، لِرَجُلٍ مِنْ هَوَارَةِ ،
قَدْ حَازَهَا وَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ ، حِينَ بُنِيَتْ الْمَدِينَةُ . فَأَتَى وَفَدُ الْقَيْرَوَانِ إِلَى
إِدْرِيسَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي جَمِيعِ كَثِيرِ بَعِيَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ . فَأَنْزَلَهُمْ
حَوْلَهُ ، بَعْدَ الْقُرُوبَيْنِ . وَكَانَتْ فِيهِمْ امْرَأَةٌ مَبَارَكَةٌ صَالِحَةٌ ، اسْمُهَا فَاطِمَةُ ،
وَتَكَتَّى أُمُّ الْبَنِينَ ، بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْفَهْرِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ . أَتَتْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ مَعَ أُخْتِهَا
وَزَوْجِهَا ، فَسَكَنُوا بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ . فَتَوَفَّى زَوْجُهَا وَأُخْتُهَا ،
فَوَرَّثَتْ مِنْهُمَا مَالًا جَسِيمًا حَلَالًا طَيِّبًا لَيْسَ فِيهِ شُبْهَةٌ (1) ، لَمْ يَتَغَيَّرْ بَيْعُ
وَلَا شِرَاءُ ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَصْرِفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ (2) وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ . فَعَزَمَتْ
عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدٍ ، تَجِدُ ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ
خَيْرٍ مُحْضَرًا !! فَاشْتَرَتْ مَوْضِعَ الْقُرُوبَيْنِ مِمَّنْ كَانَ حَازَهُ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ
الْمَالَ ، ثُمَّ شَرَعَتْ فِي حَفْرِ آسَاسِهَا وَبِنَائِهَا يَوْمَ السَّبْتِ ، مُهَلَّ رَمَضَانَ
الْمُعَظَّمِ سَنَةِ 245 ، وَحَفَرَتِ الْبُئْرَ فِي الصَّحْنِ ، فَكَانَ الْبَنَّاؤُونَ يَسْقُونَ مِنْهَا

* فِي كِتَابِ ابْنِ أَبِي زَرْعٍ «الْقُرْطَاسُ» تَفَاصِيلُ ضَافِيَّةٌ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ .
(1) لَيْسَ فِيهِ شُبْهَةٌ : لَا يَلْتَبِسُ فِيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْحَلَالُ بِالْحَرَامِ ،
وَيَعْدُ الْمَالُ الْمُرُوثُ حَلَالًا طَيِّبًا بِنَاءً عَلَى الْمَبْدَأِ «الْحَرَامُ لَا يَتَعَلَّقُ بِذِمَّتَيْنِ» .
(2) وَجُوهُ الْبِرِّ : طَرِيقُ الْإِحْسَانِ كِبْنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَسْتَشْفِيَّاتِ ، وَتَعْبِيدِ
الطَّرِيقِ وَاعَانَةِ الْمَصَابِينِ الْخ .

الماء لبناء الجامع .. وَلَمْ تَزَلْ فَاطِمَةُ صَائِمَةً مِنْ يَوْمِ شُرِعَ فِي بِنَائِهَا إِلَى
 أَنْ تَمَّ ، وَصَلَّتْ فِيهِ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي وَفَّقَهَا لِأَعْمَالِ الْخَيْرِ ، وَكَانَ
 الْمَسْجِدُ الَّذِي بَنَتْهُ فَاطِمَةُ الْمَذْكُورَةُ ، أَرْبَعَةَ بِلَاطَاتٍ وَصَحْنًا ، صَغِيرًا ، وَجَعَلَتْ
 مَحْرَابَهُ فِي مَوْضِعِ الثُّرَيَّا الْآنَ الْكَبِيرَةِ . وَجَعَلَتْ طُولَهُ مِنَ الْحَائِطِ الْغَرْبِيِّ إِلَى
 الْحَائِطِ الشَّرْقِيِّ فِي مِائَةِ وَخَمْسِينَ شِبْرًا . وَبَنَتْ فِيهِ صَوْمَعَةً غَيْرَ مُرْتَفَعَةٍ ،
 بِمَوْضِعِ الْقِبْلَةِ الَّتِي عَلَى رَأْسِ الْعَنْزَةِ (3) الْآنَ .

القرطاس ص 76



(3) العنزة : مكان مرتفع قرب الصومعة العالية يجلس فيه القراء الذين يتلون القرآن بقراءة حمزة ، أحد القراء السبعة .

(77) بيمارستان مراکش

بَنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يُوسُفَ (I)، يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشَ، بِيَمَارِسْتَانَ مَا أَظُنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مِثْلَهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ تَخَيَّرَ
سَاحَةً فَسِيحَةً، بِأَعْدَلِ مَوَاضِعِ فِي الْبَلَدِ، وَأَمَرَ الْبَنَائِينَ بِإِتْقَانِهِ عَلَى أَحْسَنِ
الْوُجُوهِ. فَاتَّقَنُوا فِيهِ مِنَ النُّقُوشِ الْبَدِيعَةِ، وَالزَّخَارِفِ الْمُحْكَمَةِ مَا زَادَ عَلَى
الْاِقْتِرَاجِ. وَأَمَرَ أَنْ يُغْرَسَ فِيهِ، مَعَ ذَلِكَ، مِنْ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ، وَالْمَشْمُومَاتِ،
وَالْمَأْكُولَاتِ. وَأَجْرَى فِيهِ مِيَاهًا كَثِيرَةً، تَدُورُ عَلَى جَمِيعِ الْبُيُوتِ، زِيَادَةً عَلَى
أَرْبَعِ بَرَكَ فِي وَسْطِهِ، لِإِحْدَاثِهَا رُخَامًا أَبْيَضَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ مِنَ الْفُرَشِ النَّفِيسَةِ،
مِنْ أَنْوَاعِ الصُّوفِ وَالْكُتَّانِ وَالْحَرِيرِ وَالْأَدِيمِ (2) وَغَيْرِهِ، مِمَّا يَزِيدُ عَلَى الْوَصْفِ،
وَيَأْتِي قَوْقَ النَّعْتِ، وَأَجْرَى لَهُ ثَلَاثِينَ دِينَارًا فِي كُلِّ يَوْمٍ بِرَسْمِ الطَّعَامِ،
وَمَا يَنْفِقُ عَلَيْهِ خَاصَّةً، خَارِجًا عَمَّا جَلَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ، وَأَقَامَ فِيهِ مِنْ
الصِّيَادِلَةِ لِعَمَلِ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَذْهَانِ وَالْأَكْحَالِ. وَأَعَدَّ فِيهِ لِلْمَرْضَى ثِيَابَ
لَيْلٍ وَنَهَارٍ لِلنَّوْمِ، مِنْ جِهَازِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ. فَلِذَا نَقَعَ الْمَرِيضُ (3)، فَإِنْ كَانَ
فَقِيرًا أُمِرَ لَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ، بِمَالٍ يَعْيشُ بِهِ رَيْثَمَا يَسْتَقِلُّ (4)، وَإِنْ كَانَ
غَنِيًّا دُفِعَ إِلَيْهِ مَالُهُ.

المعجب لعبد الواحد المراكشي - ط سلا ص 176

(I) ابو يعقوب الموحدي (انظر رقم 66).

(2) الاديم : الجلد المذبوغ .

(3) نقه المريض : صح وفيه ضعف فهو ناقه، وانتقه . شفى من مرضه .

(4) يستقل : هنا يستغنى ويصير لا يحتاج الى الغير

فائدة : لما رأى عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَنَّ يَبْنَى مُسْتَشْفَى بِبَغْدَادِ اسْتَشَارَ طَبِيبَهُ فِي
اخْتِيَارِ مَوْضِعٍ لِإِقَامَةِ الْبِنَاءِ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ الطَّبِيبُ قِطْعَةً لَحْمٍ وَشَقَّهَا أَرْبَعَ
شَرَائِحَ وَضَعَ كُلَّ شَرِيحَةٍ فِي مَكَانٍ مَكْشُوفٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ رَتَّبَ رِجَالاً
يُثَبِّتُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي دِفْطَرِهِ الدَّقِيقَةَ الَّتِي يَحْدُثُ فِيهَا التَّعَفُّنُ فِي كُلِّ مِنْ هَذِهِ
الشَّرَائِحِ ثُمَّ بَنَى الْمُسْتَشْفَى فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَأَخَّرَ فِيهِ تَعَفُّنُ اللَّحْمِ .

الحديقة ج 6 ص 282

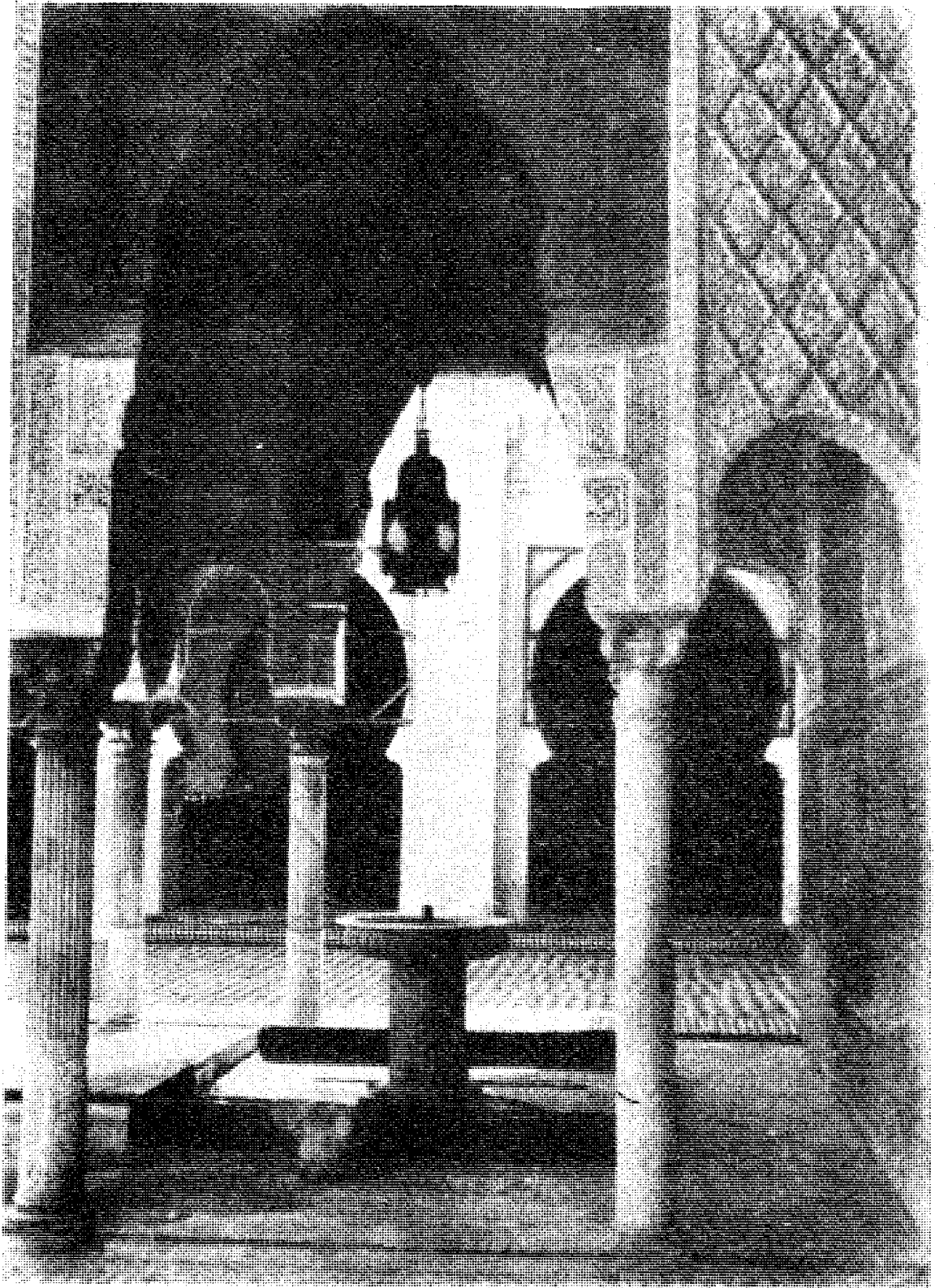


(78) بعض مؤسسات أبي يوسف يعقوب المريني⁽¹⁾

هُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ فَاسَ الْجَدِيدَةَ ، وَاتَّخَذَهَا دَارَ مُلْكِهِ ، وَبَنَى الْمَارِسْتَانَاتِ (2) لِلْفُرَبَاءِ وَالْمَجَانِينَ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النُّفَقَاتِ ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْدِيَةِ ، وَيَسْتَنْهَوْنَهُ مِنَ الْفَوَاحِ . وَأَمَرَ الْأَطِبَّاءَ بِتَفْقُدِ أَحْوَالِهِمْ ، وَبِمَدَاوَاتِهِمْ . وَأَجْرَى لِلْخُدَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ مَالًا مَعْلُومًا ، يَأْخُذُونَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ جَزِيَةِ الْيَهُودِ . وَبَنَى الْمَدَارِسَ بِفَاسَ وَمُرَاكَشَ ، وَرَتَّبَ فِيهَا الطُّلَبَةَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ ، وَأَجْرَى لَهُمُ الْمَرْتَبَاتِ فِي كُلِّ شَهْرٍ . وَأَمَرَ بِتَطْهِيرِ (3) الْأَيْتَامِ وَكِسْوَتِهِمْ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِالذَّرَاهِمِ وَالطَّعَامِ ، فِي كُلِّ عَاشُورَاءَ . وَبَنَى الزَّوَايَا فِي الْفَلَوَاتِ ، وَأَوْقَفَ لَهَا الْأَوْقَافَ الْكَثِيرَةَ لِإِطْعَامِ عَابِرِي السَّبِيلِ ، وَذَوِي الْحَاجَاتِ . وَأَخْرَجَ أَجْنَادَ الرُّومِ (4) الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ مَدِينَةَ فَاسَ وَبَنَى لَهُمْ حَظِيرَةَ بِخَارِجِ الْمَدِينَةِ ، وَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا ، وَرَفَعَ أَذَاهُمْ عَنِ النَّاسِ .

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

-
- (I) ابو يوسف يعقوب المريني : هو ابن عبد الحق مؤسس دولة بني مرين وخامس ملوكهم، مات بالجزيرة الخضراء اثر مرض اعتراه (685 هـ. 1288 م.) ونقل جثمانه الى مقبرة شالة فدفن بمسجدها
(2) المارستانات (والبيمرستانات) : مستشفيات بها اقسام لايواء المجانين
(3) تطهير : ختان .
(4) اجناد الروم : فرق من الروم كانوا في الجيش المغربي بصفتهم مرتزقة .



جانب من جامع القرويين بفاس

(79) الزوايا بمصر في عهد الملك الناصر

ابن قلاوون (1) الصالحى

وَأَمَّا الزَّوَايَا فَكَثِيرَةٌ، وَهُمْ يَسْمَوْنَهَا الْخَوَانِقَ ، وَاحِدَتُهَا خَانِقَةٌ .
وَالْأُمَرَاءُ فِي مِصْرَ ، يَتَنَافَسُونَ فِي بِنَائِهَا . وَكُلُّ زَاوِيَةٍ فِي مِصْرَ مُعَيَّنَةٌ لِطَائِفَةٍ
مِنَ الْفُقَرَاءِ (2) وَأَكْثَرُهُمُ الْأَعَاجِمُ ، وَهُمْ أَهْلُ أَدَبٍ ، وَمَعْرِفَةٍ بِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ .
وَلِكُلِّ زَاوِيَةٍ شَيْخٌ وَحَارِسٌ . وَتُرْتَبِّبُ أُمُورُهُمْ عَجِيبٌ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي
الطَّعَامِ أَنَّهُ يَأْتِي خَدِيمُ الزَّوَايَةِ إِلَى الْفُقَرَاءِ صَبَاحًا ، فَيُعِينُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الطَّعَامِ . فَلِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ جَعَلُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ خُبْزَةً وَمَرَقَةً
فِي إِنَاءٍ عَلَى حِدَةٍ ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ . وَطَعَامُهُمْ مَرَّتَانٍ فِي الْيَوْمِ . وَلَهُمْ
كِسْوَةُ الشِّتَاءِ وَكِسْوَةُ الصَّيْفِ ، وَمَرْتَبُ شَهْرِيٍّ مِنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا لِلوَاحِدِ
فِي الشَّهْرِ إِلَى عِشْرِينَ . وَلَهُمُ الْحَلَاوَةُ مِنَ السَّكَّرِ فِي كُلِّ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ،
وَالصَّابُونَ لِيَغْسِلَ أَثْوَابَهُمْ ، وَالْأَجْرَةُ لِدُخُولِ الْحَمَّامِ ، وَالزَّيْتُ لِلِاسْتِصْبَاحِ .
وَهُمْ أَغْرَابٌ ، وَلِلْمَتَزَوِّجِينَ زَوَايَا عَلَى حِدَةٍ ، وَمِنْ الْمَشْتَرِطِ عَلَيْهِمْ حُضُورُ
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَالْمَيْتِ فِي الزَّوَايَةِ ، وَاجْتِمَاعُهُمْ بِقُبَّةِ دَاخِلِ الزَّوَايَةِ .
وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ مَعَ الْقَادِمِ ، أَنَّهُ يَأْتِي بَابَ الزَّوَايَةِ ، فَيَقِفُ بِهِ مَشْدُودَ الْوَسْطِ ،
وَعَلَى كَاهِلِهِ سَجَّادَةٌ ، وَيُمْنَاهُ الْعُكَّازُ ، وَيُسَارُهُ الْإِبْرِيْقُ ، فَيَعْلَمُ الْبَوَّابُ خَدِيمُ
الزَّوَايَةِ بِمَكَانِهِ . فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ مِنْ أَىِّ الْبَلَدِ أَتَى ، وَبَأَىِّ الزَّوَايَا نَزَلَ
بِطَرِيقِهِ ، وَمَنْ شَيْخُهُ ، فَإِذَا عَرَفَ صِحَّةَ قَوْلِهِ أَدْخَلَهُ الزَّوَايَةَ ، وَفَرَشَ لَهُ
سَجَّادَتَهُ ، فَيَحُلُّ وَسْطَهُ ، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، وَيُصَافِحُ الشَّيْخَ وَمَنْ حَضَرَ ،
وَيَقْعُدُ مَعَهُمْ .

رحلة ابن بطوطة

(1) الناصر بن قلاوون : انظر ترجمته فى قطعة 53 .

(2) الفقراء : هنا المتصوفون .

(80) الأوقاف بدمشق

فَالْأَوْقَافُ بِدِمَشْقَ لَا تُحْصَرُ أَنْوَاعُهَا وَمَصَارِفُهَا لِكَثْرَتِهَا ، فَمِنْهَا أَوْقَافٌ عَلَى الْعَاجِزِينَ عَنِ الْحَجِّ ، وَأَوْقَافٌ عَلَى تَجْهِيزِ الْبَنَاتِ الْفَقِيرَاتِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ ، وَأَوْقَافٌ لِفَكَالِكَ الْأَسَارَى ، وَأَوْقَافٌ لِابْنَاءِ السَّبِيلِ يُعْطَوْنَ مِنْهَا مَا يَأْكُلُونَ وَيَلْبَسُونَ وَيَتَزَوَّدُونَ لِبِلَادِهِمْ . وَمِنْهَا أَوْقَافٌ عَلَى تَعْدِيلِ الطُّرُقِ وَرَصِفِهَا ، لِأَنَّ أَرْقَةَ دِمَشْقَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا رَصِيفَانِ فِي جَنْبَيْهِ ، يَمُرُّ عَلَيْهِمَا الْمُتَرْجِلُونَ ، وَيَمُرُّ الرُّكَبَانُ بَيْنَ ذَلِكَ .

مَرَرْتُ يَوْمًا بِبَعْضِ أَرْقَةِ دِمَشْقَ ، فَرَأَيْتُ بِهِ مَمْلُوكًا صَغِيرًا قَدْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ صَحْفَةٌ مِنَ الْفَخَّارِ الصِّينِيِّ فَتَكَسَّرَتْ ، فَجَمَعَ شَقْفَهَا ، وَذَهَبَ عِنْدَ صَاحِبِ أَوْقَافِ الْأَوَانِي ، فَدَفَعَ لَهُ هَذَا مَا اشْتَرَى بِهِ مِثْلَ تِلْكَ الصَّحْفَةِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ ؛ فَإِنْ سَيِّدَ الْغُلَامِ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ عَلَى كَثِيرِ الصَّحْنِ أَوْ يَنْهَرَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا يُنْكَسِرُ قَلْبُهُ ، فَكَانَ هَذَا الْوَقْفُ جُبْرًا لِلْقُلُوبِ . وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَتَنَافَسُونَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ وَالزَّوَايَا ، وَالْمَدَارِسِ وَالْمَشَاهِدِ ، وَهُمْ يَحْسِنُونَ الظَّنَّ بِالْمَغَارِبَةِ ، وَيَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَهْلِينَ وَالْأَوْلَادُ . وَكُلُّ مَنْ انْقَطَعَ بِجَهَةٍ مِنْ جِهَاتِ دِمَشْقَ ، لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ لَهُ وَجْهٌ مِنَ الْمَعَاشِ ، مِنْ إِمَامَةٍ مَسْجِدٍ ، وَقِرَاءَةٍ بِمَدْرَسَةٍ ، وَمُلازِمَةٍ مَسْجِدٍ يَجِيءُ إِلَيْهِ فِيهِ رِزْقُهُ ، أَوْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، أَوْ خِدْمَةِ مَشْهَدٍ (I) مِنَ الْمَشَاهِدِ الْمُبَارَكَةِ ،

(I) مشهد : ضريح احد الاولياء .

وَيَكُونُ كَجُمْلَةِ الصُّوفِيَةِ بِالْخَوَانِقِ ، فَمَنْ كَانَ غَرِيباً عَلَى خَيْرٍ ، لَمْ يَزَلْ
مَصُوناً عَنْ بَذْلِ وَجْهِهِ (2) ، مَحْفُوظاً عَمَّا يُزْرَى (3) بِالْمُرُوءَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ
أَهْلِ الْمِهْنَةِ ، وَالْخِدْمَةِ ، فَلَهُ أَسْبَابٌ أُخْرَى مِنْ حِرَاسَةِ بُسْتَانٍ ، أَوْ أَمَانَةِ
طَاحُونَةٍ ، وَكَفَالَةِ صَبْيَانٍ يَغْدُو مَعَهُمْ إِلَى التَّعْلِيمِ وَيَرْوَحُ ، وَمَنْ أَرَادَ طَلَبَ
الْعِلْمِ أَوْ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ وَجَدَ الْإِعَانَةَ التَّامَّةَ عَلَى ذَلِكَ .

رحلة ابن بطوطة



(2) بذل وجهه : ترك الاحتشام وسأل صدقة او أعانة .
(3) أزرى به : عابه ووضع من حقه : وازدراه : احتقره .

(81) المدرسة الحجازية بالقاهرة

هذه المدرسة بِرَحْبَةٍ بَابِ الْعِيدِ مِنَ الْقَاهِرَةِ .. أَنْشَأَهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ خَوْنَدَتَرُ الْحِجَازِيَّةُ ، ابْنَةُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ (I)، زَوْجَةُ بُكْتُمِرِ الْحِجَازِيِّ ، وَبِهِ عَرَفَتْ . وَجَعَلَتْ بِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ دَرَسًا لِلْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ (2)، وَدَرَسًا لِلْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ (3)، وَجَعَلَتْ بِهَا مِنْبَرًا يُخْطَبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَرَتَّبَتْ لَهَا إِمَامًا رَاتِبًا ، يُقِيمُ بِالنَّاسِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ . وَجَعَلَتْ بِهَا خِزَانَةً كُتُبٍ ، وَأَنْشَأَتْ قُرْبَهَا قُبَّةً لَتَدْفَنَ تَحْتَهَا ، وَرَتَّبَتْ بِسَبَّاحٍ هَذِهِ الْقُبَّةِ عِدَّةَ قُرَّاءٍ يَتَنَاقَبُونَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، لَيْلًا وَنَهَارًا . وَأَنْشَأَتْ بِهَا مَنَارًا لِيُؤَذِّنَ عَلَيْهِ . وَجَعَلَتْ بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ مَكْتَبًا لِلْسَّبِيلِ فِيهِ عِدَّةٌ مِنْ آيَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَهُمْ مُؤَدِّبٌ يَعْلِمُهُمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَيُجَرِّى عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، مِنَ الْخُبْرِ النُّقْيِ ، خَمْسَةَ أَرْغِفَةٍ ، وَمَبْلَغٌ مِنَ الْفُلُوسِ . وَيُقَامُ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكِسْوَتَي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . وَجَعَلَتْ عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ (4)، عِدَّةَ أَوْقَافٍ جَلِيلَةٍ ، يَصْرَفُ مِنْهَا لِأَرْبَابِ الْوُظَائِفِ ، الْمَعَالِيمِ السَّنِيَّةِ ، وَكَانَ يُفَرَّقُ فِيهِمْ كُلُّ سَنَةٍ ، أَيَّامَ عِيدِ الْفِطْرِ ، الْكَعْكَ ، وَفِي عِيدِ الْأَضْحَى اللَّحْمِ ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ يُطْبَخُ لَهُمُ الطَّعَامُ .. وَكَانَ إِنْشَاؤُهَا فِي إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ... وَعَهْدِي بِهَا (5) مُحْتَرَمَةً إِلَى الْغَايَةِ

المقريزي : الخطط

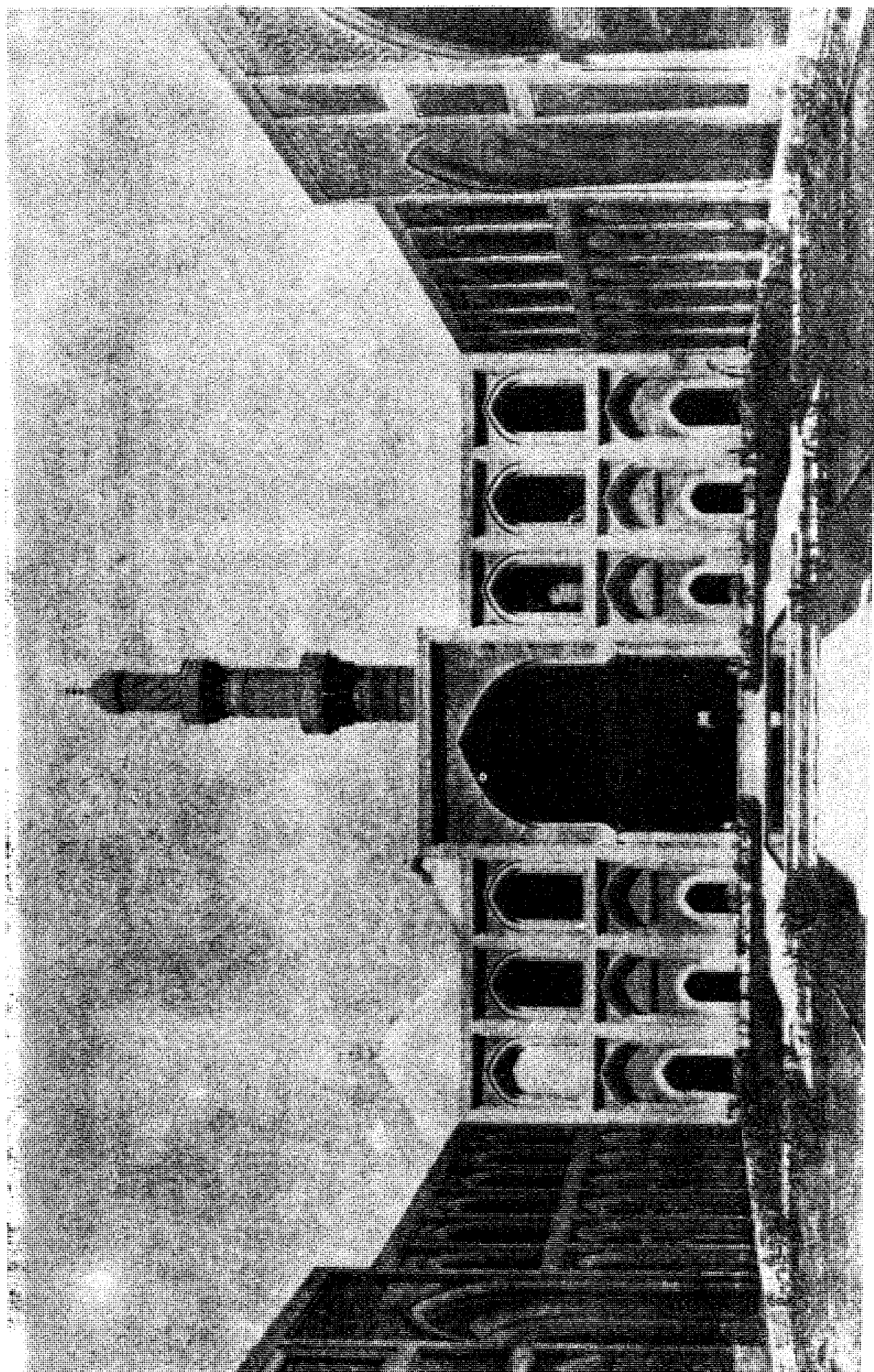
(I) الناصر بن قلاوون : انظر قطعة 53 .

(2) الشافعية : الذين على مذهب الامام الشافعي .

(3) والمالكية : الذين على مذهب الامام مالك (انظر قطعة 57)

(4) على هذه الجهة : اى لاجل هذا

(5) بها : اى بالمدرسة التى تكلم عنها



(82) مسجـد بـلـغ

ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ التَّارِيخِ، أَنَّ مَسْجِدَ بَلْغَ بَنَتْهُ امْرَأَةٌ، كَانَ زَوْجُهَا
 أَمِيرًا بَلْغًا، لِابْنِ الْعَبَّاسِ، يُسَمَّى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ. فَاتَّفَقَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ غَضِبَ
 مَرَّةً عَلَى أَهْلِ بَلْغَ لِحَادِثِ أَحَدِ ثَوْبِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَغْرِمُهُمْ مَغْرَمًا فَادِحًا.
 فَلَمَّا بَلَّغَ إِلَى بَلْغَ، أَتَى نِسَاؤُهَا وَصِيبِيَّاتُهَا إِلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ، وَشَكَّوْا لَهَا حَالَهُمْ
 وَمَا لِحَقِّهِمْ مِنْ هَذَا الْمَغْرَمِ. فَبَعَثَتْ إِلَى الْأَمِيرِ، الَّذِي قَدِمَ بِرُسْمِ تَغْرِيمِهِمْ،
 بِثَوْبٍ لَهَا مَرْصُوعٌ بِالْجَوَاهِرِ، قِيَمَتُهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَمَرَ بِتَغْرِيمِهِ. فَقَالَتْ: إِذَا هَبْتُ
 بِهَذَا الثَّوْبِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ صَدَقَةً عَنْ أَهْلِ بَلْغَ لَضَعْفِ حَالِهِمْ.
 فَذَهَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَأَلْقَى الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَحَجَلَ
 الْخَلِيفَةُ وَقَالَ: أَتَكُونُ امْرَأَةً أَكْرَمَ مِنَّا؟ وَأَمْرُهُ بِرَفْعِ الْمَغْرَمِ عَنْ أَهْلِ بَلْغَ،
 وَبِالْعَوْدَةِ إِلَيْهَا، لِيَرُدَّ لِلْمَرْأَةِ ثَوْبُهَا، وَأَسْقَطَ عَنْ أَهْلِ بَلْغَ خِرَاجَ سَنَةٍ،
 فَعَادَ الْأَمِيرُ إِلَى بَلْغَ، وَأَتَى مَنْزِلَ الْمَرْأَةِ، وَقَصَّ عَلَيْهَا مَقَالَةَ الْخَلِيفَةِ، وَرَدَّ
 عَلَيْهَا الثَّوْبَ. فَقَالَتْ: أَوْقَعَ بَصَرَ الْخَلِيفَةِ عَلَى هَذَا الثَّوْبِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ:
 لَا أَلْبَسُ ثَوْبًا وَقَعَ عَلَيْهِ بَصَرُ غَيْرِ ذِي مُحَرَّمٍ مِنِّي (1)، وَأَمَرْتُ بِبَيْعِهِ. فَبَنِيَ
 بِهِ الْمَسْجِدَ وَزَاوِيَةَ وَرِبَاطًا (2) فِي مُقَابَلَتِهِ، مَبْنِي بِالْكِدَانِ، وَهُوَ عَامِرٌ حَتَّى
 الْآنَ، وَفُضِّلَ مِنَ الثَّوْبِ مِقْدَارُ ثَلَاثَةِ، فَذَكَرَ أَنَّهَا أَمَرَتْ بِدَفْنِهِ تَحْتَ سَوَارِي
 الْمَسْجِدِ، لِيَكُونَ هُنَاكَ مَتَسَيِّرًا إِنْ أَحْتِيجَ إِلَيْهِ أَخْرَجَ.. وَهَذَا الْمَسْجِدُ مِنْ
 أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا وَأَفْسَحِهَا، وَمَسْجِدُ رِبَاطِ الْفَتْحِ بِالْمَغْرِبِ، يُشَبِّهُهُ
 فِي عِظَمِ سَوَارِيهِ، وَمَسْجِدُ بَلْغَ أَجْمَلُ مِنْهُ فِي سِوَى ذَلِكَ.

رحلة ابن بطوطة

-
- (1) ذو محرم : هو الذي يحل له ان يرى المرأة بغير حجاب كزوجها
 او اخيها الخ .
 (2) الرباط : حصن يبنى عادة في الشغور ويرابط فيه الناس للعبادة
 وليكونوا على اهبة لمقاومة العدو .

(83) إعادة عمارة بغداد

أَنَّ عَضَدَ الدَّوْلَةِ (I) هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِعِمَارَةِ مَنَازِلِ بَغْدَادِ وَأَسْوَاقِهَا، وَكَانَتْ مُخْتَلَّةً، قَدْ أُحْرِقَ بَعْضُهَا؛ وَخَرِبَ الْبَعْضُ، فَابْتَدَأَ بِالْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ؛ فَشَيَّدَهَا وَأَعْلَاهَا، وَفَرَّشَهَا وَكَسَاهَا. وَتَقَدَّمَ بِإِدْرَارِ أَرْزَاقِ قَوَائِمِهَا، وَمُؤَذِّنِهَا وَالْأَيْمَةِ وَالْفُرَّاءِ فِيهَا، وَلِإِقَامَةِ الْجَرَائِثِ لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهَا مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُهْمَلًا. وَبَنَى الْبَيْمَرُستَنَاتِ. وَأَلْزَمَ أَرْبَابَ الْعَقَارَاتِ الَّتِي احْتَرَقَتْ وَدَثَرَتْ فِي أَيَّامِ الْفِتْنَةِ، أَنْ يَعِيدُوهَا إِلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا فِي الْعِمَارَةِ وَفِي الْحُسْنِ وَالزَّيْنَةِ، فَمَنْ قَصُرَتْ يَدُهُ عَنْ ذَلِكَ اقْتَرَضَ مِنْ بَيْتِ مَالِهِ، لِيُرْتَجَعَ مِنْهُ عِنْدَ الْمَيْسَرَةِ. ثُمَّ وَقَعَ التَّتَبُّعُ عَلَى الدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ عَلَى جَانِبِي دِجْلَةِ، فَبُنِيَتْ وَجِدِّدَتْ رَوَاشِنُهَا (2). فَلَامَتَلَّتْ الْخِرَابَاتُ بِالزَّهْرِ وَالْخَضِرِ وَالْعِمَارَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَأْوَى الْكِلَابِ، وَمَطَارِحَ الْأَقْدَارِ. وَجُلِبْتُ إِلَيْهَا الْغُرُوسُ مِنْ فَارِسَ وَسَائِرِ الْبِلَادِ - وَكَانَ بَبْغَدَادَ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ، انْدَفَنْتْ مَجَارِيهَا، وَعَفَتْ (3) رُسُومُهَا، فَاضْطُرَّ الضُّعَفَاءُ إِلَى أَنْ يَشْرَبُوا مِاءَ الْآبَارِ الثَّقِيلَةِ، وَيُكَلِّفُوا حَمْلَ الْمَاءِ مِنْ دِجْلَةٍ فِي الْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ، فَأَمَرَ بِحَفْرِ عُمْدَانِهَا (4) وَرَوَاضِعِهَا. وَكَانَتْ عَلَى عُمْدَانِهَا الْكَبِيرَةِ، قَنَاطِرٌ قَدْ تَهَدَّمَتْ، فَرُبَّمَا انْقَطَعَتْ بِهَا السَّبِيلُ أَصْلًا، وَرُبَّمَا عَمَّرَهَا الرَّعِيَّةُ عِمَارَةً ضَعِيفَةً عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ، وَعَلَى حَسَبِ

(I) عضد الدولة : انظر ترجمته في قطعة 18 .

(2) الروشن ج رواشن : خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله .

(3) عفت : عفت الريح الاثر او المنزل : محته وعفا الاثر : امحى ودثر وبلى

(4) عمدان النهر : مجارى الماء الكبيرة التي تتصل به .

الإِقْتِصَادِ وَالتَّرَجِيَةِ ، فَلَمْ تَكُنْ تَخْلُو مِنْ أَنْ يَجْتَازَ عَلَيْهَا الْبَهَائِمُ وَالنِّسَاءُ
وَالْأَطْفَالُ وَالضُّعَفَاءُ ، فَيَسْقُطُونَ . فَبَنَيْتُ كُلَّهَا جَدِيدَةً ، وَعَمِلْتُ عَمَلًا مُحْكَمًا ،
وَاخْتِيرَ لِجِسْرِ بَغْدَادِ السُّفُنُ الْكِبَارُ ، وَعَرَّضْتُ حَتَّى صَارَ كَالشُّوَارِعِ الْفَسِيحَةِ ،
وَحَصَّنْتُ بِالذَّرَازِينَاتِ (5) وَوَكَّلْتُ بِهِ الْحَفَظَةَ وَالْحُرَاسَ .

تجارب الامم ص 405 وما بعدها باقتضاب



(5) الدرابزينات ج درابزون ودرابزين : قوائم منتظمة يعلوها متكأ وتكون
على جوانب القناطر او الاماكن المشرفة لثلا يسقط المظل منها .

(84) بناء السكور « السرود »

لَمَّا عَادَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ (I) إِلَى بَغْدَادَ، وَأَعَادَهَا إِلَى رِيْعَانِهَا بَعْدَ الْهَدْمِ،
وَعَمِلَ السُّكُورَ، وَأَنْفَقَ فِيهَا الْأَمْوَالَ، وَأَعَدَّ عَلَيْهَا الْأَلَاتِ، وَكَلَّ بِهَا الرِّجَالَ،
وَالزَّمَهُمْ حِفْظَهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَاعَى ذَلِكَ مِنْهُمْ أَتَمَّ الْمُرَاعَاةِ، فِي آوِنَةِ
الْمُدُودِ (2) الْجَوَارِفِ (3)، وَأَزْمِنَةَ الْغِيُوثِ الْهَوَاطِلِ، وَأَوْقَاتِ الرِّيحِ الْعَوَاصِفِ.
فَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا سَدَّ الْمَطْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَشَقَ (3) السَّهْلِيَّةَ، رَتَّبَ عَلَيْهِ
إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفَ بِالْأَغَرِّ وَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ عَلَيْهِ، وَمُوَاصَلَةِ تَعْلِيْنِهِ إِلَى حِينَ
انْقِضَاءِ الْمُدُودِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : «فَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ السِّكْرِ زَمَانًا طَوِيلًا، وَكَانَ لِي مَنْزِلٌ
بِجِسْرِ النَّهْرَوَانِ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مَدَى قَرِيبٌ، فَكُنْتُ أَتَجَنَّبُهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ
يَكْتُبَ صَاحِبُ الْخَبَرِ، بِجِسْرِ النَّهْرَوَانِ، بِخَبَرِي. فَلَمَّا مَضَتْ الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ
عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ خَالِي، عَصَفَتْ رِيحٌ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَوَرَدَ مَعَهَا مَطَرٌ
شَدِيدٌ، فَدَخَلْتُ الْقُبَّةَ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى السِّكْرِ أُسْتَتِرُ بِهَا، وَاجْتَهَدْنَا فِي أَنْ نَشْعَلَ
سِرَاجًا فَلَمْ يَدْعُنَا عَصُوفُ الرِّيحِ. وَصَجِرْتُ، وَضَاقَ صَدْرِي، وَنَازَعَتْنِي نَفْسِي أَنْ
أَقُومَ فَأَمْضِيَ فِي الظُّلْمَةِ إِلَى جِسْرِ النَّهْرَوَانِ، وَأَبَيْتُ فِي مَنْزِلِي، وَأُعَاوِدُ بُكْرَةً
مَوْضِعِي. فَبَيْنَمَا أَنَا فِي ذَلِكَ، وَقَدْ حَقَّقْتُ عَزَمِي عَلَيْهِ، إِذْ سَمِعْتُ كَلَامًا

(I) عضد الدولة : انظر قطعة رقم 18

(2) المدود : مفردا مد من مدّ النهر او البحر : زاد ماؤه وامتد ويقابل
المد الجزر .

(3) بشق : من بشق السيل الموضع : خرقه وشقه - وانبثق الماء : انفجر
وفاض .

عَلَى بَابِ الْقُبَّةِ ، فَقُلْتُ لِغُلَامِي : انْظُرْ مَا هُوَ . فَخَرَجَ وَعَادَ وَقَالَ : إِنْسَانٌ عَلَى جَمَلٍ قَدْ أَنَاخَ عِنْدَنَا . وَدَخَلَ الرَّجُلُ وَسَلَّمْ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لِلْغُلَامِ : اشْعَلْ سِرَاجًا ، فَقَدِمَ وَأَشْعَلَ فَجَاءَ بِالنَّارِ فِي نَفَاطَةٍ ، فَلِذَا الرَّجُلُ مِنْ خَوَاصِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ ، عَرَبِيٌّ قَدْ وَرَدَ مِنْ بَغْدَادَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَشَاءُ ؟ فَقَالَ : أَمَرَنِي مَوْلَانَا قَالَ : تَمْضِي وَتَقْصِدُ سِكْرَ السَّهْلِيَّةِ ، وَتَدْخُلُ إِلَى الْقُبَّةِ ، فَإِنْ وَجَدْتَ إِبْرَاهِيمَ الْأَعْرَجَ هُنَاكَ ، فَأَعْلِمَهُ أَنَّنا نُبَازِيهِ عَلَى خِدْمَتِهِ ، وَطُولِ مُلَازَمَتِهِ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكَيْسَ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَأَقْصِدْهُ ، وَاهْبِجْ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ ، وَخُذْ رَأْسَهُ وَاحْمِلْهُ إِلَى ، وَاتْرُكِ الْكَيْسَ بَيْنَ يَدَيْكَ .. وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا كَفَّاكَ إِيَّاهُ . وَعَادَ مِنْ وَقْتِهِ ، فَبَقِيتُ حَيْرَانَ ، وَعَزَمْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَدْخُلَ جِسْرَ النَّهْرَوَانِ .

ذيل كتاب تجارب الامم ص 69

الباب الثالث

الفصل الرابع

سكان البهرد

قَالَ تَعَالَى: «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» .

قَدْ اتَّصَلَ الْعَرَبُ ، وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ الْمَدَرِ مِنْهُمْ ، بِالْأُمَمِ الْعَجَمِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ
بَعْضُ الْإِتِّصَالِ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِي . وَلَمَّا تَتَابَعَتِ الْفُتُوحَاتُ تَقَاطَرَتِ الْمَمَالِكُ
عَلَى الْحِجَازِ ، وَغَادَرَ الْكَثِيرُ مِنَ الْعَشَائِرِ الْعَرَبِيَّةِ جَزِيرَتَهُمْ لِيَسْلَمُوا الشُّعُوبَ
الْأُخْرَى ، فَتَقَارَبَتِ الْعَنَاصِرُ ، وَتَجَاوَرَتِ الْمَعَايِدُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْكَثَائِسِ وَبِالْبَيْعِ ،
وَتَوَثَّقَتْ أَوَاصِرُ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ الْمُخْتَلَفِي الْأَدْيَانِ ، وَامْتَزَجَ الْأَخْرَارُ
بِالْمَوَالِي فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَوَاسِمِ وَالْمَحَافِلِ .

وَكَانَتْ قُصُورُ الْخُلَفَاءِ وَدُورُ الْأَكَابِرِ تُشَبِّهُ مَجْمَعًا لِلْأُمَمِ ، لِمَا فِيهَا مِنْ
هَرَائِرَ - لَمْ يَتَعَرَّضْ لِذِكْرِهِمُ الْأَدَبَاءُ إِلَّا قَلِيلًا - وَجَوَارِي وَغِلْمَانٌ اخْتَلَفَتْ
أُصُولُهُمْ ، وَتَبَايَنَتْ عَوَاطِفُهُمْ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَقْضَى التَّجَاوُرُ ، وَالتَّزَاوُجُ ،
وَالْوَلَاءُ ، عَلَى الشُّعُورِ الْقُبْلِي ، وَعَلَى الشُّعُوبِيَّةِ الْهُوْجَاءِ .

وَرَغْمَ مَا أَبْدَاهُ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَعْصُّبٍ فِي بَعْضِ الْأُحْيَانِ ،
فَلِإِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَالْمَوَالِي ، بَلَّغُوا مَنَاصِبَ عَالِيَةٍ فِي الْإِدَارَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَنَالُوا شُهْرَةً مُحْتَرَمَةً فِي الْأَنْدِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ .

وَلِإِنَّكَ قِطْعًا فِي وَصْفِ طَبَقَاتٍ وَعَنَاصِرٍ كَانَتْ - وَلَا زَالَتْ - تَتَأَلَّفُ
مِنْهَا أُمَمُ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

بعض المراجع

- (I) فجر الاسلام وضحي الاسلام : للدكتور احمد امين .
- (2) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى : لآدم ملز (فصول 2I/20/II/IO) .
- (3) اسبانيا في القرن العاشر المسيحي : لليفي بروفنصال (فصل I) بالفرنسية .
- (4) الشعر العربى فى الاندلس فى القرن الحادى عشر المسيحى . لبيرس بالفرنسية .
- (5) حاضر العالم الاسلامى : ترجمة عجاج نويهض وتعاليق الامير شكيب ارسلان .
- (6) اهل الذمة فى الاسلام : تأليف ا. س. ترتون، ترجمة: حسن حبشى



(85) تَأْمِيرُ الْبَيْتِ

. قدم عَلَى بْنِ الْجَهْمِ (I) عَلَى الْمُتَوَكِّلِ (2)، وَكَانَ بَدْوِيًّا جَافِيًّا ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً قَالَ فِيهَا : (خفيف)

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ لِلْمَوَدِّ وَكَالْتَيْسٍ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ
أَنْتَ كَالدَّلْوِ ، لَا عَدَمْنَاكَ دَلَّوْا مِنْ كِبَارِ الدَّلَاءِ كَثِيرِ الذُّنُوبِ (3)
فَعَرَفَ الْمُتَوَكِّلُ قُوَّتَهُ ، وَرَقَّةً مَقْصِيدِهِ ، مَعَ خُشُونَةٍ لَفِظُهُ ، وَأَنَّهُ مَا رَأَى
سِوَى مَا شَبَّهَ بِهِ ، لِعَدَمِ الْمَخَالِطَةِ ، وَمُلَازِمَةِ الْبَادِيَةِ . فَأَمَرَ لَهُ بِدَارِ حَسَنَةٍ ،
عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ ، فِيهَا بُسْتَانٌ حَسَنٌ ، يَتَخَلَّلُهُ نَسِيمٌ لَطِيفٌ ، يُغْدِي الْأَرْوَاحَ ،
وَالْجَسْرُ قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَيَخْرُجُ إِلَى مَحَلَّاتٍ بِغَدَادٍ فَيَرَى حَرَكَةَ النَّاسِ ، وَمَظَاهِرَ
مَدَنِيَّتِهِمْ ، وَيَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ .

فَأَقَامَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَلَى ذَلِكَ ، وَالْأُدَبَاءُ وَالْفُضَلَاءُ يَتَعَاهَدُونَ مُجَالَسَتَهُ
وَمُحَاضَرَتَهُ . ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ مُدَّةٍ لِيُنْشِدَهُ ، فَحَضَرَ وَأَنْشَدَ : (طويل)
عُيُونُ الْمَاهِ (4) بَيْنَ الرِّصَافَةِ (5) وَالْجَسْرِ جَلْبَنُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أُدْرِى وَلَا أُدْرِى
فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْهِ أَنْ يَذُوبَ رِقَّةً وَلَطَافَةً .

محاضرات الابرار

(I) على بن الجهم : ابو الحسن على بن الجهم القرشى احد الشعراء
المجيدين، نفاه المتوكل الى خراسان لاشتهاره بالكذب والادعاء، مات
سنة 24 هـ. 864 م .

(2) المتوكل : ابن المعتصم - بويج سنة 232 هـ. وكانت مدة خلافته نحو
الخمس عشرة سنة نهى عن المناظرات فى الآراء والمذاهب. قتله
ابنه المستعين .

(3) الذنوب : يطلق على ما فى الدلو من الماء ، ودلو ذنوب : لها ذنب.

(4) المهاج مهاة: بقرة الوحش وشبهت عيون النساء بعيونها لسعتها وسوادها

(5) الرصافة : محلة ببغداد وسميت بهذا الاسم مواضع كثيرة بالمشرق
وبالاندلس .

(86) العرب

قَالَ شَبِيبُ بْنُ شَبَّةَ (1) : إِنَّا لَوُقُوفٌ فِي عَرِصَةِ الْمَرِيدِ (2)، وَهُوَ مَوْقِفُ الْأَشْرَافِ وَمَجْمَعُ النَّاسِ ، وَقَدْ حَضَرَ أَعْيَانُ الْمِصْرِ ، إِذْ طَلَعَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ (3) . فَمَا فِيْنَا أَحَدٌ إِلَّا هَشَّ لَهُ ، وَارْتَاخَ إِلَى مُسَاءَلَتِهِ ، وَسِرْرُنَا بِطَلْعَتِهِ . فَقَالَ : «مَا يَقِفُكُمْ عَلَى مُتُونِ دَوَائِكُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ بَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ يَتَّبِعِي مِثْلَكُمْ مَا أَصَابَ أَحَدًا سِوَاكُمْ . فَهَلْ لَكُمْ فِي دَارِ ابْنِ بَرْتَنٍ ، فِي ظِلِّ مَمْدُودٍ ، وَوَاقِيَةٍ مِنَ الشَّمْسِ ، وَاسْتِقْبَالٍ مِنَ الشَّمَالِ ، وَتَرْوِيحِ الدَّوَابِّ وَالْعِلْمَانِ ، وَنَتَعَهَّدُ الْأَرْضَ ؟ فَإِنَّهَا خَيْرٌ بِسَاطِ وَأَوْطَوْءَ، وَسَمِعَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، فَهُوَ أَمَدٌ لِلْمَجْلِسِ ، وَأَدْرُ لِلْحَدِيثِ » فَسَارَعْنَا إِلَى ذَلِكَ وَنَزَلْنَا عَنْ دَوَابِّنَا فِي دَارِ ابْنِ بَرْتَنٍ ، نَتَنَسَّمُ الشَّمَالَ ، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ابْنُ الْمُقَفِّعِ فَقَالَ : أَيُّ الْأُمَمِ أَعْقَلَ ؟ فَظَنْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ الْفُرْسَ . فَقُلْنَا فَارِسَ أَعْقَلَ الْأُمَمِ ، نَقْصِدُ مُقَارَبَتَهُ وَنَتَوَخَّى مُصَانَعَتَهُ ، فَقَالَ : كَلَّا لَيْسَ لَهَا وَلَا فِيهَا . هُمْ قَوْمٌ عُلِمُوا فَتَعَلَّمُوا ، وَنُتِلَ لَهُمْ فَأَمْتَلُوا ، وَاقْتَدُوا ، وَبَدُّوا بِأَمْرِ فَصَارُوا إِلَى اتِّبَاعِهِ ، لَيْسَ لَهُمْ اسْتِنْبَاطٌ وَلَا اسْتِخْرَاجٌ . فَقُلْنَا لَهُ : الرُّومُ ، فَقَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهَا ، بَلْ لَهُمْ أَبْدَانٌ وَثِيقَةٌ ، وَهُمْ أَصْحَابُ بِنَاءٍ وَهَنْدَسَةٍ ، لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهُمَا ، وَلَا يُحْسِنُونَ غَيْرَهُمَا ، قُلْنَا : الصِّينَ .

(1) شبيب : ربما هو شبيب بن شبابة ابو معمر البصري كان معروفاً بالفصاحة والبلاغة وقوة العارضة .

(2) المرید : من أشهر محال البصرة ، كان يقام فيه قديماً سوق الابل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبها كانت مفاخرة الشعراء مثل جرير والفرزدق ، ومجالس الخطباء .

(3) ابن المقفع : هو عبد الله بن المقفع له رسائل عديدة وكتابا الادب الكبير والادب الصغير في الحكم السياسية والاخلاقية والاقتصادية مات مقتولاً شر قتلة في عهد ابي جعفر المنصور .

قَالَ : أَصْحَابُ أَثَاثٍ وَصَنَعَةٍ ، لَا فِكْرَ لَهَا وَلَا رَوِيَّةَ ، قُلْنَا فَالتَّرْكُ . قَالَ :
سِبَاعٌ لِلْهَرَاثِ ، قُلْنَا : فَالْهِنْدُ . قَالَ : أَصْحَابُ وَهْمٍ وَمَخْرَقَةٍ ، وَشَعْبَدَةٍ
وَحِيلَةٍ . قُلْنَا : فَالزَّنَجُ . قَالَ : بِهِائِمُ هَامِلَةٌ ، فَرَدَدْنَا إِلَيْهِ الْأَمْرَ فَقَالَ : الْعَرَبُ .
فَتَلَاخَظْنَا وَهَمَسَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ . فَعَاظَهُ ذَلِكَ مِنَّا وَامْتَقَعَ لَوْنَهُ ثُمَّ قَالَ :
كَأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ فِي مُقَارَبَتِكُمْ . قَوْلَ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَا فِيكُمْ .
وَلَكِنْ كِرِهْتُ ، إِنْ قَاتَبَنِي الْأَمْرُ ، أَنْ يَفُوتَنِي الصَّوَابُ . وَلَكِنْ لَا أَدْعُكُمْ حَتَّى
أُبَيِّنَ لَكُمْ لَمْ قُلْتُ ذَلِكَ ، لِأَخْرُجُ مِنْ ظَنِّ الْمَدَارَةِ ، وَتَوْهَمِ الْمَصَانِعَةِ : أَنَّ الْعَرَبَ
لَيْسَ لَهَا أَوْلُ تَوْهَمُهُ ، وَلَا كِتَابٌ يَدُلُّهَا ، أَهْلُ بَلَدٍ قَفِرٍ وَوَحْشَةٍ مِنَ الْإِنْسِ ،
أَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فِي وَحْدَتِهِ ، إِلَى فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَعَقْلِهِ . وَعَلِمُوا أَنَّ
مَعَاشَهُمْ مِنْ تَبَاتِ الْأَرْضِ ، فَوَسَّمُوا كُلَّ شَيْءٍ بِسِمَتِهِ ، وَنَسَبُوهُ إِلَى جَنْسِهِ ،
وَعَرَفُوا مَصْلَحَةَ ذَلِكَ فِي رَطْبِهِ وَيَابِسِهِ ، وَأَوْقَاتِهِ وَأَزْمِنَتِهِ ، وَمَا يَصْلُحُ مِنْهُ
فِي الشَّاةِ وَالْبَعِيرِ . ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الزَّمَانِ وَاجْتِلَافِهِ ، فَجَعَلُوهُ رَبِيعِيًّا وَصَيْفِيًّا
وَقِيظِيًّا وَشِيْثِيًّا ، ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ شُرْبَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ ، فَوَضَعُوا لِذَلِكَ الْأَنْوَاءَ (4) ،
وَعَرَفُوا تَغْيِيرَ الزَّمَانِ فَجَعَلُوا مَنَازِلَهُ مِنَ السَّنَةِ . وَاحْتَاجُوا إِلَى الْإِنْتِشَارِ فِي
الْأَرْضِ ، فَجَعَلُوا نَجُومَ السَّمَاءِ أُدْلَةً عَلَى أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا ، فَسَلَكُوا
بِهَا الْبِلَادَ . وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ شَيْئًا يَنْتَهَوْنَ بِهِ عِنْدَ الْمُنْكَرِ ، وَيَرْغَبُهُمْ فِي الْجَمِيلِ ،

(4) الانواء : م. النوء : المطر - والنوء : غروب نجم وطلوع رقيبته، وهو
نجم يقابله من ساعته في المشرق . والانواء كانت عند عرب الجاهلية
ثمانية وعشرين معروفة المطالع في ازمة السنة ، وكانوا اذا اقل
منها نجم وطالع آخر قالوا : لا بد ان يكون عند ذلك مطر ورياح
فينسبون كل غيث يكون اذ ذاك الى النجم الطالع فيقولون : مطرنا
نجم الثريا او بنوء الدبران الخ .

وَيَتَجَنَّبُونَ بِهِ عَنِ الدَّنَاءِ ، وَيَحْضَهُمْ عَلَى الْمَكَارِمِ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ
 - وَهُوَ فِي قَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ - يَصِفُ الْمَكَارِمَ ، فَمَا يُبْقَى مِنْ نَعْتِهَا شَيْئًا ،
 وَيُسْرِفُ فِي ذَمِّ الْمَسَاوِي فَلَا يَقْصُرُ . لَيْسَ لَهُمْ كَلَامٌ إِلَّا وَهُمْ يَتَحَاضُّونَ بِهِ عَلَى
 اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، ثُمَّ حَفِظَ الْجَارُ ، وَبَذَلَ الْمَالُ ، وَابْتِغَاءُ الْمَحَامِدِ ، كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُصِيبُ ذَلِكَ بِعَقْلِهِ وَيَسْتَخْرِجُهُ بِفِطْنَتِهِ وَفِكْرَتِهِ ، فَلَا يَتَعَلَّمُونَ
 وَلَا يَتَأَدَّبُونَ ، بَلْ نَحَائِزُ مُؤَدَّبَةً وَعُقُولٌ عَارِفَةٌ . فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ : إِنَّهُمْ
 أَعْقَلُ الْأُمَمِ ، لِصِحَّةِ الْفِطْرَةِ ، وَاعْتِدَالِ الْبَنِيَّةِ ، وَصَوَابِ الْفِكْرِ ، وَذَكَاءِ الْفَهْمِ .
 الامتناع والموانسة



(87) وصف أهل الأندلس

قَالَ ابْنُ غَالِبٍ صَاحِبُ «فُرْجَةِ الْأَنْفُسِ»: «وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ (1)، وَالْأَنْفَةِ (2)، وَعُلُوِّ الْهِمَمِ (3)، وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ، وَطَيِّبِ النُّفُوسِ، وَإِبَاءِ الضَّمِيمِ .. هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ، وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرِوَايَتِهِمْ، بَغْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرْفِهِمْ، وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ، وَنَبَاهَتِهِمْ وَذِكَانِهِمْ، وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ، وَجَوْدَةِ قَرَائِحِهِمْ، وَلَطَافَةِ أَذْيَانِهِمْ، وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ، وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ، يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلْمَيَّاهِ، وَمَعَانَاتِهِمْ لِضُرُوبِ الْغَرَاسَاتِ، وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ، وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَوَكُّيْبِ الشَّجَرِ، وَتَحْبِيسِهِمْ الْبَسَاتِينَ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ، وَصُنُوفِ الزَّهْرِ .. وَهُمْ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى مَطَاوِلَةِ التَّعَبِ فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ، صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ، وَأَحْكَامِ الْمِهَنِ الصُّورِيَّةِ . تَزَكُّيُونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ، وَمُعَالَجَةِ آلَاتِهَا» . ثُمَّ قَالَ : «لَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا، تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَإِفْرِيقِيَّةِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَالُوا إِلَى الْبَوَادِي، فَاسْتَنْبَطُوا الْمَيَّاهَ، وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ، وَأَحْدَثُوا الْأَرْحَى الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الْحَوَاضِرِ، فَكَانَ مِنْهُمْ أَهْلُ الْأَدَبِ، وَالْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ، وَالْعُمَالِ وَجَبَّةَ الْأَمْوَالِ . وَفَاقَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَهْلَ الْبِلَادِ فِي الصَّنَائِعِ، وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ، وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعًا لَهُمْ، مُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .

نفع الطيب

(1) العزة - من عز : قوى وكرم . والعزیز : الشریف المكرم . وعزة النفس : إباء الذل .

(2) الأنفة : من أنف - كره - هي الترفع عن العار وما يندس العرض والشرف .

(3) علو الهمة : العزم القوی . ويقال : هو بعيد الهمة أى يقبل على الاعمال المشرفة .

(88) الاصمعي في البادية

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ (I) : سِرْتُ فِي تَطَوَّافِي فِي الْعَرَبِ ، بِجَبَلِي طَى ، فَدَفَعْتُ إِلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ يَحْتَلِبُونَ اللَّبَنَ ثُمَّ يَصِيحُونَ : الضَّيْفُ الضَّيْفُ ! فَإِذَا جَاءَ مَنْ يَضِيفُهُمْ رِلًّا أَرَا قُوَّهُ فَلَا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا دُونَ الضَّيْفِ ، إِلَّا أَنْ يَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ .

ثُمَّ دَفَعْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ حَاتِمٍ (2) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَأَلْتُهُ الْقِرَى ، فَقَالَ : الْقِرَى وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : مَا أَحْسِبُ عِنْدَكَ شَيْئًا . فَأَمَرَ بِالْجَفَانِ فَأَخْرَجَتْ مَكْرَمَةً بِالشَّرِيدِ عَلَيْهَا وَذَر (3) اللَّحْمِ ، وَإِذَا هُوَ جَادٌّ فِي الْمَنَعِ . فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَشَبَّهْتَ أَبَاكَ ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَبْرَزُ قِدْرِي بِالْفَنَاءِ قَلِيلُهَا يُرَى غَيْرَ مَضُونٍ (4) بِهِ وَكَثِيرُهَا

فَقَالَ : إِلَّا أَشَبَّهْتُ فِي هَذَا ، فَقَدْ أَشَبَّهْتُهُ فِي قَوْلِهِ : (الطويل)

أَمَاوِي إِمَّا مَانِعٌ قَمْبِيْنٌ وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ (5)

فَأَنَا وَاللَّهِ مَانِعٌ مُبِينٌ ، فَرَحَلْتُ عَنْهُ .

وَدَفَعْتُ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ وَلَدِ ابْنِ هَرْمَةَ ، فَسَأَلْتُهَا الْقِرَى فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لِي

(I) الاصمعي: ابو سعيد عبد الملك الباهلي صاحب غرائب الاشعار وعجائب الاخبار - كان كثير التطواف في البوادي لاقتباس اخبار العرب وعلومها . له مصنفات كثيرة . عمر نيفا وتسعين سنة ومات سنة 216 هـ . (831 م.)

(2) حاتم : انظر قطعة 50

(3) وذرة : قطعة اللحم . (4) صن : بخل .

(5) لا ينهنه الزجر : اي لا يرده اللوم بالاسراف عن كرمه

مرملةٌ مُسِنَّةٌ (6) مَا عِنْدِي شَيْءٌ . فَقُلْتُ أَمَا عِنْدَكَ جَزُورٌ ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ
وَلَا شَاةٌ وَلَا دَجَاجَةٌ وَلَا بَيْضَةٌ ! فَقُلْتُ : أَمَا ابْنُ هَرْمَةَ (7) أَبُوكِ ؟ فَقَالَتْ : بَلَى
وَاللَّهِ إِنِّي لَمِنْ ضَمِيمِهِمْ . قُلْتُ قَاتِلَ اللَّهِ (8) أَبَاكَ مَا كَانَ أَكْذَبُهُ حَيْثُ يَقُولُ :
(منسرح)

لَا أَمْتِعَ الْعُودَ (9) بِالْفِصَالِ وَلَا ابْتِاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
إِنِّي إِذَا مَا الْبَخِيلُ آمَنَهَا بَاتَتْ ضُمُورًا (10) مِنِّي عَلَى وَجَلٍ
وَوَلَّيْتُ فَنَادَتْ : ارْجِعْ أَيُّهَا الرَّائِبُ ! فَعَلُّهُ وَاللَّهِ هُوَ الَّذِي أَقْلَهُ عِنْدَنَا . فَقُلْتُ :
إِلَّا تَكُونِي أَوْسَعْتَنِي قِرَى فَقَدْ أَوْسَعْتَنِي جَوَابًا .

ذيل الامالى

(6) مرملة : مات عنها زوجها ، ومفتقرة كانتها جالسة على الرمل؛ مسننة: أصابها الجذب والقحط .

(7) ابن هرمة: هو ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة من متقدمي الشعراء وممن ادرك الدولتين الاموية والعباسية .

(8) قاتله الله : كلمة تستعمل للذم والمدح .

(9) العود : المسن من الابل والشاة .

(10) الضموز : ناقة ضامز وضموز كضبور ، تضم فاها فلا تسمع لها رغاء لثلا تلفت الانظار فتدبح .

(89) خصائص أنواع الممالك

قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَالِيكِ ، وَأَصْنَافِهِمْ ، وَصَوَّرَهُمْ ، وَأَخْلَقَهُمْ ،
وَمَا يَصْلُحُ لَهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهُمْ ، وَقَالُوا : الْخَادِمُ الْبَرَبَرِيَّةُ لِلْمَلِكِ ، وَالرُّومِيَّةُ لِحَيْطَةِ (I)
الْمَالِ وَالْخَزَانَةِ ، وَالتُّرْكِيَّةُ لِإِنْجَابِ الْوَلَدِ ، وَالزَّنَجِيَّةُ لِلرِّضَاعِ ، وَالْمَكِّيَّةُ لِلْفَنَاءِ ،
وَالْمَدَنِيَّةُ لِلْمُسْكِلِ ، وَالْعِرَاقِيَّةُ لِلطَّرَبِ وَالْإِنْكِسَارِ (2) . أَمَّا الذُّكُورُ فَالْهِنْدُ وَالنُّوْبَةُ
لِحِفْظِ النَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالزَّنَجِ وَالْأَرْمَنِ لِلْمَكْدِ وَالْخِدْمَةِ ، وَمَعَهُمَا الْعَطَاءُ (3) ،
وَالتُّرْكُ وَالصَّقَالِبَةُ (4) لِلْحُرُوبِ وَالشَّجَاعَةِ .

وَحَكَى عَنْ أَبِي عُثْمَانَ رَئِيسِ النَّخَاسِينَ بِالشَّيْخِ ، وَالشَّانَ إِلَيْهِ هُنَالِكَ
لِكَثْرَةِ الْخَبَرَةِ وَالْمَدَاوِلَةِ عَلَى الْقَوْمِ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « إِذَا وَجَدْتَ الْمَرْأَةَ بِنْتُ
تَسْعِ حَجَجٍ كُنَّامِيَّةً الْأُمِّ ، صَنْهَاجِيَّةً الْأَبِ ، مَصْمُودِيَّةً الْمُنْشَأَ ، قَدْ جُلِبَتْ إِلَى
الْمَدِينَةِ ، وَأَقَامَتْ بِهَا ثَلَاثَ حَجَجٍ ، وَبِالْعِرَاقِ عَشْرَ حَجَجٍ ، فَتِلْكَ الَّتِي جَمَعَتْ
حَسَنَ الْجَنَسِ ، إِلَى كَمَالِ الْقَصْدِ . وَقَلِيلٌ أَنْ تَخْفَى عَلَى الْعُيُونِ » .

آداب الحسبة ص 49 للسقطي المالقي الاندلسي

(I) حِيْطَة : من حاطه يحوطه حوطا وحِيْطَة : حفظه وتعهده

(2) انكسار العين عند النظر .

(3) العطاء : هنا السخاء

(4) الصقالبه : هم ممالك اصلهم من شمال اوربا . كان التجار اليهود يشترونهم صغارا ويخصونهم ويبيعونهم بالاندلس ، فيربون في القصور تربية اسلامية . وقد بلغ الكثير منهم مراتب سامية .

(90) صلوك ينو الى المحممة

فَمِنْ غَرِيبٍ مَا جَرَى أَنَّ أَسْوَدَ الرَّبْدِ (I)، كَانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَةِ
الرَّبْدِ، وَيَلْتَقِطُ النَّوَى، وَيَسْتَطِيعُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَكَانَ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ، وَهُوَ
عُرْيَانٌ لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخِرْقَةٍ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ، وَلَا يُبَالِي بِهِ. وَمَضَى عَلَى هَذَا
دَهْرٌ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، وَرَأَى هَذَا الْأَسْوَدُ مِنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ
السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ، طَلَبَ سَيْفًا وَشَحَذَهُ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ وَسَلَبَ، وَظَهَرَ مِنْهُ
شَيْطَانٌ فِي مَسْكٍ (2) إِنْسَانٍ وَصَبَحَ وَجْهَهُ، وَعَذَبَ لَفْظُهُ، وَحَسَنَ جِسْمُهُ،
وَعَشِقَ وَعُشِقَ .. حَتَّى دُعِيَ قَائِدًا، وَأَطَاعَهُ رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ فِيهِمْ،
وَصَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ، وَحِمَاهُ لَا يُضَامُ ..

فَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ - مَعَ شَرِّهِ - أَنَّهُ اشْتَرَى بَجَارِيَةٍ كَانَتْ فِي
النَّخَاسِينَ عَلَى الْمُوصِلِيِّ (3) بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ .. فَأَمْتَنَعَتْ
عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا تَكْرَهِينَ مِنِّي؟ قَالَتْ: أَكْرَهُكَ كَمَا أَنْتَ. قَالَ لَهَا:
فَمَا تُحِبِّينَ؟ قَالَتْ: أَنْ تَبِيعَنِي. قَالَ لَهَا: أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ أَعْتَقُكَ وَأَهْبُ
لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ. قَالَتْ: نَعَمْ؟ فَأَعْتَقَهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي
ابْنِ الدَّقَاقِ، عِنْدَ مَسْجِدِ ابْنِ رَغْبَانَ غَرْبَى بَغْدَاد. فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ
وَهِمَّتِهِ وَسَمَاحَتِهِ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَنْ كَلَامِهَا، وَتَرَكَ مُكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا.

الامتناع والموانسة ج 3 ص 160

(I) كان من العيارين الذين انتهزوا فرصة الفتن أيام الامين واياهم الاتراك
فحصلوا على الاموال وصار بعضهم من قادة الجيش فكونوا «دولة
داخل دولة» حسب التعبير الفرنسي.

(2) المسك: الجلد

(3) الموصلي: ابراهيم الموصلي او ابنه اسحاق، المغنيان.

(91) مملوك أسود بفك رقبته بحال جليل

كَانَ نَصِيبُ بْنُ رَبَاحٍ عَبْدًا لِرَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ، وَكَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا، كَبِيرَ النَّفْسِ عَفِيفًا، وَفِي سَبَبِ اتِّصَالِهِ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ (I)، وَفَكَ رَقَبَتِهِ مِنَ الرِّقِّ، رَوَايَاتٌ مِنْهَا أَنَّهُ لَمَّا قَالَ الشِّعْرَ، وَهُوَ شَابٌّ، جَعَلَ يَأْتِي مَشِيخَةَ الْقَبِيلَةِ وَيُنَشِّدُهُمْ... فَاجْتَمَعُوا إِلَى مَوْلَاهُ وَقَالُوا: إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا، قَدْ نَبَغَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَيْنَ شَرَّتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَهْجُونَا فِيهِتِكَ أَعْرَاضَنَا، أَوْ يَمْدَحَنَا فَيُشَيِّبَ بِنِسَائِنَا. وَلَيْسَ لَنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَلَّتَيْنِ خَيْرَةٌ. فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: يَا نَصِيبُ أَنَا بَائِعُكَ لَا مَحَالَةَ، فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ. فَصَارَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِمِصْرَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ: لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مَنُّ غَامِرَةٍ (2)

إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ. فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: اعْطُوهُ! اعْطُوهُ! فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنِّي عَبْدٌ وَمِثْلِي لَا يَأْخُذُ الْجَوَائِزُ. قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ، فَدَعَا الْحَاجِبَ، فَقَالَ: أَخْرِجْ بِهِ إِلَى بَابِ الْجَامِعِ، فَأُبْلِغْ مِنْ قِيَمَتِهِ. فَدَعَا الْمُقَوِّمِينَ فَنَادَوْا عَلَيْهِ: مَنْ يُعْطَى لِعَبْدٍ أَسْوَدَ جَلْدٍ؟ قَالَ رَجُلٌ: هُوَ عَلَى بِمِائَةِ دِينَارٍ. قَالَ نَصِيبُ: قُولُوا عَلَى أَنِّي أَبْرَى الْقِسِيِّ وَأُرِيشَ السَّهَامِ (3)،

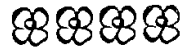
(I) عبد العزيز بن مروان: هو أبو عمر بن عبد العزيز. كان واليا على مصر في عهد أبيه مروان بن الحكم ثم اخيه عبد الملك. مات بحلوان قبل ولاية اخيه الوليد.

(2) غامرة من غمر الماء: كثر - وغمره الماء: علاه وغطاه. يقال غمر فلانا بفضله أي بالغ في الاحسان اليه.

(3) اريش السهام. الصق عليها الريش.

وَأَحْتَجَنُ (4) الْأَوْتَارَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : هُوَ عَلَى بِمِائَتَيْ دِينَارٍ . قَالَ : قُولُوا عَلَى
 إِنِّي أُرْعَى الْإِبِلَ وَأَمْرِيهَا (5) وَأُقْضِيهَا (6) وَأَصْدِرُهَا وَأُورِدُهَا وَأُرْعَاهَا وَأُرْعِيهَا (7)
 قَالَ رَجُلٌ : هُوَ عَلَى بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ نَصِيبٌ : قُولُوا عَلَى إِنِّي شَاعِرٌ
 عَرَبِيٌّ لَا يُوطِئُ (8) وَلَا يَقْوَى (9) وَلَا يُسَانِدُ (10) . قَالَ رَجُلٌ : هُوَ عَلَى بِأَلْفِ
 دِينَارٍ . فَسَارَ بِهِ الْحَاجِبُ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا تَمَّ ، فَقَالَ : اذْفَعُوا
 إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَبَضَهَا وَافْتَنَكَ بِهَا رَقَبَتَهُ . وَلَمْ يَزَلْ فِي جُمْلَةِ أَتْبَاعِ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ حَتَّى احْتَضَرَ . فَأَوْصَى بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (II) خَيْرًا فَصَيَّرَهُ
 فِي جُمْلَةِ سَمَارِهِ .

معجم الادباء ج 19 ص 228



-
- (4) حجن العود او الوتر واحتجته وجعل فيه شبه العوج .
 (5) مرى الناقة : مسح ضرعها فامرت اى درت اللبن .
 (6) اقضضها : افرقها لترعى .
 (7) ارعيها : مثل رعى - وارعها المكان - جعله مرعى لها - اى انه
 يحسن اختيار المراعى .
 (8) الايطاء فى القافية : تكرير القافية متحدة فى اللفظ والمعنى .
 (9) الاقواء : اختلاف حركة الروى وهو حرف القافية .
 (10) السناد : اختلاف حرفى الردف فى القافية بان يكون مرة واوا
 ومرة ياء .
 (II) سليمان بن عبد الملك : ولى الخلافة بعد اخيه الوليد سنة 96 هـ .
 715 م . ومات بعد ثلاث سنوات .

(92) الحسم

كَانَ عَمُودُ الدَّوْلَةِ (I) ضَابِطاً لِدَارِهِ أَشَدَّ ضَبْطٍ ، يَنْظُرُ فِي أَمْرِ الصَّغِيرِ مِنَ الْخَزَائِنِ وَالْمَطَابِخِ وَالْإِقَامَاتِ (2) وَلِلْوَظَائِفِ (3) ، مِثْلَ نَظَرِهِ إِلَى الْكَبِيرِ مِنْ أُمُورِ الْمَالِكِ ، فَلَا يُطْلِقُ دِرْهَمًا فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَلَا يَمْنَعُ أَحَدًا مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ .

حَدَّثَ أَبُو نَصْرِ حَاجِبُهُ قَالَ : كَانَ بِالْقَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ تُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مُشَاهِرَاتُهُمْ مِنَ الْخَزَانَةِ بِالْحَضْرَةِ . فَلَمَّا كَانَ آخِرَ الشَّهْرِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، اسْتَدْعَانِي وَقَالَ : تَقَدَّمْ إِلَى الْخَازِنِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، بِأَنْ يَزِنَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَيُسَلِّمَهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدَانَ لِيَحْمِلَهَا إِلَى نَقِيبِ الْعُلَمَاءِ بِالْقَصْرِ . فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . فَأُتِيتُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَنِي عَنْهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فَأَعْتَذَرْتُ بِالنِّسْيَانِ ، فَخَاطَبَنِي بِأَغْلَظِ خِطَابٍ ، فَقُلْتُ : أَمْسِ كَانَ اسْتِهْلَالُ الشَّهْرِ ، وَالسَّاعَةُ تُحْمَلُ الْمَادَّةُ ، وَمَا هَهُنَا مَا يُوجِبُ شُغْلَ الْقَلْبِ بِهَذَا الْأَمْرِ . فَقَالَ : الْمَصِيبَةُ بِمَا لَا تَعْلَمُ مَا فِي فِعْلِكَ مِنَ الْغَلْطِ ، أَكْثَرَ مِنْهَا فِيمَا اسْتَعْمَلْتَهَا مِنَ التَّفْرِيطِ . أَلَا تَعْلَمُ أَنَّا إِذَا أَطْلَقْنَا لَهُؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ مَا لَهُمْ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ يَوْمٌ ، كَانَ الْفَضْلُ لَنَا عَلَيْهِمْ ؟ وَإِذَا انْقَضَى الشَّهْرُ ، وَاسْتَهْلَ الْآخَرُ ، حَضَرُوا عِنْدَ عَارِضِهِمْ فَأَذْكُرُوهُ فَيُعِدُّهُمْ ، ثُمَّ يَحْضُرُونَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَتُبْسِطُ فِي اقْتِصَائِهِ وَمَطَالَبَتِهِ أَلَيْسَتْهُمْ ، فَتُضَيِّعُ الْمِنَّةَ (4) وَتَحْصُلُ الْجُرْأَةُ وَنَكُونُ إِلَى الْخَسَارَةِ أَقْرَبَ مِنَّا إِلَى الرَّبْعِ .

ذيل تجارب الامم ص 45

(I) عمود الدولة : تقدمت ترجمته قطعة رقم 18 .

(2) الاقامات : ما يحتاج اليه اهل الدار من مؤون وغيرها .

(3) الوظائف : ما يخصص لكل من بالقصر من اكل ونفقة .

(4) المنة : هنا الاحسان والجميل .

(93) أفرنجي بضيف مسلمان

قَالَ أَسَامَةُ بْنُ مَنِقِدٍ: مِنَ الْفَرَنْجِ قَوْمٌ قَدْ تَبَلَّدُوا وَعَاشَرُوا الْمُسْلِمِينَ،
 فَهُمْ أَصْلَحَ مِنَ الْقَرِيبِيِّ الْعَهْدِ بِلَادِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ شَادُونَ، لَا يَقَاسُ عَلَيْهِمْ.
 فَمِنْ ذَلِكَ لَأَنِّي نَفَذْتُ صَاحِبًا إِلَى أَنْطَاكِيَّةٍ، وَكَانَ بِهَا الرَّئِيسُ تَادَرُسُ (I)
 بْنُ الصَّفِيِّ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ صَدَاقَةٌ، وَهُوَ نَافِذُ الْحُكْمِ فِي أَنْطَاكِيَّةٍ، فَقَالَ
 لِصَاحِبِي يَوْمًا: «قَدْ دَعَانِي صَدِيقٌ لِي مِنَ الْفَرَنْجِ، تَجِيءُ مَعِيَ حَتَّى تَرَى
 زَيْهَهُمْ»، قَالَ: فَمَضَيْتُ مَعَهُ، فَجِئْنَا إِلَى دَارِ فَارِسٍ مِنَ الْفُرْسَانِ الْعُنُقِ (2)،
 الَّذِينَ خَرَجُوا فِي أَوَّلِ خُرُوجِ الْفَرَنْجِ، وَقَدْ اعْتَفَى مِنَ الْبُيُوتِ وَالْخِدْمَةِ،
 وَلَهُ بِأَنْطَاكِيَّةٍ مُلْكٌ يَعِيشُ مِنْهُ. فَأَحْضَرَ مَائِدَةً حَسَنَةً وَطَعَامًا فِي غَايَةِ
 النِّظَافَةِ وَالْجُودَةِ. وَرَأَيْتُ مُتَوَقِّفًا عَنِ الْأَكْلِ فَقَالَ: «كُلْ طَيِّبَ النَّفْسِ،
 فَإِنَّا مَا آكَلْنَا مِنْ طَعَامِ الْفَرَنْجِ، وَلِي طَبَاخَاتٌ مُضِرِّيَّاتٌ، مَا آكَلْنَا إِلَّا مِنْ
 طَبِيخَيْنِ، وَلَا يَدْخُلُ دَارِي لَحْمٌ خَنْزِيرٍ» - فَأَكَلْتُ وَأَنَا مُحْتَرِزٌ وَأَنْصَرَفْنَا.
 فَبَيْنَمَا أَنَا مُجْتَازٌ بِالسُّوقِ، إِذْ تَعَلَّقْتُ بِهَ امْرَأَةٍ أَفْرَنْجِيَّةٍ، وَهِيَ تُبْرِبِرُ (3)
 بِلِسَانِهِمْ، مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ، فَاجْتَمَعَ عَلَيَّ سَخْلَقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرَنْجِ، فَأَيَّقَنْتُ
 بِالْهَلَاكِ، وَإِذَا ذَلِكَ الْفَارِسُ قَدْ أُقْبِلَ، فَرَأَيْتُ، فَجَاءَ إِلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ،
 وَاسْتَفْهَمَهَا فَقَالَتْ: «هَذَا قَتَلَ أَخِي فِي الْحُرُوبِ». قَالَ لَهَا: «هَذَا رَجُلٌ
 مَرْجَاسِي - أَيْ تَاجِرٌ - لَا يُقَاتِلُ وَلَا يُحْضِرُ الْقِتَالَ». وَصَاحَ عَلَى أُولَئِكَ
 الْمُجْتَمِعِينَ، فَتَفَرَّقُوا، وَأَخَذَ بِيَدِي وَمَضَى. فَكَانَ تَأْثِيرُ تِلْكَ الْمَوَاطَلَةِ
 خَلَاصِي مِنَ الْقَتْلِ.

كتاب الاعتبار لاسامة

(I) تادرس : تعريب طودور .

(2) العنق : م العتيق : هنا الكريم الخير .

(3) تبربر : كأنها تقول : بر.. بر ، أى تتكلم بكلام غير مفهوم

(94) مسلم يستضيف يهوديا

كَتَبَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَوَّانِيَّ ، (وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخِي
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ) إِلَى بَسَّامِ بْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ الْوَشِيقِيِّ ، فِي يَوْمٍ
مَطِيرٍ : «لَمَّا كُنْتُ - وَصَلَ اللَّهُ أَخَاكَ وَحَفَظَكَ - مُطْمَعٌ نَفْسِي ، وَمُنْتَزِعٌ
اخْتِيَارِي ، مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِي ، عَلَى جَوَانِبِكَ أَمِيلٌ وَأَرْتَعُ فِي رِيَاضِ خَلْقِكَ
الْجَمِيلِ ، هَزَّتْنِي خَوَاطِرُ الطَّرَبِ وَالْأَرْتِيَاكِجِ ، فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَطِيرِ ، الدَّاعِي
بُكَاءُهُ إِلَى ابْتِسَامِ الْأَقْدَاجِ وَاسْتِنْطَاقِ الْبَيْمِ (1) وَالزَّرِيرِ ، فَلَمْ أَرِ مُعِينًا عَلَى ذَلِكَ ،
وَمُبْلَغًا مَا هُنَالِكَ إِلَّا حُسْنَ نَظْرِكَ ، وَتَجَشُّمَكَ مِنَ الْمَكَارِمِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُكَ ،
وَهَذَا يَوْمٌ حَرَّمَ الظَّرْفَ (2) فِيهِ الْحَرَكَةُ ، وَجَعَلَ فِي تَرْكِهَا الْخَيْرَ وَالْبَرَكَهَ ،
فَهَلْ تُوصِلُ مَكْرَمَتَكَ أَخَاكَ إِلَى التَّخَلِّيِ مَعَكَ فِي زَاوِيَةٍ ، مُتَكِنًا عَلَى دَنٍّ ،
مُسْتَنِيدًا إِلَى خَابِيَةٍ ، وَنَحْنُ ، خِلَالَ ذَلِكَ نَتَجَاذِبُ أَهْدَابَ الْحَدِيثِ ، الَّتِي
لَمْ يَبْقَ مِنَ اللَّذَاتِ لِلْأَهْيِ . وَنُجِيلُ الْأَلْحَاطِ فِيمَا تَعَوَّدْتُ عِنْدَكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْأَسْمَاعِ
فِي أَصْنَافِ الْمَلَاهِي ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَكَرَمُكَ بِتَكْلِفِهِ جَدِيرٌ ، وَلَا يُعِينُ
الْمَرْءَ يَوْمًا عَلَى رَاحَتِهِ إِلَّا كَرِيمُ الطَّبَاعِ . وَهَذَا أَنَا وَالسَّمْعُ مِنْ عِلَى الْبَابِ ،
وَذُو الشَّقْوِ حَلِيفُ اسْتِمَاعِ (سَرِيع) .

فَلِنْ أَتَى دَاعٍ بِبَيْلِ الْمُنَى وَدَعَا أَشْجَانِي (3) وَنِعَمَ الْوَدَاعِ

نفع الطيب

(1) البيم : اغلظ اوتار العود . والزير : الدقيق منها .

(2) الظرف : الظرافة والكياسة .

(3) اشجان : م شجن - الاحزان والهموم .

(95) خفة العامة

حِكْمِي أَنْ كُلُّوْمْ (I) بَنُ عَمْرُو الْعَتَابِيِّ الشَّاعِرِ كَمَا نِيَّا كُلُّ خُبْرًا عَلَى
الطَّرِيقِ بَبْغَدَادَ ، فَرَأَاهُ عُثْمَانُ الْوَرَّاقُ فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَسْتَحْيِي ؟ فَقَالَ كُلُّوْمْ :
«أَرَأَيْتَ لَوْ كُنَّا فِي دَارٍ فِيهَا بَقَرٌ كُنْتَ تَسْتَحْيِي وَتَحْتَشِمُ أَنْ تَأْكُلَ وَهِيَ
تَرَاكَ؟» فَقَالَ : لَا . قَالَ : «فَاصْبِرْ حَتَّى أُعَلِّمَكَ أَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ» فَقَامَ ، وَوَعِظَ
وَقَصَّ ، حَتَّى كَثُرَ الزَّحَامُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : «رَوَى لَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ
مَنْ بَلَغَ لِسَانَهُ أَرْزَبَةً أَنْفِهِ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ» فَكَأَنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً مِنْهُ
لِلنَّاسِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ يَوْمَئِذٍ نَحْوَ أَرْزَبَةٍ أَنْفِهِ لِيَرَى
إِنْ كَانَ يَبْلُغُهَا أَمْ لَا ..

الاجاني



(I) كلثوم بن عمرو بن ايوب العتابي : اصله من فنسرين ، مدح هارون
الرشيد واولاده الخلفاء من بعده ، وكان منقطعا الى البرامكة ويتزهد
ويلبس الصوف مات سنة 208 هـ . (824 م.)

الباب الرابع

الحياة الفكرية

الفصل الأول

طلب العلم

قال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا »

لَقَدْ كَانَتِ الْمُلْكَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى سِعَتِهَا ، عِرْصَةً عُرْفَانٍ ، يَتَنَافَسُ سُكَّانُهَا فِي اقْتِطَافِ أَثْمَارِهَا ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرَبِيِّ مِنْهُمْ وَالْعَجَمِيِّ ، وَلَا بَيْنَ الْمَلِيِّ وَالذِّمِيِّ ، وَيَجْتَهِدُ مُوسِرُهُمْ وَمُعْسِرُهُمْ فِي التَّحْصِيلِ وَالتَّبَرُّيزِ عَلَى الْقُرْآنِ .

نَعَمْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّعْلِيمِ مَرَاجِلُ مُعَيَّنَةٌ ، وَلَا بَرَامِجُ مُقَرَّرَةٌ ، بَلْ كَانَ طَلِبُ الْعِلْمِ يَبْدَأُ فِي الْكُتَّابِ ، وَيَسْتَأْنِفُ فِي الْحَلَقَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُنْظَمُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ . وَقَدْ كَثُرَ مَنْ يُعَلِّمُ حِسْبَةَ ، وَيَصْنِفُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ . وَلَمْ يَكُنْ الطَّلَبَةُ لِيُرِدَّهُمْ بَعْدَ الشُّقَّةِ ، وَوُعُورَةِ الطَّرِيقِ ، وَغَلَاءِ الْقِرْطَاسِ ، عَنْ قَصْدِ مَشَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْتَلَفِي الْأَجْنَاسِ وَالْمَذَاهِبِ لِاسْتِقْصَاءِ الْمَعَارِفِ مِنْ أَصْفَى عِيُونِهَا وَتَحْقِيقِ الْمَسَائِلِ فِي أَصْدَقِ مَظَانِّهَا . فَكَانُوا يَصْبِرُونَ عَلَى «أَفْتِرَاشِ الْمَدْرِ ، وَاسْتِنَادِ الْحَجَرِ ، وَإِدْمَانِ السَّهْرِ» سَعِيًّا وَرَاءَ كَلِمَةِ لُغَوِيَّةٍ ، أَوْ بَيْتِ شِعْرِ ، أَوْ حَدِيثِ نَبَوِيٍّ ، أَوْ خَبَرِ غَرِيبٍ . وَكَانَ الْكَثِيرُ مِنَ الْوَلَاةِ وَالْهَدَاةِ يُشَجِّعُونَ ذَوِي الْقَرَائِحِ الْوَقَّادَةِ ، وَالْهِمَمِ الْوَثَابَةِ ، فَيَعْبِدُونَ أَمَامَهُمُ الصَّعُوبَاتِ وَيَزِيحُونَ عَنْهُمْ الْعِلَلَ . ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُمُ الْأَجْرَ آمِينَ .

بعض المراجع

- (I) ضحى الاسلام : للدكتور احمد امين ج 2
- (2) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى : تأليف آدم ممتز وترجمة محمد عبد الهادى (ابو ريده ج I .
- (3) التربية والتعليم فى الاسلام : تأليف الدكتور محمد اسعد طلس
- (4) تاريخ التربية الاسلامية تأليف : الدكتور احمد شلبى

(96) كتاب أم مثنى

كَانَ خَلِيلُ الْمُعَلِّمِ يُلقَبُ خَلِيلَانَ ، وَكَانَ يُؤدِّبُ الصَّبِيَّانَ ، وَيُعَلِّمُ
الْجَوَارِي الْغِنَاءَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . فَحَدَّثَ مَنْ حَضَرَهُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا ،
وَهُوَ يُرَدِّدُ عَلَى صَبِيٍّ يَقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْهِ : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» . ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى صَبِيَّةٍ ، يُرَدِّدُ عَلَيْهَا :
(سريع) .

اعْتَادَ هَذَا الْقَلْبَ بَلْبَالَهُ (1) إِنْ قُرِّبَتْ لِلْمَبِينِ أَحْمَالُهُ (2)
فَضَحَكَتْ ضَحِكًا مُفْرِطًا لِمَا فَعَلَهُ . فَالْتَفَتَ إِلَى فَقَالَ : وَيْلَكَ مَا لَكَ ؟
فَقُلْتُ : ضَحَكْتُ مِمَّا تَفْعَلُ ، وَاللَّهِ مَا سَبَقَكَ إِلَى هَذَا أَحَدٌ ، ثُمَّ قُلْتُ : انْظُرْ
إِلَى أَى شَيْءٍ أَخَذْتَ عَلَى الصَّبِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَأَى شَيْءٍ تُلْقِي عَلَى الصَّبِيَّةِ .
وَاللَّهِ لَأُظَنُّكَ مِمَّنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ !! فَقَالَ :
أَرْجُو أَلَّا أَكُونَ كَذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

رَبَّنَا المثلث والمثنى ج 3 ص 152 فى روايات الاغانى

(1) بلبال : من بلبل بلبلة وبلبالا القوم هيجهم وواقعهم فى الهم
(2) احماله : اى احمال المرأة التى يحبها ، والمعنى : اشتد حزنه لما
عزمت حبيبته على الرحيل .

(97) اسحق مؤدبي أبناء الخلفاء

دَخَلَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَازَنِيَّ النُّجُويَّ عَلَى الْوَائِقِ (I)، فَقَالَ لَهُ هَذَا بَعْدَ أَنْ عَلِمَ مَقْدَرَتَهُ : «أَنَّ هَهُنَا قَوْمًا يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَوْلَادِنَا ، فَاُمْتَحِنُهُمْ ، فَمَنْ كَانَ عَالِمًا يَنْتَفِعْ بِهِ أَلْزَمْنَاهُمْ إِيَّاهُ ، وَمَنْ كَانَ بَغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ قَطَعْنَاهُمْ عَنْهُ» . قَالَ : فَاُمْتَحَنْتُهُمْ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ طَائِلًا - وَحَذَرُوا نَاحِيَّتِي - فَقُلْتُ : لَا بَأْسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ . فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَهُمْ ؟ فَقُلْتُ . يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ فِي عُلُومٍ ، وَيَفْضُلُ الْبَاقُونَ فِي غَيْرِهَا ، وَكُلُّهُمْ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَقَالَ الْوَائِقُ : إِنِّي خَاطَبْتُ مِنْهُمْ رَجُلًا فَكَانَ فِي نِهَآيَةِ الْجَهْلِ فِي خُطَابِهِ وَنَظَرِهِ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ ، وَقَدْ أَنْشَدْتُ فِيهِمْ : (كامل)

إِنَّ الْمَعْلَمَ لَا يَزَالُ مُغْفَلًا (2) وَلَوْ ابْتَنَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَاءً
مَنْ عَلَّمَ الصَّبِيَّانَ أَضْنَوْا (3) عَقْلَهُ مِمَّا يَلَاقِي بُكْرَةً وَعَشَاءً
فَقَالَ لِي الْوَائِقُ : لِلَّهِ دَرَكٌ .

معجم الادباء

(I) الواثق : لقب ابي جعفر ولد المعتصم بن هارون الرشيد . بويع له بعد ابيه سنة 227 هـ . (848 م) . كان واسع العطاء متحننا على رعيته .

(2) مغفل : من لا فطنة له . وفعلا كان الناس يعتبرون المعلمين ممن قل ذكاؤهم وقد الفت نوادر كثيرة في هذا الموضوع .

(3) أضنوا عقله : اتعبوه واكذبه

(98) حلية الادب تغني عن حلية النسب

رَوَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ (I) دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لِلطَّوَافِ، فَرَأَى خَلْقَ الذِّكْرِ وَالْعِلْمِ، فَأَعْجَبَ بِهَا كُلَّ الْإِعْجَابِ، وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُ وَيَتَتَبَعُ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى وَاحِدَةٍ وَقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ؟ فَقِيلَ لِمَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ (2)، وَأَشَارَ إِلَى أُخْرَى وَقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ؟ فَقِيلَ لِمُجَاهِدِ (3)، وَأَشَارَ إِلَى أُخْرَى وَقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ؟ فَقِيلَ لِمَكْحُولِ (4). وَكُلُّهُمْ مِنْ أُنْبَاءِ الْفُرْسِ.

فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، جَمَعَ أَحْيَاءَ قُرَيْشٍ، وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ كُنَّا فِيهَا قَدْ عَلِمْتُمْ، فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِهَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، فَحَقَرْتُمُوهُ حَتَّى غَلَبَكُمْ أُنْبَاءُ الْفُرْسِ» فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» ثُمَّ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: «أَرَأَيْتُمْ كَهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْفُرْسِ؟ مَلَكُوا مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ فَمَا احْتَأَجُّوا إِلَيْنَا، وَمَلَكْنَاهُمْ فَلَمْ نَسْتَغْنِ عَنْهُمْ سَاعَةً!»

عن كتاب «اخلاق العلماء»

-
- (I) عبد الملك بن مروان : تقدمت ترجمته في قطعة 23 .
 (2) ميمون بن مهران : كان من افاضل التابعين وخيارهم ، ولاء عمر بن عبد العزيز خراج الجزيرة . توفي سنة 117 هـ . (735 م)
 (3) مجاهد بن جبر مولى بنى مخزوم : سمع الحديث عن عائشة ام المؤمنين، وابى هريرة ، وابن عباس ، وكان احد علماء التفسير ، توفي سنة 103 هـ .
 (4) مكحول بن ابي مسلم مولى امراة من هذيل : كان من علماء اهل الشام، تقيا ورعا وقد سمع عن صفار الصحابة توفي سنة 113 هـ . (729 م)

(99) أَنْتَ رَيْحُ الْقَلْبِ اسْتَفْلُ بِالْدَّرْسِ

قَالَ أَبُو حَيَّان (I) فِي كِتَابِ مُحَاضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِ
الدَّهْرِ، وَقَرِيعَ الْعَصِيرِ الْعَدِيمِ الْمَثَلِ، الْمَفْقُودِ الشَّكْلِ، أَبِي سَعِيدِ السَّيرَافِيِّ (2)
وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ مَرْدَوَيْهِ الْفَارِسِيِّ، يَشْرَحُ لَهُ تَرْجُمَةَ الْمَدْخَلِ إِلَى
كِتَابِ سَيْبَوِيهِ (3) مِنْ تَصْنِيفِهِ. فَقَالَ لَهُ : عَلَّقْ عَلَيْهِ، وَاصْبِرْ هَمَّتْكَ
إِلَيْهِ. فَلَمَّا لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا يَتَعَبُ الْحَوَاسِ، وَلَا تَتَصَوَّرُهُ إِلَّا بِالْاِعْتِزَالِ عَنِ النَّاسِ.
فَقَالَ : أَيْدِ اللَّهُ الْقَاضِي أَنَا مُؤَثِّرٌ لِدَلِكْ، وَلَكِنْ اخْتِلَالَ الْأَمْرِ، وَقُصُورُ
الْحَالِ، يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ. فَقَالَ لَهُ : أَلَيْكَ عِيَالٌ؟ قَالَ : لَا.
قَالَ : أَعْلَيْكَ دِيُونٌ؟ قَالَ : دُرِّيهِمَاتٌ. قَالَ : فَأَنْتَ رَيْحُ الْقَلْبِ، حَسَنُ
الْحَالِ، نَاعِمُ الْبَالِ، اشْتَغَلَ بِالدَّرْسِ وَالْمَذَاكِرَةِ، وَالسُّؤَالِ وَالْمُنَاطَرَةِ،
وَأَحْمَدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ الْحَازِ (4) وَحُسْنِ الْحَالِ، وَأَنْشَدَهُ : (طويل).
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مَالٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طُرُقٌ يَسْعَى بِهِنَ الْوَلَائِدِ
وَكَانَ لَهُ خُبْزٌ وَمِلْحٌ فَفِيهِمَا لَهُ بُلْغَةٌ حَتَّى تَجِيَّ الْعَوَائِدُ (5)
وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَوْعَةٌ أَنْ سَدَدَتْهَا فَكُلُّ طَعَامٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ وَاحِدٌ

معجم الادباء

(I) أبو حيان : لعله أبو حيان التوحيدى المتوفى حوالى 400 هـ. وقد ألف كتاباً سماه «كتاب المحاضرات والمناظرات» وسناتى بترجمة ابى حيان فى آخر الكتاب ان شاء الله ، حينما نتكلم عن كتابه «الامتناع والموانسة»
(2) ابو سعيد السيرافى : ابو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافى النحوى المعروف بالقاضى ، كان من اعلم الناس بنحو البصريين ، مشاركاً فى عدة فنون ، نزهاً، عفيفاً ، توفى سنة 368 هـ.
(3) سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان ولد بشيراز وتعلم بالبصرة على الخليل بن احمد وغيره - له كتاب مشهور فى النحو - مات حوالى 180 هـ. (796 م.)

(4) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال

(5) العوائد ج عائدة : وهو المعروف والصلة والعطف والمنفعة .

(100) وصية الرشيد طوئوب ولده

عهد الرشيد (I) بتعليم ابنه الأمين إلى أحمر (2) النحوى، ثم الكسائى (3)، وعهد بتأديب المأمون إلى اليزيدى (4)، وسيبويه (5)، وغيرهما ويُقال إنه أوصى أحمر بهذه الوصية :

«يا أحمر : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة . فكن له بحيث وصعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروِّه الأشعار ، وعلمه السنن . وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه . ولا تمرن عليك ساعة إلا وأنت مفتيم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتमित ذهنه . ولا تمعن في مسامحته فيستجلى الفراغ ويألفه . وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباه فعليك بالشدّة والغلظة .»

العقد الفريد

-
- (I) الرشيد : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم 46 .
 (2) أحمر : هو على بن الحسن الأحمر من تلامذة الكسائى ، مات سنة 194 هـ . 810 م .
 (3) الكسائى : (112-189 هـ . 731-806 م .) هو ابو الحسن على بن حمزة الكسائى احد القراء السبعة كان اماما فى النحو واللغة والقراءة
 (4) اليزيدى : هو ابو عبد الله محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدى توفى ايام المعتصم وله فى المأمون والمعتصم مدائح لا باس بها
 (5) سيبويه : انظر ترجمته فى القطعة التى قبل هذه .

(101) كيف تعلم القاضي أبو يوسف

قَالَ أَبُو يُوسُفَ (I) ، قَاضِي الْقَضَاةِ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ (2) : «تَوَفَّيْ أَبِي، إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَبِيبٍ ، وَخَلَفْنِي صَغِيرًا فِي حُجْرِ أُمِّي . فَأَرْسَلْتَنِي إِلَى قَصَّارٍ أَخَذَهُ . فَكُنْتُ أَدْعُ الْقَصَّارَ ، وَأَمُرُّ إِلَى حَلَقَةِ أَبِي حَنِيفَةَ (3) ، فَأَجْلِسُ أَسْتَمِعُ . فَكَانَتْ أُمِّي تَجِيءُ خَلْفِي إِلَى الْحَلَقَةِ ، فَتَأْخُذُ بِيَدِي ، وَتَذْهَبُ بِي إِلَى الْقَصَّارِ . وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُعْنِي بِي لَمَّا يَرَى مِنْ حُضُورِي وَحِرْصِي عَلَى التَّعْلِيمِ . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَى أُمِّي ، وَطَالَ عَلَيْهَا هَرَبِي ، قَالَتْ لِأَبِي حَنِيفَةَ : مَا لِهَذَا الصَّبِيِّ فَسَادٌ غَيْرُكَ ! هَذَا صَبِيٌّ يَتِيمٌ لَا شَيْءَ لَهُ ، وَإِنَّمَا أَطْعَمُهُ مِنْ مَغْزَلِي ، وَأَمَلُّ أَنْ يَكْسِبَ دَانِقًا (4) يَعُودُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهَا : مُرِّي يَارَعْنَاءُ ! هُوَ ذَا يَتَعَلَّمُ أَكْلَ الْفَالُودَجِ بِدُهْنِ الْفُسْتَقِ (5) . فَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ وَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ شَيْخٌ خَرِفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ ! ثُمَّ لَزِمْتُهُ فَنَفَعَنِي اللَّهُ بِالْعِلْمِ ، وَرَفَعَنِي حَتَّى تَقَلَّدْتُ الْقَضَاءَ . وَكُنْتُ أَجَالِسُ الرَّشِيدَ ، وَأَكُلُ مَعَهُ عَلَى مَا يَدْرِيهِ . فَلَمَّا

(I) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم . من أهل الكوفة - ولي القضاء للمهدي والهادي والرشيد - له كتاب «الخراج» وكتاب أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، مات سنة 182 هـ . (799 م.)

(2) الرشيد : تقدمت ترجمته رقم 46 .

(3) أبو حنيفة النعمان : إمام عظيم من أئمة الفقه الإسلامي وصاحب المذهب الحنفي ، اعتمد كثيرا على الرأي والقياس - قيل أنه مات في سجن أبي جعفر المنصور لأنه رفض القضاء وذلك سنة 150 هـ . (767 م.)

(4) دانيق ج دوانق : سدس الدرهم والكلمة فارسية .

(5) الفستق - (انظر قطعة رقم 56) - والفالودج : حلوة تصنع من دقيق وماء وعسل .

كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، قَدِمَ إِلَى هَارُونَ فَأَلَوَدَجَةً ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَعْقُوبَ
كُلْ مِنْهُ فَلَيْسَ كُلَّ يَوْمٍ يَعْمَلُ لَنَا مِثْلُهُ . فَقُلْتُ : وَمَا هَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
فَقَالَ : هَذِهِ فَأَلَوَدَجَةٌ بِذَهْنِ الْفُسْتِقِ ، فَضَحِكْتُ . فَقَالَ : مِمَّ ضَحِكْتَ ؟
فَقُلْتُ : خَيْرًا أَبْقَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَتُخْبِرَنِي ، وَأَلَحَّ عَلَيَّ ، فَأَخْبَرْتُهُ
بِالْقِصَّةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا . فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ الْعِلْمَ لَيَنْفَعُ وَيَرْفَعُ
دِينًا وَدُنْيَا . وَتَرَحَّمْ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَقَالَ : كَانَ يَنْظُرُ بِعَيْنِ عَقْلِهِ مَا لَا يَرَاهُ
غَيْرُهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ .

كتاب اخلاق العلماء



(102) الكسائي في بلاد العرب

حَدَّثَ الْخَطِيبُ (I) قَالَ : جَاءَ الْكِسَائِيُّ (2) إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْهَبَارِيِّينَ ، وَقَدْ أَعْيَا فَقَالَ : قَدْ عَيَّيْتُ . قَالُوا : أَتَجَالِسُنَا وَأَنْتَ تَلْحَنُ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ لَحَنْتُ ؟ قَالُوا : إِذَا كُنْتَ أَرَدْتَ مِنْ انْقِطَاعِ الْحِيلَةِ وَالتَّحْيِيرِ فِي الْأَمْرِ ، فَقُلْ «عَيَّيْتُ» مُخَفِّفًا ، وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ الشَّعْبِ فَقُلْ «أَعَيَّيْتُ» . فَأَنْفَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ فُورِهِ ذَلِكَ ، فَسَالَ عَمَّنْ يَعْلَمُ النَّحْوَ ، فَأَرْشَدُوهُ إِلَى مُعَاذِ الْهَرَاءِ (3) ، فَلَزَمَهُ حَتَّى أَنْفَذَ مَا عِنْدَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَقِيَ الْخَلِيلَ (4) وَجَلَسَ فِي حُلُقَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ : تَرَكْتَ أَسَدَ الْكُوفَةِ وَتَمِيمَهَا (5) وَعِنْدَهَا الْفَصَاحَةُ ، وَجِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ لِلْخَلِيلِ : مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ بَوَادِي الْحِجَازِ وَنَجْدٍ . فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَذَ خَمْسَ عَشْرَةَ قَنِينَةً جُبْرًا فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الْعَرَبِ ، سِوَى مَا حَفِظَ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ غَيْرَ الْبَصْرَةِ وَالْخَلِيلِ . فَوَجَدَ الْخَلِيلَ قَدْ مَاتَ ، وَجَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ يُونُسُ النَّحْوِيُّ (6) . فَمَرَّتْ بَيْنَهُمَا مَسَائِلُ أَقْرَبَ لَهُ يُونُسُ فِيهَا وَصَدْرَهُ مَوْضِعَهُ .

معجم الادباء ج 3 ص 168

(I) الخطيب : هو ابو بكر بن علي بن ثابت البغدادي صاحب تاريخ بغداد له مصنفات كثيرة وغلب عليه الحديث والتاريخ وكان خطيبا

مصقعا مات 463 هـ . 1071 م .

(2) الكسائي : تقدمت ترجمته قطعة رقم 100 .

(3) معاذ الهراء : من نحاة الكوفة .

(4) الخليل : الخليل بن احمد واضع علم العروض وكتاب العين كان من اكابر الادباء مات سنة 175 هـ . 791 م .

(5) اسد وتميم : قبيلتان من قبائل العرب وكانت بعض عشائرها تسكن الكوفة .

(6) يونس بن حبيب البصري كان عالما بالنحو واللغة والغريب ، وكان يغشى حلقاته فصحاء الاعراب من البوادي مات سنة 182 هـ .

(103) دأبي ادراك حقائى الامور

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِي (I)، رَحِمَهُ اللَّهُ : «لَمْ أَزَلْ فِي عُنْفَوَانٍ شَبَابِي ، مُنْذُ رَاهَقْتُ الْبُلُوغَ ، قَبْلَ بُلُوغِ الْعِشْرِينَ إِلَى الْآنَ ، وَقَدْ أَنَا فِي (2) السِّنِّ عَلَى الْخَمْسِينَ، أَفْتَحِمُ لُجَّةَ (3) هَذَا الْبَحْرِ الْعَمِيقِ، وَأَتَوَغَّلُ فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ، وَأَتَهَجِّمُ (4) عَلَى كُلِّ مُشْكِلَةٍ ، وَاقْتَحِمُ كُلَّ وَرْطَةٍ ، وَأَتَفَحَّصُ عَقِيدَةَ كُلِّ فِرْقَةٍ، وَاسْتَكْشِفُ أَسْرَارَ مَذْهَبِ كُلِّ طَائِفَةٍ ، لِأُمَيِّزَ بَيْنَ مُحَقِّقٍ وَمُبْطِلٍ ، لَا أُغَادِرُ مَبْاطِنِيًّا (5) إِلَّا وَأَحِبُّ أَنْ أُطْلِعَ بِطَانَتِهِ ، وَلَا ظَاهِرِيًّا (6) إِلَّا وَأُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ حَاصِلَ ظَهَارَتِهِ ، وَلَا فَلَسَفِيًّا إِلَّا وَأَقْصِدُ الْوُقُوفَ عَلَى كُنْهِ فَلَسَفِيَّتِهِ، وَلَا مَتَكَلِّمًا (7) إِلَّا وَأَجْتَهِدُ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى غَايَةِ كَلَامِهِ وَمَجَادَلَتِهِ ، وَلَا صُوفِيًّا إِلَّا وَأَحْرِصُ عَلَى الْعُثُورِ عَلَى سِرِّ صُوفِيَّتِهِ ، وَلَا مُتَعَبِّدًا إِلَّا وَأَتَرَصَّدُ مَا يَرْجِعُ

(I) الغزالي : (451-505 هـ. 1058-1111 م.) هو الامام، حجة الاسلام ابو حامد محمد الغزالي . له كتب كثيرة منها كتاب «احياء علوم الدين» ولد بطوس ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد واعتكف بالمقدس مدة طويلة ثم رجع الى طوس حيث مات .

(2) أناف : من ناف ينوف نواف الشيء : ارتفع وناف وانا ف على الشيء اشرف - انا ف السن على الخمسين اشرف ونا هز .

(3) اقتحمت الامر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة .

(4) تهجم على الشيء : تكلف الهجوم عليه .

(5) المباطني والباطني : والباطنية هم الذين يعتبرون ان في القرآن معاني خافية يوصل اليها بالتأويل ومن الباطنية الشيعة والصوفية.

(6) الظاهري : هو الذي يكتفى بظاهر معاني القرآن .

(7) المتكلمون هم الذين يبحثون في العقائد بالادلة العقلية ، ويردون على المخالفين بعلم الكلام وهو في طرق استدلاله على اصول الدين اشبه بالمنطق في تبينه مسالك الحجة في الفلسفة .

وَالِيهِ حَاصِلُ عِبَادَتِهِ ، وَلَا زَنْدِيقًا مُعْطَلًا (8) إِلَّا وَأَتَجَسَّسُ وَرَاءَهُ لِلتَّنَبُّهِ
لِأَسْبَابِ جُرْأَتِهِ فِي تَعْطِيلِهِ وَزَنْدَقَتِهِ . وَقَدْ كَانَ التَّعَطُّشُ إِلَى إِدْرَاكِ حَقَائِقِ
الْأُمُورِ دَأْبِي وَدِيدَنِي، مِنْ أَوَّلِ أَمْرِي وَرِيعَانَ عُمْرِي، غَرِيزَةً (9) وَفِطْرَةً (9)
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهَا فِي جِبِلَّتِي (9)، لَا بِاخْتِيَارِي وَحِيلَتِي، حَتَّى انْعَلَّتْ
عَنِّي رَابِطَةُ التَّقْلِيدِ وَانْحَسَرَتْ عَنِّي الْعَقَائِدُ الْمُرَوِّثَةُ ، عَلَى قُرْبِ عَهْدِ بِسْنِ
الصِّبَا .

من كتاب «الاخلاق عند الغزالي» لزكى مبارك



(8) الزندقة: الكفر باطنا مع التظاهر بالايمان، والمبطل هو الذى يرى
ان القيام بالواجبات الدينية ليس واجبا فيبطلها على نفسه .
(9) الغريزة والفطرة والجبلة : لها تقريبا معنى واحد، يقال جبل فلان
على الخير وطبع عليه وهو فيه غريزة اى لا يتكلفه لانه من طبيعته .

(104) طالب أندلسى عند الجاحظ

حَدَّثَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو النَّجِيرُمِيُّ (I) قَالَ : كُنْتُ بِالْأَنْدَلُسِ ،
فَقِيلَ لِي أَنَّ هَهُنَا تَلْمِيزًا لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ (2) يُعْرِفُ بِسَلَامٍ بْنُ يَزِيدٍ ،
وَيَكْنَى أَبَا خَلْفٍ . فَأَتَيْتُهُ فَرَأَيْتُ شَيْخًا هَمًّا (3) ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ اجْتِمَاعِهِ
بِأَبِي عُثْمَانَ ، وَلَمْ يَقَعْ أَبُو عُثْمَانَ بِالْأَنْدَلُسِ . فَقَالَ : كَانَ طَالِبَ الْعِلْمِ
بِالْمَشْرِقِ يُشْتَرَفُ عِنْدَ مُلُوكِنَا بِلِقَاءِ أَبِي عُثْمَانَ ، فَوَقَعَ إِلَيْنَا كِتَابُ «التَّرْبِيعِ
وَالْتَدْوِيرِ» لَهُ ، فَأَشَارُوا إِلَيْهِ . ثُمَّ أَرَدَفَهُ عِنْدَنَا كِتَابُ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ»
لَهُ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ الصُّكَاكَ (4) بِهِذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ . فَقَالَ : فَخَرَجْتُ لَا أُعْرِجُ
عَلَى شَيْءٍ ، حَتَّى قَصَدْتُ بَغْدَادَ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هُوَ بُسْرٌ مَنْ رَأَى
فَأَصْعَدْتُ إِلَيْهَا ، فَقِيلَ لِي قَدْ انْحَدَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ . فَاِنْحَدَرْتُ إِلَيْهِ ، وَسَأَلْتُ
عَنْ مَنَزِلِهِ ، فَأَرَشَدْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحَوَالِيهِ عَشْرُونَ صَبِيًا
لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لَحْيَةٍ غَيْرُهُ . فَدهَشْتُ ، فَقُلْتُ : أَيُّكُمْ أَبُو عُثْمَانَ ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ ،
وَحَرَّكَهَا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ : مِنْ أَيِّنَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الْأَنْدَلُسِ . فَقَالَ : طِينَةُ
حَمَقَاءُ ! فَمَا الْإِسْمُ ؟ قُلْتُ : سَلَامٌ ، قَالَ : اسْمُ كَلْبٍ الْقَرَادِ ! ابْنُ مَنْ ؟

(I) الجاحظ : انظر ترجمته فى آخر الكتاب .

(2) النجيرمى : نسبة الى نجيرم وهى قرية من قرى البصرة - ولم نعثر
على ترجمة هذا الراوى .

(3) شيخا هما : الشيخ الفانى الطاعن فى السن .

(4) الصكاك والسكاك : الهواء كناية عن علو قدره ورفعة شأنه .

قُلْتُ : ابْنُ يَزِيدٍ ؟ فَقَالَ : بِحَقِّ مَا صِرْتَ (5) أَبُومَنْ ؟ قُلْتُ : أَبُو خَلْفٍ .
 قَالَ : كُنِّيَّةُ قِرْدٍ زَبِيدَةٍ . مَا حِثُّ تَطَلُّبٍ ؟ قُلْتُ الْعِلْمُ . قَالَ : ارْجِعْ بَوَقْتٍ ،
 فَإِنَّكَ لَا تُفْلِحُ . قُلْتُ إِنَّكَ مَا أَنْصَفْتَنِي . فَقَدْ اشْتَمَلْتُ عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعٍ :
 جَفَاءَ الْبَلَدِيَّةِ ، وَبُعْدَ الشَّقَّةِ ، وَغَرَّةَ الْحَدَاثَةِ ، وَدَهْشَةَ الدَّاحِلِ . قَالَ : فَتَرَى
 حَوْلِي عِشْرِينَ صَبِيًّا لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لِحْيَةٍ غَيْرِي ، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَنِي
 بِهَا ؟ قَالَ : فَأَقَمْتُ مَعَهُ عِشْرِينَ سَنَةً .

معجم الادباء



(5) بحق ما صرت : أى استحققت أن تصير ابن يزيد ! وفى هذا الكلام تهكم بل نوع من الشماتة لان يزيد ، (اى يزيد بن معاوية) ، فيما اظن، كان يعتبر من «المغضوب عليهم» .

(105) التفاف اللام

كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ (I) بَارَأَ يَمَنْ انْضَوَى إِلَيْهِ ، مُعَارِفًا بِأَقْدَارِ
النَّاسِ ، مُكْرِمًا لِأَعْيَانِهِمْ وَأَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِنْهُمْ ، عَالِمًا بِمَقَادِيرِ الْعُلَمَاءِ ، يَنْزِلُ
النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَرُتَبِهِمْ . وَقَدْ رَبَّى الْحَقَّاطُ بِحِفْظِ كِتَابِ الْمَوْطَأِ (2)
وغيره من توالييف المهدي (3) وَكَانَ يَدْخُلُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ ، بَعْدَ الصَّلَاةِ
دَاخِلَ الْقَصْرِ ، وَهُمْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، كَانَتْهُمْ أَبْنَاءُ لَيْلَةٍ ، مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَغَيْرِهِمْ ،
قَصَدَ بِهِمْ سُرْعَةَ الْحِفْظِ ، وَالتَّرْبِيَةِ عَلَى مَا يُرِيدُ . فَيَأْخُذُهُمْ يَوْمًا بِتَعْلِيمِ
الرُّكُوبِ ، وَيَوْمًا بِالرَّمْيِ بِالْقَوْسِ ، وَيَوْمًا بِالْعُومِ فِي بُحَيْرَةٍ صَنَعَهَا خَارِجَ
بُسْتَانِهِ ، مُرَبَّعَةً طَوَّلَ تَرْبِيعِهَا ثَلَاثُمِائَةٍ بَايَعِ ، وَيَوْمًا يَأْخُذُهُمْ بِأَنْ يُجَدِّفُوا
فِي قَوَارِبَ وَزَوَارِقَ صَنَعَهَا لَهُمْ فِي تِلْكَ الْبُحَيْرَةِ . فَتَأْدَبُوا بِهَذِهِ الْأَدَابِ ،
تَارَةً بِالْعَطَاءِ ، وَتَارَةً بِالْأَدَبِ (4) . وَكَانَتْ نَفَقَتُهُمْ وَسَائِرُ مَوْوَنَتِهِمْ مِنْ عِنْدِهِ ،
وَخَيْلُهُمْ وَعُدَدُهُمْ كَذَلِكَ . وَلَمَّا كَمُلَ هَذَا الْمَرَادُ فِيهِمْ ، عَزَلَ بِهِمْ أَشْيَاخَ الْمَصَامِدَةِ
عَنْ وِلَايَةِ الْأَعْمَالِ وَالرِّئَاسَةِ . وَقَالَ الْعُلَمَاءُ أُولَى مِنْكُمْ ، فَسَلَّمُوا لَهُمُ الْأَمْرَ ،
وَأَبْقَاهُمْ مَعَهُمْ فِي الْمَشُورَةِ . وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ لَهُ حِينَ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ عَشَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ

(I) عبد المؤمن : تقدمت ترجمته قطعة رقم 73 .

(2) الموطأ : كتاب فقه الفقه الإمام مالك .

(3) المهدي : هو أبو عبد الله محمد بن تومرت إمام الموحدين وكان ينتسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب ، كان ورعا متقشفا مقبلا على العبادة شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع . توفي سنة 524 هـ . II3I م . بعد أن أحكم التدبير في تأسيس الدولة

(4) وتارة بالادب : أي بالتأديب والترهيب ، حسب ما يظهر .

كُلُّهُمْ حَفَاطٌ خَطَّاطُونَ ، قَدْ كَمَلَتْ فِيهِمُ الصِّفَاتُ الَّتِي رَبَّاهُمْ عَلَيْهَا وَتَخَصَّلُوا
بِالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَشْيَاخُ الْمُؤَحِّدِينَ بِتَقْدِيمِهِمْ ، وَقَالُوا لَهُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْنَاؤُكَ أُولَى بِالتَّقْدِيمِ . فَأَظْهَرَ الْأَمِينُ نَاعَ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى
وَلَّاهُمُ الْأَعْمَالَ ، وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى إِقْلِيمٍ ، وَقَدَّمَ أَبْنَاءَ الْمَشِيخَةِ
تَحْتَ أَيْدِيهِمْ .

الحلل الموشية ص 125



(106) غرة طاب

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ (I): لَمَّا وَرَدْتُ مَصْرَ ، فِي سَنَةِ 256. نَزَلْتُ عَلَى الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ؛ فَأَمَرَ مَنْ يَأْخُذُ لِي دَارًا قَرِيبَةً مِنْهُ، وَجَاءَنِي أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : «تَحْتَاجُ إِلَى قَصْرِیَّةٍ ، وَزِيرٍ ، وَحِمَارَيْنِ ، وَسُدَّةٍ». فَقُلْتُ : «أَمَّا الْقَصْرِیَّةُ (2) فَأَنَا لَا وَلَدَ لِي ، وَمَا حَلَمْتُ سَرَاوِيلِي عَلَى حَرَامٍ وَلَا حَلَالٍ قَطُّ . وَأَمَّا الزَّيْرُ فَمِنْ الْمَلَاهِي ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِي ، وَأَمَّا الْحِمَارَانِ ، فَلِإِنَّ أَبِي وَهَبَ لِي بِضَاعَةً اسْتَعِينُ بِهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَلِنْ صَرَفْتُهَا فِي ثَمَنِ حِمَارَيْنِ فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَطْلُبُ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : فَتَبَسَّمُوا ، فَقُلْتُ : إِلَى كَمْ يَحْتَاجُ هَذَا ؟ فَقَالُوا : يَحْتَاجُ إِلَى دِرْهَمَيْنِ وَثُلُثَيْنِ . فَأَخَذُوا ذَلِكَ مِنِّي وَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَشْيَاءُ مُتَّفَقَةٌ (3) وَجَاؤُونِي : بِأَجَانَةٍ ، وَحَبٍّ لِلْمَاءِ (4) ، وَأَرْبَعَ خَشَبَاتٍ قَدْ شَدَّدُوا وَسَطَهَا بِشَرِيطٍ ، وَقَالُوا : الزَّيْرُ لِلْمَاءِ ، وَالْقَصْرِیَّةُ لِلْخُبْزِ ، وَالْحِمَارَانِ وَالسُّدَّةُ تَنَامُ عَلَيْهَا مِنَ الْبَرَاغِيثِ . فَتَنَفَعَنِي ذَلِكَ ، وَكَثُرَتْ الْبَرَاغِيثُ ، فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ ، نَزَعْتُ ثِيَابِي ، وَعَلَقْتُهَا عَلَى حَبْلٍ قَدْ شَدَّدْتَهُ، وَاتَّزَرْتُ ، وَصَعَدْتُ إِلَى السُّدَّةِ خَوْفًا مِنْهَا .

معجم الادباء ج 18 ص 55

(I) محمد بن جرير الطبري: هو صاحب كتاب التفسير و«تاريخ الامم والملوك». كان مشهورا بسعة العلم وبالصبر على التأليف - مات سنة 310 هـ. (923 م.)

(2) القصرية: ظنها اناء واسع يصلح للغسل ولهذا قال انه ليس في حاجة اليها لكونه غير متزوج ويكفيه الدخول الى الحمام .

(3) اشياء متفقة: اي اختلفت اسمائها واتفقت مدلولاتها .

(4) حب الماء: الجرة الكبيرة .

الباب الرابع

الفصل الثاني

الكتب والمكتبات

قَالَ تَعَالَى : « إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

إِنَّهُ لَمِنَ اللَّغْوِ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ تِجَارَةَ الْكُتُبِ كَانَتْ تِجَارَةً نَافِقَةً فِي أَكْثَرِ
الْعَوَاصِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تُقَامُ لَهَا أَسْوَاقٌ بِهَا وَرَاقُونَ وَدَلَّالُونَ. وَكَانَ الْأَكَابِرُ
لَا يَتَخَلَوْنَ بِنَفْسِهِ لِلتَّحْصِيلِ عَلَى مُصَنَّفَاتِ مَشَاهِيرِ الْأَدَبَاءِ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى
بَوَاكِرِ مَا تَجُودُ بِهِ قَرَائِنُهُمْ. وَقَلَمًا كَانَ يَخْلُو مَسْجِدٌ وَلَا دَارُ خَلِيفَةٍ أَوْ
أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ أَوْ مُوسِرٍ مِنْ مَكْتَبَةٍ وَاسِعَةٍ، يَشْتَغِلُ بِهَا النَّسَاحُونَ وَالْمُسَقِّفُونَ
وَالْمَذْهَبُونَ، وَيَخْتَلِفُ إِلَيْهَا الرَّاعِبُونَ وَيَجْتَمِعُ بِهَا الْمُتَنَاطِرُونَ، فَيَتَنَافَسُ الْكُلُّ
فِي تَجْوِيدِ حَظِّ، أَوْ تَرْيِيزِ كُرَاسَةٍ أَوْ تَحْقِيقِ مَسْأَلَةٍ أَوْ حَلِّ مُشْكَلَةٍ. رَحِمَهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا آمِينَ .

أهم المراجع في هذا الفصل

- (1) الحضارة الإسلامية لمار (ج. 1 فصل 12)
 - (2) تاريخ التمدن الإسلامي لحرّجى زيدان ج. 3 و 4
 - (3) تاريخ الآداب العربية له ج. 4 ص. 196 وما بعده
- ويزاد عليهما الفهاريس والمعاجم العديدة التى خصصت للتعريف
بالكتب التى ألفها العلماء فى فنون مختلفة. ولبیان المصنفات
العربية الموجودة الآن بالخزانات الشرقية والغربية، العامة منها
والخاصة .

(107) يعطى الجوز من ل له أسنان

قَالَ الْحَضَرَمِي (I) : أَقَمْتُ مَرَّةً بِقَرْطَبَةَ، وَلَازِمْتُ سُوقَ كُتُبِهَا مَدَّةً ،
 أَتَرَقَّبُ فِيهِ وَقُوعَ كِتَابٍ كَانَ لِي بِطَلْبِهِ اعْتِنَاءٌ ، إِلَى أَنْ وَقَعَ ، وَهُوَ بِخَطِّ
 قَصِيحٍ ، وَتَفْسِيرٍ مَلِيحٍ . فَفَرَحْتُ أَشَدَّ الْفَرَحِ ، فَجَعَلْتُ أَزِيدُ فِي ثَمَنِهِ ، فَيَرْجِعُ
 إِلَيَّ الْمُنَادِي بِالزِّيَادَةِ عَلَيَّ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ فَوْقَ حِدِّهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا أُرِنِي
 مَنْ يَزِيدُ فِي هَذَا الْكِتَابِ حَتَّى بَلَغَهُ إِلَى مَا لَا يَسَاوِي . فَأَرَانِي شَخْصًا عَلَيْهِ
 لِبَاسُ رِئَاسَةٍ . فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : أَعَزَّ اللَّهُ سَيِّدَنَا الْفَقِيهَ ، إِنْ كَانَ
 لَكَ غَرَضٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ تَرَكْتَهُ لَكَ ، فَقَدْ بَلَغْتَ بِهِ الزِّيَادَةَ بَيْنَنَا فَوْقَ حِدِّهِ .
 فَقَالَ لِي : لَسْتُ بِفَقِيهِ ، وَلَا أُدْرِي مَا فِيهِ ، وَلَكِنِّي أَقَمْتُ خِزَانَةَ كُتُبٍ ، وَاحْتَفَلْتُ
 فِيهَا لِأَتَجَمَّلَ بِهَا بَيْنَ أَعْيَانِ الْبَلَدِ ، وَبَقِيَ فِيهَا مَوْضِعٌ يَسَعُ هَذَا الْكِتَابَ .
 فَلَمَّا رَأَيْتُهُ حَسَنَ الْخَطِّ ، جَيِّدَ التَّجْلِيدِ ، اسْتَحْسَنْتُهُ ، وَلَمْ أَبَالِ بِمَا أَزِيدُ
 فِيهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنِ الرِّزْقِ ، فَهُوَ كَثِيرٌ . قَالَ الْحَضَرَمِيُّ :
 فَأَخْرَجَنِي ، وَحَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ : «نَعَمْ لَا يَكُونُ الرِّزْقُ كَثِيرًا إِلَّا عِنْدَ
 أَمْثَالِكَ ! يُعْطَى الْجَوْزُ مَنْ لَا لَهُ أَسْنَانٌ !» .

نفع الطيب



(٢) الحضرمي : نسبة الى حضر موت ولا ندرى من هذا الحضرمي ، اللهم
 الا ان يكون محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بنى امية وقد ذكره
 صاحب كتاب «نفع الطيب» فى باب «فضائل اهل الاندلس»

(108) خزانة أبي يعقوب يوسف

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكَشِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ الْمَعْجَبِ: كَانَ أَبُو يَعْقُوبَ (I) أَحْسَنَ النَّاسِ أَلْفَاظًا بِالْقُرْآنِ، وَأَسْرِعَهُمْ نُفُوزَ خَاطِرٍ فِي مَسَائِلِ النَّحْوِ، وَأَحْفَظَهُمْ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. ثُمَّ تَخَطَّى ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ: فَجَمَعَ كُتُبَ الْفَلَسَفَةِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْهَا قَرِيبُ مِمَّا اجْتَمَعَ لِلْحَكَمِ (2) الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْأَمَوِي. أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّدُونِيُّ، أَحَدَ الْمُتَحَقِّقِينَ بِعِلْمَى الطَّبِّ وَأَحْكَامِ النُّجُومِ، قَالَ: كُنْتُ فِي شَيْبَتِي أَشْتَعِيرُ كُتُبَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، يَعْنِي صِنَاعَةَ الْأَحْكَامِ، مِنْ رَجُلٍ كَانَ عِنْدَنَا بِإِسْبِيلِيَّةَ اسْمُهُ يُوسُفُ، يُكْنَى أَبَا الْحَجَّاجِ، وَيَعْرِفُ بِالْمُرَانِي بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ. كَانَتْ عِنْدَهُ مِنْهَا جُمْلَةٌ كَبِيرَةٌ، وَقَعَتْ إِلَى أَبِيهِ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ. فَكَانَ يَعِيرُنِي أَيَّاهَا فِي غَرَائِرٍ، أُحْمِلُ غَرَارَةً وَأُجِئُ بِغَرَارَةٍ مِنْ كَثَرَتِهَا عِنْدَهُ. فَأَخْبَرَنِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنَّهُ عَدِمَ تِلْكَ الْكُتُبَ بِجُمْلَتِهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِذَلِكَ. فَأَسَرَّ إِلَيَّ: «أَنْ خَبَرَهَا أُنْهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَرْسَلَ إِلَيَّ دَارِي، وَأَنَا فِي الدِّيَّوَانِ لَا عِلْمَ لِي بِذَلِكَ. وَكَانَ الَّذِي أَرْسَلَ كَافُورًا الْخِصْيَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعَبِيدِ الْخَاصَّةِ، وَأَمْرُهُ أَلَّا يَرْوِعَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، وَأَلَّا يَأْخُذَ سِوَى الْكُتُبِ، وَتَوَعَّدَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّ الْوَعِيدِ إِنْ نَقَضَ أَهْلُ الْبَيْتِ إِبْرَةً، فَمَا فَوْقَهَا. فَأُخْبِرْتُ بِذَلِكَ، وَأَنَا بِالْدِّيَّوَانِ،

(I) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ولي الخلافة بعد أبيه سنة 558 هـ. ومات بالجزيرة الخضراء بالأندلس ودفن بتنمل سنة

580 هـ. 1184 م.

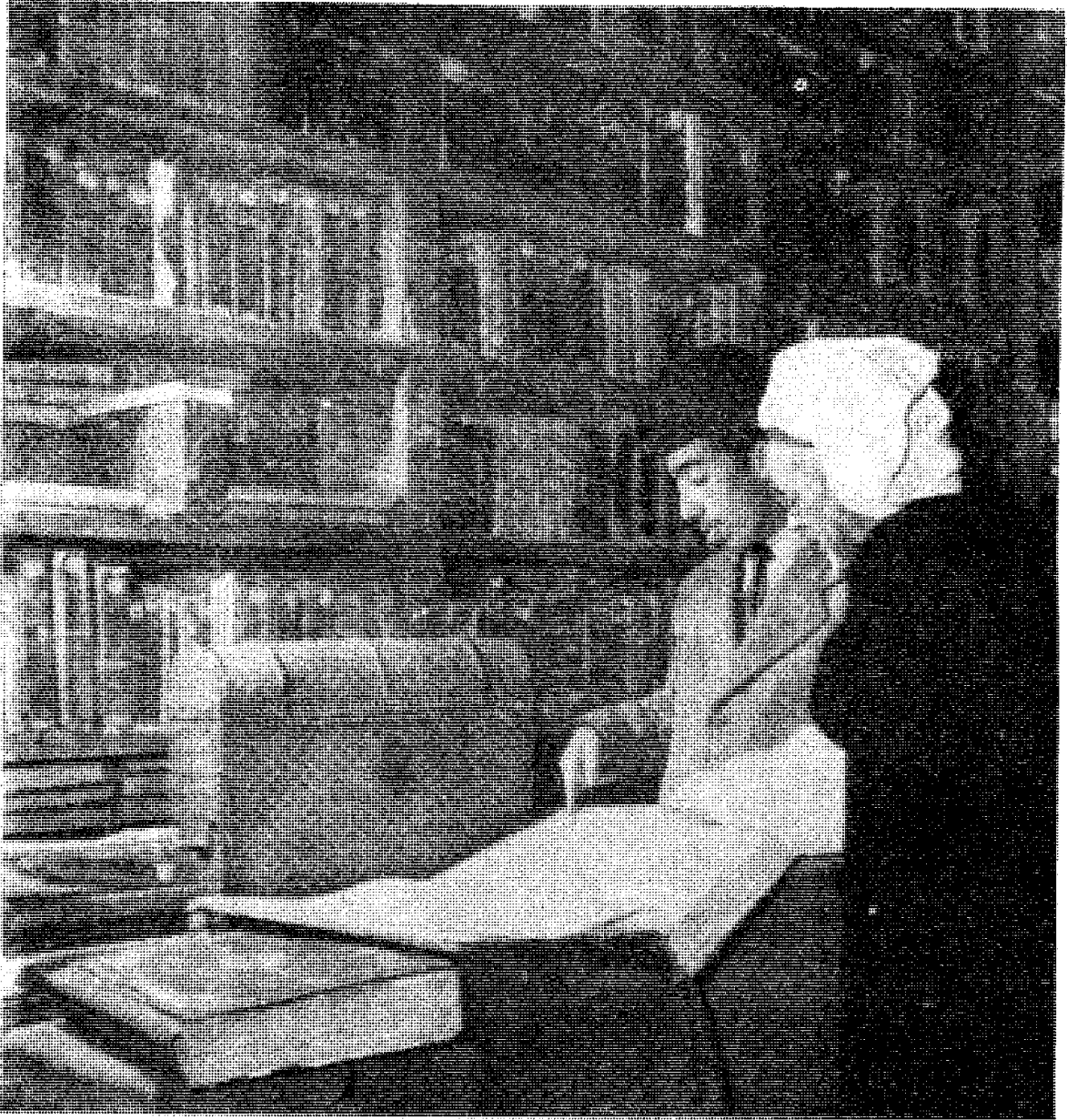
(2) الحكم هو ابن عبد الرحمن الناصر، ولي بعد أبيه وكان مسالماً مولعاً بالادب، وكانت له خزانة كتب يضرب بها المثل مات بقرطبة سنة 976 م. وكانت مدة خلافته ستة عشر عاماً.

فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ اسْتِصْفَاءَ (3) أَمْوَالِي، فَكَرَبْتُ وَمَا مَعِيَ عَقْلِي، حَتَّى أَتَيْتُ مَنْزِلِي
فَلِذَا الْخِصْيُ كَافُورِ الْحَاجِبِ وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ، وَالْكِتَابُ تُخْرُجُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا
رَأَانِي وَتَبَيَّنَ دُعْرِي، قَالَ لِي: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُسَلِّمُ
عَلَيَّ، وَأَنَّهُ ذَكَرَنِي بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَزَلْ يَبْسِطُنِي حَتَّى زَالَ مَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ
قَالَ لِي: سَلْ أَهْلَ بَيْتِكَ هَلْ رَاعَهُمْ أَحَدٌ، أَوْ نَقَصَهُمْ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِهِمْ.
فَسَأَلْتُهُمْ فَقَالُوا لِي: لَمْ يَرُعْنَا أَحَدٌ وَلَمْ يَنْقُصْنَا شَيْئًا، جَاءَ أَبُو الْمُسْكَ (4)
حَتَّى اسْتَأْذَنَ عَلَيْنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَخْلَيْنَا لَهُ الطَّرِيقَ، وَدَخَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى
خِزَانَةِ الْكِتَابِ، فَأَمَرَ بِإِحْرَاجِهَا. فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْقَوْلَ مِنْهُمْ زَالَ مَا كَانَ
فِي نَفْسِي مِنَ الرُّوعِ...». وَوَلَّوهُ، بَعْدَ أَخْذِهِمْ لِهَذِهِ الْكِتَابِ مِنْهُ وَلَايَةً ضَخْمَةً،
مَا كَانَ يُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهُ.

المعجب



(3) استصفى امواله : اخذها كلها عقابا له .
(4) ابو المسك : لقب بهذا اللقب لانه كان اسود - وقد لقب به كذلك
كافور صاحب مصر الذي قصده المتنبي فمدحه ثم هجاه .



جانب من خزانة القرويين حيث تحفظ المؤلفات الثمينة

卷之四

1. The first part of the document is a list of names and dates, which appears to be a record of some kind. The names are written in a cursive script, and the dates are in a more formal, printed style. The list is organized into columns, with names in the first column and dates in the second column.

2. The second part of the document is a series of short, handwritten notes or entries. These are written in a cursive script and are arranged in a vertical column. The notes appear to be related to the names and dates in the first part, possibly providing additional information or commentary.

3. The third part of the document is a series of short, handwritten notes or entries. These are written in a cursive script and are arranged in a vertical column. The notes appear to be related to the names and dates in the first part, possibly providing additional information or commentary.

4. The fourth part of the document is a series of short, handwritten notes or entries. These are written in a cursive script and are arranged in a vertical column. The notes appear to be related to the names and dates in the first part, possibly providing additional information or commentary.

5. The fifth part of the document is a series of short, handwritten notes or entries. These are written in a cursive script and are arranged in a vertical column. The notes appear to be related to the names and dates in the first part, possibly providing additional information or commentary.

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

1. The first part of the document is a list of names and addresses, which appears to be a directory or a list of contacts. The names are written in a cursive script, and the addresses are listed below them.

وہی ہے جو کہ اس کے لئے ایک نیا دھارم بن گیا۔

[The page contains several lines of handwritten text in cursive script, which is mostly illegible due to extreme fading and blurring.]

三、四、五、六、七、八、九、十、十一、十二、十三、十四、十五、十六、十七、十八、十九、二十、二十一、二十二、二十三、二十四、二十五、二十六、二十七、二十八、二十九、三十、三十一、三十二、三十三、三十四、三十五、三十六、三十七、三十八、三十九、四十、四十一、四十二、四十三、四十四、四十五、四十六、四十七、四十八、四十九、五十、五十一、五十二、五十三、五十四、五十五、五十六、五十七、五十八、五十九、六十、六十一、六十二、六十三、六十四、六十五、六十六、六十七、六十八、六十九、七十、七十一、七十二、七十三、七十四、七十五、七十六、七十七、七十八、七十九、八十、八十一、八十二、八十三、八十四、八十五、八十六、八十七、八十八、八十九、九十、九十一、九十二、九十三、九十四、九十五、九十六、九十七、九十八、九十九、一百。

[illegible]

3. 1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

0
0
0
0

(109) مصحف بخط ابن مقله

حَدَّث أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هِلَالٍ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَوَابِ (I) الْكَاتِبُ، قَالَ : كُنْتُ أَتَصَرَّفُ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ (2) بِشِيرَازَ عَلَى اخْتِيَارِي، وَأَرَاغِيهَا لَهُ، وَأَمَرَهَا مَرْدُودٌ إِلَيَّ. فَرَأَيْتُ يَوْمًا فِي جُمْلَةِ أَجْزَاءِ مَنْبُودَةٍ، جُزْءًا مُجَلَّدًا بِأَسْوَدَ، قَدَّرَ السَّكْرِيُّ فَفَتَحْتُهُ وَإِذَا هُوَ جُزْءٌ مِنْ ثَلَاثِينَ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُقْلَةَ (3). فَأَعْجَبَنِي وَأَفْرَدْتُهُ. فَلَمَّ أَزَلُّ أَظْفَرُ بِجُزْءٍ بَعْدَ جُزْءٍ مُخْتَلِطٍ فِي جُمْلَةِ الْكُتُبِ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ جُزْءًا ، وَبَقِيَ جُزْءٌ وَاحِدٌ اسْتَغْرَقَتْ تَفْتِيْشُ الْخِزَانَةِ عَلَيْهِ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ، فَلَمَّ أَظْفَرُ بِهِ . فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَصْحَفَ نَاقِصٌ. فَأَفْرَدْتُهُ، وَدَخَلْتُ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ، وَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا هَا هُنَا رَجُلٌ يَسْأَلُ حَاجَةً قَرِيبَةً لَا كَلْفَةَ فِيهَا، وَهِيَ مُحَاطَبَةُ أَبِي عَلِيٍّ الْمَوْفِقِ الْوَزِيرِ، عَلَى مَعُونَتِهِ فِي مُنَازَعَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ خَصْمٍ لَهُ ، وَمَعَهُ هَدِيَّةٌ ظَرِيفَةٌ تَصْلُحُ لِمَوْلَانَا . قَالَ : أَيْ شَيْءٍ هِيَ ؟ قُلْتُ : مُصْحَفٌ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُقْلَةَ . قَالَ : هَاتِهِ وَأَنَا أَتَقَدَّمُ بِمَا يُرِيدُ . فَأَحْضَرْتُ الْأَجْزَاءَ، فَأَخَذَ مِنْهَا وَاحِدًا وَقَالَ : اذْكُرْ أَنَّهُ كَانَ فِي الْخِزَانَةِ مَا يُشَبِّهُ هَذَا، وَقَدْ ذَهَبَ عَنِّي . قُلْتُ : هَذَا مُصْحَفُكَ ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ . وَقُلْتُ : هَكَذَا

(I) ابن البواب هو صاحب الخط المليح والاذهاب الفائق . كان في اول امره مزوقا يصور الدور، ثم صور الكتب ثم اعتنى بالكتابة . مات سنة 413 هـ. في خلافة القادر بالله .

(2) عضد الدولة تقدمت ترجمته قطعة 18 .

(3) ابو علي محمد بن مقله (272 - 328 هـ. 886 - 941م.) ولد ببغداد استوزره الامام المقتدر بالله (929م.) ، وهو صاحب الخط الحسن المشهور .

يَطْرَحُ مُصْحَفَ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ؟ فَقَالَ لِي : فَتَمِّمَهُ لِي . قُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَلَكِنْ عَلَى شَرِيطَةٍ أَنْكَ إِذَا أَبْصَرْتَ الْجُزْءَ النَّاقِصَ مِنْهَا وَلَا تَعْرِفُهُ ، أَنْ تُعْطِيَنِي خِلْعَةً وَمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : أَفْعَلُ . فَأَخَذْتُ الْمُصْحَفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى دَارِي ، وَدَخَلْتُ الْخِزَانَةَ ، أَقْلَبُ الْكَاغِدَ الْعَتِيقَ وَمَا يُشَابِهُهُ كَاغِدَ الْمُصْحَفِ ، وَكَانَ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْكَاغِدِ السَّمَرَقَنْدِيِّ وَالصِّينِيِّ وَالْعَتِيقِ كُلِّ ظَرِيفٍ عَجِيبٍ ، فَأَخَذْتُ مِنَ الْكَاغِدِ مَا وَافَقَنِي ، وَكَتَبْتُ الْجُزْءَ ، وَذَهَبْتُهُ ، وَعَتَقْتُ ذَهَبَهُ ، وَقَلَعْتُ جِلْدًا مِنْ جُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ فَجَلَدْتُهُ بِهِ ، وَجَلَدْتُ الَّذِي قَلَعْتُ مِنْهُ الْجِلْدَ ، وَعَتَقْتُهُ . وَنَسِيَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ الْمُصْحَفَ ، وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ السَّنَةِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ ، جَرَى ذِكْرُ أَبِي عَلِيٍّ بِنِ مَقْلَةٍ ، فَقَالَ لِي : مَا كَتَبْتَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَأَعْطِنِيهِ . فَأَحْضَرْتُ الْمُصْحَفَ كَامِلًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْلِبُهُ جُزْءًا جُزْءًا ، وَهُوَ لَا يَقِفُ عَلَى الْجُزْءِ الَّذِي بِخَطِّي ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَيُّمَا هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي بِخَطِّكَ؟ قُلْتُ لَا تَعْرِفُهُ فَيَضْغُرُ فِي عَيْنِكَ . هَذَا مُصْحَفٌ كَامِلٌ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ بِنِ مَقْلَةٍ ، وَنُكْتُمُ سِرَّنَا؟ قَالَ : أَفْعَلُ ، وَتَرَكَهُ فِي رُبْعَةٍ عِنْدَ رَأْسِهِ وَلَمْ يَعِيسْهُ إِلَى الْخِزَانَةِ . وَأَقَمْتُ مُطَالِبًا بِالْخِلْعَةِ وَالْدَّانِيرِ ، وَهُوَ يَمُطِّلُنِي وَيَعِدُّنِي ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا قُلْتُ : يَا مَوْلَانَا فِي الْخِزَانَةِ بَيَاضٌ (4) صِينِي ، وَعَتِيقٌ مَقْطُوعٌ وَصَحِيحٌ ، فَتُعْطِيَنِي الْمَقْطُوعَ مِنْهُ كُلَّهُ دُونَ الصَّحِيحِ بِالْخِلْعَةِ وَالْدَّانِيرِ . قَالَ : مُرَّ وَخُذْهُ . فَمَضَيْتُ وَأَخَذْتُ جَمِيعَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ ، فَكَتَبْتُ فِيهِ سِنِينَ .

معجم الادباء



(4) بياض : هنا كاغد ابيض غير مكتوب .

(110) رجل مولع بجمع الخطوط المنسوبة

قال ياقوت : مات ابن البرقي (I) وخلف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن البواب ، لم تجتمع في زماننا عند كاتب . وكان تغالي في شرائها . ولقد حدثني قال : بلغني عن رجل مقيم في بعض محال بغداد ، أن عنده جزاراً كثيراً ورثه عن أبيه . فحبل لي أنه لا يخلو من شيء من الخطوط المنسوبة . فمضيت إليه وقلت له : أحب أن تريني ما خلف لك ، والدك عسى أن أشتري منه شيئاً . فصعد بي إلى غرفة ، وجلست أفتش حتى وقع بيدي ورقة بخط ابن البواب فضمنت إليها شيئاً آخر لا حاجة بي إليه . وقلت له : بكم هذا ؟ فقال لي ياسيدي ما صلح لك في هذا كله شيء آخر ؟ فقلت له : أنا الساعة مستعجل وأعلي أعود إليك مرة أخرى . فقال : هذا الذي اخترته لا قيمة له فخذ هبة مني . فقلت : لا أفعل وأعطيته قطعة قراضة (2) ، مقدارها نصف دانيق (3) . فاستكثرها وقال : ياسيدي ما أخذت شيئاً يساوي هذا المقدار . فخذ شيئاً آخر . فقلت : لا حاجة لي في شيء آخر ، ثم نزلت من غرفته . فاستحييت وقلت في نفسي : هذه مخادعة ولا شك أنه باعني ما جهله - والله لا جعلت خط ابن البواب أن يشتري بالمخادعة ! فعدت إليه وقلت له : يا أخي هذه الورقة بخط ابن البواب . فقال : وإذا كانت

(I) البرقي : كان كاتباً جيد الخط ومحرراً بالبلاط العباسي مات سنة

625 هـ . وانظر ترجمة ابن البواب في القطعة السابقة .

(2) القراض : ما سقط بالقرض كقراضة الذهب أو الثوب .

(3) الدانيق : سدس الدرهم .

بَخَطِ ابْنِ الْبَوَّابِ أَى شَىءٍ أَصْنَعُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قِيَمَتَهَا ثَلَاثَةُ دَنَانِيرٍ إِمَامِيَّةً !
 فَقَالَ : يَا سَيِّدِي لَا تَسْخَرُ مِنِّي وَلَعَلَّكَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى رَدِّهَا ، فَخُذْهَا وَحُطَّ
 الذَّهَبَ . فَقُلْتُ : بَلْ أَحْضَرُ مِيزَانًا لِلذَّهَبِ . فَأَحْضَرَهُ فَوَزَنْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ .
 وَقُلْتُ لَهُ : بَعْتَنِي هَذَا بِهَذَا ؟ قَالَ : بَعْتُكَ . فَأَخَذْتُهَا وَأَنْصَرَفْتُ .

معجم الادباء ج 17 ص 280



(111) بسأل عن كتاب في موسم عرفات

قَالَ أَبُو حَيَّان : حَدَّثَنَا عَلِي بْنُ عَيْسَى النُّحْوِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ قَالَ :
سَمِعْتُ ابْنَ الْأَخْشَادِ شَيْخَنَا أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ : ذَكَرَ أَبُو عُثْمَانَ (I)، فِي أَوَّلِ
كِتَابِ الْحَيَوَانِ، أَسْمَاءَ كُنْيَةٍ لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالْفَهْرِسَةِ، وَمَرَّ بِي فِي جُمْلَتِهَا
«الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ» وَكِتَابُ «دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ»، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا هَكَذَا
عَلَى التَّفْرِيقَةِ ، وَأَعَادَ ذِكْرَ «الْفَرْقِ» فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ، لِشَيْءٍ دَعَاهُ إِلَيْهِ .
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَى الْكِتَابَيْنِ وَلَمْ أَقْدِرْ إِلَّا عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَهُوَ كِتَابُ «دَلَائِلِ
النَّبُوَّةِ»، وَرَبَّمَا لَقِبَ بِالْفَرْقِ خَطَأً، فَهَمَّنِي ذَلِكَ وَسَاءَ نَبِي فِي سُوءِ ظَفَرِي بِهِ.
فَلَمَّا شَخَصْتُ مِنْ مِصْرَ ، وَدَخَلْتُ مَكَّةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - حَاجَا، أَقَمْتُ
مُنَادِيًا بِعَرَافَاتٍ يُنَادِي - وَالنَّاسُ حُضُورٌ مِنَ الْآفَاقِ، عَلَى اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ،
وَتَنَارُجِ أَوْطَانِهِمْ ، وَتَبَايُنِ قَبَائِلِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ، مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمِنْ
مَهَبِّ الشَّمَالِ ، إِلَى مَهَبِّ الْجَنُوبِ ، وَهُوَ الْمَنْظَرُ الَّذِي لَا يُشَابِهُهُ مَنْظَرٌ -
«رَحِمَ اللَّهُ مَنْ دَلَّنَا عَلَى كِتَابِ «الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ» لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاهِظِ
عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ» . قَالَ : فَطَافَ الْمُنَادِي فِي تَرَابِيعِ عَرَافَاتٍ، وَعَادَ بِالْخَيْبَةِ،
وَقَالَ : حَجَبَ النَّاسَ مِنِّي (2) وَلَمْ يَعْرِفُوا هَذَا الْكِتَابَ، وَلَا اعْتَرَفُوا بِهِ.
قَالَ ابْنُ الْأَخْشَادِ : «وَلَيْتَمَا أَرَدْتُ بِهَذَا أَنْ أَبْلَغَ نَفْسِي عُذْرَهَا» .

معجم الادباء ج 16 ص 101

(I) ابو عثمان هو الجاهظ انظر ترجمته في آخر الكتاب .
(2) منى : هو المكان الذي يقصده الحجاج بعد الوقوف بعرفات للمبيت فيه وليذهبوا به الضحايا يوم العيد .

الباب الرابع

الفصل الثالث

المناظرات ومجالس الاداب

قَالَ تَعَالَى : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ مَجَامِعُ لُغَوِيَّةٍ أَوْ عِلْمِيَّةٍ رَسْمِيَّةٍ، وَلَكِنْ كَانَ الْأَكَابِرُ
يَنْظُمُونَ الْمَجَالِسَ لِلْمُنَاطَرَاتِ ، وَيُشَجِّعُونَ عَلَى الْمَجَادَلَةِ النَّافِعَةِ بَيْنَ حَمَلَةِ
الْعِلْمِ وَقَادَةِ الْفِكْرِ ، سَعْيًا وَرَاءَ الْحَقِيقَةِ وَرَجْرَأً لِلْمُدَّعِينَ . وَمَا كَانَ الْأَدَبَاءُ
وَلَا الْعُلَمَاءُ لِيَخَافُوا لَوْمَةً لَائِمٍ عِنْدَ الدِّفَاعِ عَنْ مَذْهَبٍ أَوْ التَّأْيِيدِ لِفِكْرَةٍ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَخْلَعُوا، فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ، شِعَارَ الْهُدُوءِ وَالتَّبَشَّاشَةِ .

هَذَا وَقَدْ احْتَرْنَا قِطْعًا قَصِيرَةً وَإِلَّا فَلِنَّ الْمُنَاطَرَاتُ كَثِيرًا مَا كَانَتْ
تَسْتَغْرِقُ عِدَّةَ أَيَّامٍ وَيَنْتَقِلُ فِيهَا مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ مِثْلَ مَا كَانَ يَقَعُ بَيْنَ يَدَيِ
الْمَأْمُونِ، وَمَا وَقَعَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ وَبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ .

بعض المراجع

- (1) ضحى الاسلام لاحمد أمين (ج. 2) .
- (2) النشر الفنى لزكى مبارك (ج. I) .
- (3) كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة - باب المناظرات
- (4) النبوغ المغربى - تاليف عبد الله كنون ج. 2 ص. 22

(112) مناقشة أدبية في سوق عكاظ (*)

كَانَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي (I) حَكَمًا ، يَحْتَكِمُ إِلَيْهِ الشُّعْرَاءُ فِي عُكَاظٍ (2) .
فَكَانَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْخَنَسَاءُ (3) وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (4) . فَلَمَّا أَنْشَدَتْهُ
قَصِيدَتَهَا الَّتِي تَقُولُ فِيهَا : (بسيط)

وَإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو (5) لَنَحَارُ
وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ شَهَادُ أُنْدِيَةٍ ، لِلْجَيْشِ جَرَارُ

قَالَ لَهَا: لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ (6) (الْأَعَشَى الْأَكْبَرُ) أَنْشَدَنِي قَبْلَكَ ،
لَقُلْتُ إِنَّكَ أَشْعَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ . فَأَهَاجَ ذَلِكَ جُمْرَةَ الْغَضَبِ فِي صَدْرِ
حَسَّانٍ ، وَقَالَ لِلنَّابِغَةِ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ وَمِنْهَا وَمِنْ أَبِيكَ ! قَالَ النَّابِغَةُ :

-
- (*) لم تقع هذه المناقشة في عهد الاسلام، ولكن اخترناها لطرافتها .
(I) النابغة الذبياني : هو ابو امامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني .
مات حوالى سنة 602 م .
(2) عكاظ : سوق قرب الطائف كان يجتمع بها العرب ايام موسم الحج
فيبيعون ويشترون ويتناشدون الاشعار .
(3) الخنساء : الشاعرة المشهورة برثائها لاختها صخر - ماتت فى اول
خلافة عثمان .
(4) حسان بن ثابت الانصارى - هو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم
مات سنة 674 م .
(5) نشتو : ندخل فى فصل الشتاء .
(6) ابو بصير : او الاعشى الاكبر - كان من فحول الشعراء ، محبا
للهمو والخمر، يقصد الاشراف فيمدحهم . مات بعد ظهور الاسلام
بقليل .

بِمَاذَا ؟ فَقَالَ : بِقَوْلِي (طويل)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرَّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَيَرَوُونَ أَنَّ النَّابِغَةَ قَالَتْ لِلْمُخَنَّسَاءِ : خَاطِبِيهِ يَا خُنَاسُ . فَقَالَتْ لَهُ :
أَضَعَفْتَ افْتِخَارَكَ ، وَأَنْزَرْتَهُ فِي ثَمَانِيَةِ مَوَاضِعَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ لَهُ :
قُلْتَ الْجَفَنَاتُ ، وَالْجَفَنَاتُ مَا دُونَ الْعُسْرِ . وَقُلْتَ : الْغُرَّ ، وَلَوْ قُلْتَ الْبَيْضُ
لَكُنَّ أَكْثَرَ اتِّسَاعًا . وَقُلْتَ : يَلْمَعْنَ ، وَاللَّمْعُ يَأْتِي شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَلَوْ
قُلْتَ يَشْرِقْنَ لَكُنَّ أَكْثَرَ ، لِأَنَّ الْإِشْرَاقَ أَدْوَمُ مِنَ اللَّمْعَانِ . وَقُلْتَ : بِالضُّحَى ،
وَلَوْ قُلْتَ بِالذُّجَى لَكَانَ أَكْثَرَ طَرَاقًا . وَقُلْتَ : أَسْيَافُنَا ، وَالْأَسْيَافُ مَا دُونَ
الْعُشْرَةِ . وَقُلْتَ : يَقَطُرْنَ ، وَلَوْ قُلْتَ يَسِيلْنَ لَكَانَ أَكْثَرَ ، وَقُلْتَ : مِنْ نَجْدَةٍ ،
وَالنَّجْدَاتُ أَكْثَرُ مِنْ نَجْدَةٍ . وَقُلْتَ : دَمًا وَالِدِّمَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الدِّمِ . فَلَمْ يَحِزْ
حَسَنَ جَوَابًا وَأَنْصَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ مُسْتَحْيِيًا .

عن شرح شواهد المغني



(113) مناظرة في فائدة النحر

قَالَ الْكِسَائِيُّ (I) : اجْتَمَعَتْ أَنَا وَأَبُو يُوسُفَ (2) الْقَاضِي عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ (3)، فَجَعَلَ أَبُو يُوسُفَ يَذُمُّ النَّحْرَ ، وَيَقُولُ : «مَا النَّحْرُ ؟! فَقُلْتُ : وَأَرَدْتُ أَنْ أُعَلِّمَهُ فَضَّلَ مَا يَذُمُّهُ ، مَا تَقُولُ يَا أَبَا يُوسُفَ فِي رَجُلٍ قَالَ لِآخَرَ : «أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ» ؟ وَقَالَ لَهُ آخَرُ : «أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ» ، أَيُّهُمَا تَأْخُذُ بِهِ (4)؟ قَالَ : «أَخْذُهُمَا جَمِيعًا» . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : «أَخْطَأْتُ» ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالنَّحْرِ . فَاسْتَحْيَا أَبُو يُوسُفَ وَقَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يُؤْخَذُ بِقَتْلِ الْغُلَامِ هُوَ الَّذِي قَالَ : «أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ» بِالإِضَافَةِ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَاضٍ ، وَأَمَّا الَّذِي قَالَ : «أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ» بِالنَّصْبِ ، فَلَا يُؤْخَذُ ، لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «وَلَا تُقُولَنَّ لَيْسَ لِي بِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا» . فَلَوْلَا أَنَّ التَّنْوِينَ لِلْمُسْتَقْبَلِ مَا جَازَ فِيهِ (غَدًا) . فَكَانَ أَبُو يُوسُفَ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْثُرُ فِي مَدْحِ النَّحْرِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى كُتْبِهِ حَتَّى أَجَادَ فَهَّمَهُ .

معجم الادباء



-
- (I) الكسائي : تقدمت ترجمته قطعة 100 .
 (2) ابو يوسف : انظر قطعة 101 .
 (3) الرشيد : انظر قطعة 46 .
 (4) تاخذ به : اي تعاقبه على قتل الغلام .

(114) الخارجي والمأمون

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ (I): بَيْنَمَا الْمَأْمُونُ (2) يَوْمًا جَالِسٌ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلَى بْنُ صَالِحِ الْحَاجِبِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ وَاقِفٌ بِالْبَابِ . عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ غَلَاظٌ مُشَمَّرَةٌ ، وَيَطْلُبُ الدَّخُولَ لِمُناظَرَةٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : ائْذَنْ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ قَدْ شَمَّرَهَا ، وَنَعْلُهُ فِي يَدِهِ . فَوَقَفَ عَلَى طَرَفِ الْبَسَاطِ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ . فَقَالَ : أَتَأْذَنُ فِي الدُّنْيَا مِنْكَ ؟ قَالَ : ائْذَنْ . فَدَنَا . ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ فَجَلَسَ . ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : أَتَأْذَنُ فِي كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ : تَكَلَّمْ بِمَا تَعْلَمُ إِنَّ لِلَّهِ فِيهِ رِضًى . قَالَ : اخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الْمَجْلِسِ الَّذِي أَنتَ قَدْ جَلَسْتَهُ . أَجِئْتَاجَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ ، وَرِضًى مِنْكَ ، أَمْ بِالْمُغَالَبَةِ لَهُمْ ، بِالْقُوَّةِ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانِكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَجْلِسْهُ بِاجْتِمَاعٍ مِنْهُمْ وَلَا بِمُغَالَبَةٍ لَهُمْ ، إِنَّمَا كَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ سُلْطَانٌ قَبْلِي أَحَمَدُ الْمُسْلِمُونَ ، أَمَا عَلَى رِضًى وَأَمَا عَلَى كُرْهِ ، فَعَقَدَ لِي وَآخَرَ (3) مَعِيَ وَلَايَةً هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَهُ ، فِي أَعْنَاقِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخَذَ عَلَى مَنْ حَضَرَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ مِنَ الْحُجَّاجِ الْبَيْعَةَ لِي وَآخَرَ مَعِيَ ، فَأَعْطَوْا ذَلِكَ أَمَا طَائِعِينَ وَأَمَا كَارِهِينَ ، فَمَضَى الَّذِي عَقَدَ لَهُ مَعِيَ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيَّ عَلِمْتُ أَنِّي أَحْتَاجُ إِلَى اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا عَلَى الرِّضَى ، ثُمَّ

(I) يحيى بن أكثم انظر قطعة I4 .

(2) المأمون : انظر نفس القطعة رقم I4 .

(3) الآخر : يقصد بالآخر اخاه الامين .

كَفَرْتُ قَرَأْتُ أَنَّى مَتَى تَخَلَّيْتُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، اضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ ،
وَانْتَقَضَتْ أَطْرَافُهُ ، وَغَلَبَ الْهَرَجُ وَالْفِتْنَةُ ، وَوَقَعَ التَّنَازُعُ ، فَتَعَطَّلَتْ أَحْكَامُ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَمْ يَحْجِ أَحَدٌ بَيْتَهُ ، وَلَمْ يَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ
لَهُمْ سُلْطَانٌ يَجْمَعُهُمْ وَيُسَوِّسُهُمْ ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ لِمَظْلُومٍ مِنْ ظَالِمٍ .
فَقُمْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ حِيَاظَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَمَجَاهِدًا لِعَدُوِّهِمْ ، وَضَابِطًا لِسُبُلِهِمْ ،
وَأَخِذًا عَلَى أَيْدِيهِمْ ، إِلَى أَنْ يَجْتَمِعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى رَجُلٍ تَتَّفِقُ كَلِمَتُهُمْ عَلَيْهِ
عَلَى الرِّضَى بِهِ ، فَأَسْلَمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ ، وَأَكُونُ كَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْتَ ،
أَيُّهَا الرَّجُلُ ، رَسُولِي إِلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ . فَمَتَى اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَرَضُوا
بِهِ ، خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، وَقَامَ
قَامَرُ الْمَأْمُونُ عَلَى بْنِ صَالِحٍ بِأَنْ يَنْفِذَ فِي طَلَبِهِ مَنْ يَعْرِفُ مَقْصِدَهُ ، فَفَعَلَ
ذَلِكَ . ثُمَّ رَجَعَ الْمُرْسَلُ وَقَالَ : « وَجِئْتُ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى مَسْجِدٍ فِيهِ
خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا . فَقَالُوا لَهُ : لَقِيتُ الرَّجُلَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالُوا : فَمَا قَالَ لَكَ ؟
قَالَ : مَا قَالَ لِي إِلَّا خَيْرًا ، ذَكَرَ أَنَّهُ نَاطِرٌ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى أَنْ تَأْمَنَ
سُبُلُهُمْ ، وَيَقُومَ بِالْحَجِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَأْخُذَ لِمَظْلُومٍ مِنَ الظَّالِمِ ،
وَلَا يُعْطَلُ الْأَحْكَامُ فَإِذَا رَضِيَ الْمُسْلِمُونَ بِرَجُلٍ سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُ .
قَالُوا : مَا نَرَى بِهَذَا بَأْسًا . وَافْتَرَقُوا » . فَأَقْبَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى يَحْيَى فَقَالَ :
كَفِينَا مَوْوَنَةً هَؤُلَاءِ (4) بِأَيْسَرِ الْخَطْبِ . فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْهَمَكَ ،
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الصَّوَابَ وَالسَّدَادَ فِي الْقَوْلِ .

مروج الذهب

(4) هؤلاء : ان هؤلاء خوارج وسميت هذه الطائفة بهذا الاسم لخروجهم
من صفوف على كرم الله وجهه اثر التحكيم الذي كان بعد واقعة
صفين ورايهم في الخلافة انه يستحقها من اجتمعت فيه الخصال
المعمودة ولو كان عبدا حبشيا اي ان الخلافة لا تورث (انظر كتاب
ضحى الاسلام ج. 3).

(115) مناظرة في الشعر

وَصَلَ إِلَى حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ (I) رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ يُعْرَفُ بِالْمُبِجِّثِ،
وَكَانَ يُنْقِرُ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ بِمَا لَمْ يَدْفَعْهُ الْخَصَمُ وَلَا يَنْكُرُهُ الْوَهْمُ .
فَتَلَقَّاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِالْيَمِينِ ، وَأَعْجَبَ بِهِ إِعْجَاباً شَدِيداً . فَقَالَ يَوْمًا : أَخْطَأَ
امْرُؤُ الْقَيْسِ (2) فِي قَوْلِهِ : (طويل)

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّيَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزَّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كَرِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَهَذَا مَعْدُولٌ عَنْ وَجْهِهِ لَا شَكَّ فِيهِ . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كَرِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزَّقَّ الرُّوِّيَّ لِلدَّيَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
فَيَقْتَرِنَ ذِكْرُ الْحَيْلِ بِمَا يُشَاكِلُهَا فِي الْبَيْتِ كُلِّهِ، وَيَقْتَرِنَ ذِكْرُ الشَّرْبِ
وَاللَّهُوِّ بِالتَّسَاءِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ، لِلدَّيَّةِ فِي الشَّرْبِ أَطْبَعَ مِنْهُ فِي الرُّكُوبِ .
فَبِهِتَ الْحَاضِرُونَ وَاهْتَزَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَقَالَ : هَذَا التَّهْدِي وَحَقُّ أَبِي !

-
- (I) سيف الدولة : هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي صاحب حلب، كان ملكاً شجاعاً واديباً محباً لجيد الشعر، وقد مدحه المتنبي . مات سنة 352 هـ . 964 م
- (2) امرؤ القيس : هو الشاعر الجاهلي المشهور وصاحب المعلقة التي مطلعها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . الخ
- (3) سبأ الخمر : اشتراها ليشربها - والزق الروي : القرية المملوءة .

فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِلْمُبَحِّثِ : أَنْتَ أَخْطَأْتَ ، وَطَعَنْتَ عَلَى الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ تَعَمَّدْتَ؟ فَقَالَ سَيِّفُ الدَّوْلَةِ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ : قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى» (4) ، وَعَلَى قِيَاسِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ : «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَظْمَأُ وَلَا تَعْرَى فِيهَا وَلَا تَصْحَى» ، إِنَّمَا عَطَفَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ بِالْوَاوِ الَّتِي لَا تُوجِبُ تَعْقِيْباً وَلَا تَرْتِيبُ تَرْتِيباً . فَحَجَلَ وَانْقَطَعَ .

ذيل زهر الادب



(4) تضحى : ضحى : برز للشمس فاصابته - ضحيت الليلة : لم يكن فيها غيم .

(116) بين اندلسي ومصري

قَالَ الزَّيْدِيُّ (I) : حَدَّثَنِي قَاضِي الْقَضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ (2) قَالَ : أَتَيْتُ ابْنَ النَّحَّاسِ (3) فِي مَجْلِسِهِ بِمِصْرَ، فَأَلْفَيْتُهُ يُعَلِّي، فِي أَخْبَارِ الشَّعْرَاءِ، شِعْرَ قَيْسِ بْنِ مَعَاذِ الْمَجْنُونِ (4) حَيْثُ يَقُولُ: (طويل)

خَلِيلِي هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ تَبْكِي عَلَى نَجْدٍ لَعَلِّي أَعِينَهَا
قَدْ أَسْلَمَهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً مَطْوُوقَةً بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينَهَا
تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرَانَةٍ يَكَادُ يَدَيَّهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينَهَا

فَقُلْتُ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَاذَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - بَاتَا يَصْنَعَانِ ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ يَا أَنْدَلُسِي ؟ فَقُلْتُ : بَاتَتْ وَبَانَ قَرِينُهَا . فَسَكَتَ، وَكُنْتُ ذَهَبْتُ إِلَى الْإِتِّسَاجِ مِنْ نُسَخَتِهِ «كِتَابُ الْعَيْنِ» (5). فَلَمَّا قَطَعَ بِي قِيلَ لِي : انْتَسِخْ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ وَلَادٍ . فَقَصَّدْتُهُ فَلَقِيتُ رَجُلًا كَامِلَ الْعِلْمِ حَسَنَ الْمُرُوءَةِ وَسَأَلْتُهُ الْكِتَابَ فَأَخْرَجَهُ إِلَيَّ. ثُمَّ تَنَدَّمَ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا بَلَغَهُ إِبَاحَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْكِتَابَ لِي ، وَعَادَ إِلَيَّ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْهُ .

معجم الادباء

(I) الزبيدي : محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي النحوي اللغوي ، سكن قرطبة وكان مؤدب اولاد الحكم بن عبد الرحمن الناصر . مات سنة 379 هـ .

(2) المنذر بن سعيد البلوطي : تقدمت ترجمته في قطعة رقم 39
(3) ابن النحاس : احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من اهل مصر رحل الى بغداد فاخذ عن علمائها ثم رجع الى بلاده مات سنة 337 هـ .
(4) قيس بن معاذ : ويقال قيس بن الملوح العامري ، ويعرف بمجنون ليلى - يقال انه عاش في عهد بني امية ، وبعض اهل النقد يرون ان قصته موضوعة .

(5) كتاب العين : قاموس وضعه الخليل انظر - ترجمته ص. II2 .

117 (مناظرة بين مسلم ونصراني في الإعجاز

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَشِيْقٍ (I)، فِي كِتَابِ الرَّسَائِلِ وَالْوَسَائِلِ . كُنْتُ بِمَدِينَةِ مُرْسِيَّةٍ - جَبَرَهَا اللَّهُ - وَكَانَ قَدْ وَرَدَ عَلَيْهَا ، مِنْ قِبَلِ طَاغِيَةِ الرُّومِ ، جَمَاعَةٌ مِنْ قَسِيْسِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ ، شَأْنُهُمُ الْإِنْقِطَاعُ فِي الْعِبَادَةِ بِزَعْمِهِمْ ، وَالنَّظَرُ فِي الْعُلُومِ ، مُشَرِّبُونَ لِلنَّظَرِ فِي عُلُومِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْجَمَتَهَا بِلِسَانِهِمْ ، وَلَهُمْ حِرْصٌ عَلَى مُنَاطَرَةِ الْمُسْلِمِينَ لِقَصْدِ ذَمِيمٍ فِي اسْتِمَالَةِ الضُّعَفَاءِ . وَكُنْتُ أَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيِ وَالِدِي ، وَأَنَا كَهْلٌ ، لِكُتُبِ الْوَتَائِقِ وَعُقُودِ الْأَحْكَامِ . فَوَجِبَتْ لِمُسْلِمٍ عَلَى نَصْرَانِي يَمِينٌ ، وَأَمَرْتُ أَنَا وَشَاهِدٌ آخَرٌ بِالْحُضُورِ لِيُنْتَقَاضَاهَا الْمُسْلِمُ مِنْهُ عَلَى مَا يَجِبُ ، حَيْثُ يُعْظَمُ النَّصْرَانِي دِينَهُ . فَتَوَجَّهْنَا مَعَهُ لِكَنِيسَةِ يُعْظَمُونَهَا ، وَهِيَ مُجْتَمِعُ أَوْلِيَّكَ الرُّهْبَانِ ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ قَصْدِنَا اسْتَدْعَانِي قَسِيْسٌ مِنْهُمْ ، فَصِيحَ الْإِلْسَانِ ، وَأَخَذَ مَعِيَ فِي الْكَلَامِ وَالْمَذَاكِرَةِ ، إِلَى أَنْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى الْمُنَاطَرَةِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَفِي بَيْتِي الْحَرِيرِيِّ (2) بِأَنْهُمَا مِنَ الْإِعْجَازِ ، حَيْثُ لَمْ يُعَزَّزَا بِثَالِثٍ وَهُمَا : (سريع)

سِمٌ سِمَةٌ تُحَمَّدُ أَتَارُهَا وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سِمْسِمَهُ (3)
وَالْمَكْرَمَهُمَا اسْطَعَّتْ لَا تَأْتِيهِ لِنَقْتَنِي السُّؤْدَدَ وَالْمَكْرَمَهُ

(I) ابن رشيق : ان ابن رشيق هذا غير ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب «العمدة»، لان ابا هذا الاخير كان صياغا. ومات ابن رشيق القيرواني بصقلية سنة 456 هـ. قبل ولادة الحريري .

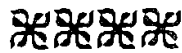
(2) الحريري : هو ابو القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . مات سنة 516 هـ. 1122 م.

(3) سمسمة : حبة الجلجلان والبيتان المذكوران في المقامة الحلبية رقم 46

أَطَالَ الْكَلَامَ بِتَأْدَبٍ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَفِي إِعْجَازِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ. قَالَ:
وَأَخَذَتْ أُبْدَى لَهُ الْفَرْقَ ، بِطَرِيقِ الْبَرَاهِينِ الْأُصُولِيَّةِ وَالْأَقَاوِيلِ الْعَلَمِيَّةِ
- وَخَاطِرِي مُشْتَغَلٌ بِالتَّفَرُّغِ لِلزِّيَادَةِ عَلَيْهِمَا - إِلَى أَنْ يَسَّرَ اللَّهُ بِزِيَادَةِ بَيْتٍ
وَاحِدٍ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَعَ هَذَا فَقَدْ زَادَ النَّاسُ عَلَى الْبَيْتَيْنِ وَلَمْ يَغْفُلُوا عَنْهُمَا .
فَقَالَ : أَيْنَ هَذَا ؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا ادَّعَى هَذَا وَلَا ذَكَرَهُ. فَقُلْتُ لَهُ :
أَنَا أَذْكُرُ بَيْتًا ثَالِثًا لَا أَذْكُرُ الْآنَ قَائِلَهُ ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ :

وَالْمَهْرُ، مَهْرَ الْحُورِ، وَهُوَ التَّقَى بَادِرٌ بِهِ الْبُكْرَةُ وَالْمَهْرَمَةُ (4)
فَلَمَّا سَمِعَهُ وَأَعَدَّتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى فَهِمَهُ، فَكَأَنَّهَا الْقَمْنَةُ حَجْرًا، وَرَأَيْتُ فِيهِ
مِنَ الْإِنْكِسَارِ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَاخِذِ الْأُصُولِيَّةِ. ثُمَّ أَخَذَ
فِي الشَّنَاءِ عَلَى سَهْوٍ وَأَصْحَابِهِ .

الحديقة ج 10 ص 210



(4) والمهرمة : الشيخوخة ، ومعنى البيت : اذا اردت ان يجازيك الله
بالحور فأد مهرها، وهى التقوى وعجل بها ايام الصبا وايام
الشيخوخة .

فائدة : فى كتاب «مجمع البحرين» لناصيف اليازجى ابيات لا تستحيل
بالانعكاس أى تقرأ طردا وعكسا ولا تتغير معانيها.

(118) في النيز

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَّانِ الْيَحْصَبِيُّ (I) : دَخَلْتُ عَلَى زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَغْلَبِيِّ (2) فَأَصْبَتُهُ جَالِسًا ، وَعِنْدَهُ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ (3) ، وَأَبُو مُحَرِّزٍ (3) ، وَهُمَا يَتَنَاطَرَانِ فِي النَّبِيدِ الْمُسْكِرِ ، وَأَبُو مُحَرِّزٍ يَذْهَبُ إِلَى تَحْلِيلِهِ ، وَأَسَدٌ يَذْهَبُ لِتَحْرِيمِهِ . فَلَمَّا قَعَدْتُ قَالَ لِي زِيَادَةُ اللَّهِ : مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ عَلِمْتُ سُوءَ رَأْيِي فِيهِ ، وَقَاضِيَاكَ يَتَنَاطَرَانِ بِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَقَالَ لِي : نَاطِرُنِي أَنْتَ وَدَعَهُمَا . ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : اسْكُنَا ، وَقَالَ لِي : مَا تَقُولُ ؟ فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، كَمْ دِيَّةُ الْعَقْلِ ؟ فَقَالَ : وَمَا هَذَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَقُلْتُ : بِجَوَابِكَ يَنْتَظِمُ سُؤَالِي . فَقَالَ : دِيَّةُ الْعَقْلِ أَلْفُ دِينَارٍ ،

-
- (I) عبد الله بن حسان اليحصبي : كان ممن سمعوا الحديث عن عبد الرحمن بن زياد ومالك بن انس . مات سنة 229 هـ . 843 م
- (2) زيادة الله بن ابراهيم الاغلبى : هو ابن ابراهيم بن الاغلب الذى ارسله هارون الرشيد واليا على افريقية . وكان لبنى الاغلب شبه استقلال ، وعاصمتهم القيروان . مات سنة 201 هـ . 817 م
- (3) اسد بن الفرات : اعجمى الاصل ، قدم افريقية مع والده وسننه لا يتجاوز الاربعة اعوام - تعلم بالقيروان وتونس ، وام المشرق فسمع من الامام مالك بالمدينة ، ومن اصحاب ابى حنيفة بالعراق . وعرج فى رجوعه على مصر . ولى القضاء بالقيروان مشتركا فى ذلك مع القاضى ابى محرز الكنانى ، وكان بينهما شتات كبير وخلاف جسيم وصحب جند المسلمين الى صقلية . لى داعى ربه هناك فى ربيع الثانى سنة 213 هـ . (828 م.)

قُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ يَعْنِي الرَّجُلَ إِلَى مَا قِيَمْتُهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَيَبِيعُهُ بِزُجْجَةٍ
تُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ يَزُولُ وَيَرْجِعُ . فَقُلْتُ : بَعْدَ
مَا ذَا ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ؟ بَعْدَ أَنْ قَاءَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَكَشَفَ سَوَاتَهُ وَقَتَلَ
هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا . قَالَ لِي : صَدَقْتَ وَاللَّهِ صَدَقْتَ !

طبقات علماء افريقية ص. 88 ورياض النفوس ج. I ص 202



(119) كل وعذبه ! أو فائدة الغناء

قَالَ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ (I) : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْكَاتِبِ ، فَدَخَلَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ الْكَاتِبِ ، وَنَحْنُ فِي الْغِنَاءِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ . قَالَ إِسْحَاقُ : فَهَانَ عَلَيَّ وَخَفَّ فِي عَيْنِي . فَقُلْتُ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِهِ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قَصَدْتُ إِلَى أَرْقَى شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ وَأَلْيَنِهِ عَلَى الْأُذُنِ وَالْقَلْبِ ، وَأَظْهَرِهِ لِلشُّرُورِ وَالْفَرَجِ ، وَأَنْفَاهُ لِلْهَمِّ وَالْحُزَنِ ، وَمَا لَيْسَ لِلْجَوَارِحِ مِنْهُ مُؤَنَّةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنَّمَا يَقْرَعُ السَّمْعَ وَهُوَ مِنْهُ عَلَى مَسَافَةٍ ، فَتَطْرِبُ لَهُ النَّفْسُ ، فَذَمَّتْهُ ؟! وَلَكِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : لَا يَجْتَمِعُ فِي رَجُلٍ شَهْوَةٌ كُلِّ لَذَّةٍ . وَبَعْدُ فَإِنَّ شَهْوَةَ كُلِّ رَجُلٍ عَلَى قَدْرِ تَرْكِيبِهِ وَمَزَاجِهِ . قَالَ : أَجَلٌ أَمَّا أَنَا فَالطَّعَامُ الرَّقِيقُ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَاءِ ، فَقُلْتُ : أَيْ وَاللَّهِ وَلَحْمُ الْبَقَرِ وَالْجَوَامِيسِ وَالنَّيُوسِ الْجَبَلِيَّةِ بِالْبَادِنَجَانِ الْمُبَرَّرِ أَيْضًا تُقَدِّمُهُ ؟! فَقَالَ : الْغِنَاءُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ وَقَدْ كَرِهَهُ أَقْوَامٌ . فَقُلْتُ : فَاَلْمُخْتَلَفُ فِيهِ أَطْلُقُهُ لَنَا حَتَّى تَجْمَعُوا عَلَى تَحْرِيمِهِ . أَعْلَمْتُ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّ الْأَوَائِلَ كَانَتْ تَقُولُ : مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مَاتَ . قَالَ : اللَّهُمَّ لَا تُسَمِّعْنَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِذَنْ قَنُوتَ . فَاسْتَظَرَفْتُهُ فِي هَذِهِ الْمَلْفِظَةِ . وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَشَغِلَ عَنْ دَمِّ الْغِنَاءِ .

الامتناع والموانسة ج 3 ص 80

(I) اسحاق الموصلي : (150 - 230 هـ . 768 - 850 م .) مغني الرشيد ، وكان من العلماء باللغة والاشعار واخبار الشعراء وايام الناس - وكان له يد طولى فى الحديث والفقه وعلم الكلام - وكان المامون يقول : «لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس واشتغاره بالغناء ، لوليت القضا فانه اولى واعف من هؤلاء القضاة» .

الباب الرابع

الفصل الرابع

الاعتراف برجال العلم والادب

قال تعالى : « وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ »

مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : « لَا يَجْتَمِعُ الْأَدَبُ وَالذَّهَبُ » . حَقًّا إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ تَرَاجِمَ أَدَبَاءَ وَعُلَمَاءَ، حَالَفَهُمُ الْخُمُولُ وَالْبُؤْسُ وَالْفَقْرُ الْمَدْقَعُ، وَأَخْبَارَ شُعْرَاءَ أَهْمِلُوا وَحُطِّمُوا أَوْ كَانَ السِّجْنُ مَأْوَاهُمْ، لِعَثْرَةِ بِالْلسَانِ أَوْ وَشَايَةِ مَنْ حَاسِدٍ . وَلَكِنْ لَا يَنْكُرُ مُنْكَرٌ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ اتَّصَلُوا بِذَوَى الْجَاهِ حُظُّوا عِنْدَهُمْ، فَأَعْدَقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَالُ، وَزَيَّنَتْ بِهِمُ الْمَجَالِسُ، وَأُقِيمَتْ لَهُمْ حَفَلَاتُ التَّكْرِيمِ فَعَاشُوا بِفَضْلِ أَدَبِهِمْ أَوْ عِلْمِهِمْ، مَقْبُولَةً إِرْشَادَاتِهِمْ، مَسْمُوعَةً تَشْفَعَاتِهِمْ، مَطْلُوبَةً مُؤَلَّفَاتِهِمْ، رَاتِعِينَ فِي بُحْبُوهَةِ الْهَنَاءِ وَالسُّرُورِ، مُتَمَتِّعِينَ بِأَطْيَابِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَاضِينَ مُرْضِيَيْنَ «وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيدًا تَقِيدُ» .

المراجع

كتب الطبقات وكتب الآداب وبالاخص :

- (1) تاريخ الآداب لجرجى زيدان
 - (2) تاريخ الآداب العربية تأليف ليف من الاساتذة اليسوعيين.
 - (3) مجموعة الروائع نفوذ افرام البستاني
 - (4) ادباء العرب لبطرس البستاني .
- وعلى من يريد ان يعرف الادباء الذين اصبحوا ولصروف الدهر هدفاً ان يقرأ كتاب «البؤساء في عصور الاسلام» بقلم محمود كامل فريد . وكتاب «ادباء السجون» لعبد العزيز الحليفي .

(120) حماد الراوية وهشام بن عبد الملك

رَوَى عَنْ حَمَادٍ (I) أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (2)، وَكَانَ أَخُوهُ هِشَامُ (3) يَجْفُونِي. فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ وَأَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى هِشَامٍ خِفْتُهُ فَمَكَّثْتُ فِي بَيْتِي سَنَةً .. ثُمَّ خَرَجْتُ وَصَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ فِي الرُّصَافَةِ ، وَإِذَا شُرَاطِيَانِ قَدْ وَقَفَا عَلَيَّ فَقَالَا : يَا حَمَادُ أَجِبِ الْأَمِيرَ يَوْسُفَ بْنَ عُمَرَ (4). فَاسْتَسَلَّمْتُ، وَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْأَمِيرِ رَمَى إِلَيَّ كِتَابًا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ هِشَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عُمَرَ. أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَأَبْعَثْ إِلَى حَمَادِ الرَّأْوِيَةِ مَنْ يَأْتِيكَ بِهِ غَيْرَ مَرْوُوعٍ وَلَا مُتَمَتِّعٍ (مُكْرَهٍ)، وَادْفَعْ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ، وَجَمَلًا مَهْرِيًّا يَسِيرُ عَلَيْهِ اثْنَتَى عَشْرَةَ لَيْلَةً إِلَى دِمَشْقٍ». فَأَخَذْتُ الدَّيْنَانِيرَ ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا جَمَلٌ مَرْحُولٌ (5) ، فَرَكَبْتُهُ وَسِرْتُ اثْنَتَى عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى وَافَيْتُ بَابَ هِشَامٍ. فَاسْتَأْذَنْتُ، فَأِذْنِي لِي، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي دَارِ قُورَاءٍ (6) ، مَفْرُوشَةً بِالرَّخَامِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ مَفْرُوشٍ بِالرَّخَامِ، بَيْنَ كُلِّ رُحَامَتَيْنِ قُضِيبٌ ذَهَبٍ. وَهِشَامُ جَالِسٌ عَلَى طِنْفِسَةٍ حُمْرَاءَ، وَعَلَيْهِ رِثَابٌ خَزَّ حُمْرٍ، وَقَدْ تَضَمَّنَّ بِالْمُسْكِ وَالْعَنْبَرِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ

(I) حماد بن ميسرة بن المبارك الكوفي المعروف بالراوية لسعة علمه بايام العرب واخبارها واشعارها مات في 151 هـ. وقيل 155 .

(2) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز توفى سنة 105 هـ. 724 م.

(3) هشام بن عبد الملك ولي بعد يزيد اخيه مات سنة 125 هـ. 743 م.

(4) يوسف بن عمر : هو امير الكوفة اذ ذاك

(5) مرحول : عليه الرحل

(6) قوراء : واسعة .

مِسْكٌ مَفْتُوتٌ، فِي أَوَانِي ذَهَبٍ، يُقَلِّبُهُ بِيَدِهِ فَيَفُوحُ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ .
 فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَاسْتَدْنَانِي، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَبَّلْتُ رِجْلَهُ، فَلِذَا جَارِيَتَانِ
 لَمْ أَرِ مِثْلَهُمَا قَطُّ، وَفِي أُذُنَي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حَلَقَتَانِ ، فِيهِمَا لَوْلُؤَتَانِ
 تَتَقَدَّانِ فَقَالَ لِي: أَتَدْرِي فِيمَا بَعَثْتُ لَكَ؟ قُلْتُ لَا. قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِسَبَبِ بَيْتِ
 خَطَرَ بَيْتَالِي، لَا أَعْرِفُ قَائِلَهُ، وَهُوَ (خَفِيف)

وَدَعَوَا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيِّنَةٌ فِي يَمِينِهَا لِإِبْرِيْقٍ
 فَقُلْتُ : هَذَا يَقُولُهُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ الْعَبَادِيُّ (7) فِي قَصِيدَةٍ . قَالَ :
 فَأَنْشِدْنِيهَا . فَأَنْشَدْتُ :

فَكَرَّ الْعَاذِلُونَ فِي رَضِيحِ الصَّبَبِ — حَجَّ يَقُولُونَ لِي أَلَّا تَسْتَفِيْقُ ؟ النِّخ
 فَطَرَبَ هِشَامٌ ثُمَّ قَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ . قُلْتُ : كَائِنَةٌ مَا كَانَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ،
 قُلْتُ : إِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ . فَقَالَ : هُمَا جَمِيعًا لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَالُهُمَا . وَزَادَ
 مَالًا كَثِيرًا ، فَأَخَذْتُ الْجَمِيعَ وَانْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي .

معجم الادباء



(7) عدي بن زيد: انظر قطعة 59 .

(121) الهى على طلب العلم وتشجيع أهله

لما خَرَجَ الرَّشِيدُ (I) إِلَى الْحَجِّ، اصْطَحَبَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ (2)،
وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَنَاسِكَهِ، رَغِبَ أَنْ يَرَى الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ (3)، وَكَانَ يَتَّبَعُهُ
عَنْ رِجَالِ الْحَكَمِ. فَتَلَطَّفَ ابْنُ الْمُبَارَكِ حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُمَا. وَجَرَى بَيْنَهُمَا حَدِيثٌ
طَلِيٌّ (4) يُطِيبُ النَّفُوسَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ قَامَ هَرُونَ لِلْخُرُوجِ، فَقَالَ الْفَضِيلُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ قَدْ ضَاعَ قَبْلَكَ (5) كَمَا ضَاعَ
عِنْدَنَا. فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَجَلُ إِنَّهُ كَمَا قُلْتَ. فَلَمَّا قَدِمَ الرَّشِيدُ الْعِرَاقَ، كَانَ
أَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ فِيهِ النَّظَرَ أَنْ كَتَبَ إِلَى الْأُمَّصَارِ كُلِّهَا وَإِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ :
«...أَمَّا بَعْدُ فَاَنْظُرُوا مَنْ التَّزَمَ الْأَذَانَ عِنْدَكُمْ فَاكْتُبُوهُ فِي أَلْفِ دِينَارٍ
مِنَ الْعَطَاءِ، وَمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَعَمَّرَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ،
وَمَقَاعِدَ الْأَدَبِ فَاكْتُبُوهُ فِي أَلْفِي دِينَارٍ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَوَى
الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ فِي الْعِلْمِ، وَاسْتَبَحَرَ فَاكْتُبُوهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنَ الْعَطَاءِ.
وَلْيَكُنْ ذَلِكَ بِامْتِحَانِ الرِّجَالِ السَّابِقِينَ لِهَذَا الْأَمْرِ، مِنَ الْمَعْرُوفِينَ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ
عَصْرِهِمْ ، وَفَضَلَاءِ دَهْرِهِمْ. فَاسْمَعُوا قَوْلَهُمْ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَقُولُ : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ. قَالَ ابْنُ

(I) الرشيد تقدمت ترجمته قطعة 46 .

(2) عبد الله بن المبارك: كان يلقب بـفقيه المشرق والمغرب - عاصر
الامام مالك .

(3) الفضيل بن عياض : كان عالما ورعا زاهدا .

(4) الطلى : اللذيذ .

(5) قبلك : فى الناحية التى انت فيها اى فى العراق .

المبارك: فَمَا رَأَيْتَ عَالِمًا ، وَلَا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ ، وَلَا سَابِقًا لِلْخَيْرَاتِ ، وَلَا حَافِظًا
لِلْمَحَرَّمَاتِ ، فِي أَيَّامٍ بَعْدَ أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَيَّامِ الْخُلَفَاءِ
وَالصَّحَابَةِ ، أَكْثَرَ مِنْهُمْ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ وَأَيَّامِهِ . لَقَدْ كَانَ الْغُلَامُ يَجْمَعُ الْقُرْآنَ
وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ . وَلَقَدْ كَانَ الْغُلَامُ يَسْتَبْجِرُ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ ، وَيَرَوِي
الْحَدِيثَ ، وَيَجْمَعُ الدَّوَاوِينَ ، وَيُنَاطِرُ الْمَعْلَمِينَ ، وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .

اخلاق العلماء ص. 152



(122) الكسائي وولدا الرشيد

كَانَ الْكَسَائِيُّ (I) يُؤَدِّبُ الْأَمِينَ (2) وَالْمَأْمُونَ (3) ابْنَي هَارُونَ الرَّشِيدِ. فَأَرَادَ يَوْمًا التَّهَوُّضَ مِنْ عِنْدِهِمَا، فَأَبْتَدَرَا إِلَى نَعْلِهِ لِيَقْدِمَاهَا لَهُ. فَتَنَازَعَا أَيُّهُمَا يَقْدِمُهَا لَهُ، ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يَقْدِمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا. فَلَمَّا رُفِعَ الْخَبَرُ إِلَى الرَّشِيدِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْكَسَائِيُّ، قَالَ لَهُ: مَنْ أَعَزَّ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا أَعْلَمُ أَعَزَّ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: بَلَى، بَلْ أَعَزَّ النَّاسُ مَنْ إِذَا تَهَضَّ كَقَاتِلٍ عَلَى تَقْدِيمِ نَعْلِهِ لَهُ وَلِيَا عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يَرْضَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَقْدِمَ نَعْلًا. فَأَخَذَ الْكَسَائِيُّ يُعْتَذِرُ حَاسِبًا أَنَّهُ أَخْطَأَ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: كَوِّمْنَعْتُهُمَا ذَلِكَ لِأَوْجَعْتِكَ لَوْمًا وَعَتْبًا وَأَلْزَمْتُكَ ذَنْبًا. وَمَا وَضَعَ مَا صَنَعَا مِنْ شَرَفِهِمَا، بَلْ رَفَعَ مِنْ قَدَرِهِمَا، وَبَيَّنَّ عَنْ جَوْهَرِهِمَا. فَلَيْسَ يَكْبُرُ الْمَرْءُ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا، عَنْ ثَلَاثِ: تَوَاضَعُهُ لِسُلْطَانِهِ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِمُعَلِّمِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ عَوَّضْتُهُمَا مَا فَعَلَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَكَ عَشْرَةُ آلَافٍ عَلَى حُسْنِ أَدَبِكَ لَهُمَا. السَّمِيرُ الْمَهْدَبُ



-
- (*) يروى صاحب «معجم الادباء» نفس هذه الحكاية عن الفراء وابني المأمون.
 (I) الكسائي : تقدمت ترجمته قطعة 100 .
 (2) الامين : ولي الخلافة بعد ابيه - اشتهر بحبه للهو - وقعت بينه وبين اخيه منازعة ادت الى فتن عظيمة - مات مقتولا .
 (3) المأمون : تقدمت ترجمته قطعة 14 .

(123) مجمع علمي

لَمَّا أَعَادَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ (I) لِبَغْدَادَ عِمَارَتَهَا، بَسَطَ رُسُومًا لِلْفُقَرَاءِ ،
وَالْفُقَهَاءِ، وَالْمُقَبَّرِينَ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ (2)، وَالْمُحَدِّثِينَ، وَالنَّسَائِينَ وَالشُّعْرَاءِ،
وَالنَّحْوِيِّينَ، وَالْعَرُوضِيِّينَ، وَالْأَطِبَّاءَ، وَالْمُنَجِّمِينَ، وَالْحَسَّابَ، وَالْمُهَنْدِسِينَ .
وَأَفْرَدَ فِي دَارِهِ لِأَهْلِ الْخُصُوصِ وَالْحُكَمَاءِ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ، مَوْضِعًا يَقْرُبُ مِنْ
مَجْلِسِهِ، وَهُوَ الْحَجَرَةُ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الْحُجَّابُ. فَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِيهَا
لِلْمُفَاوَضَةِ، آمِنِينَ مِنَ السُّفَهَاءِ وَرِعَاعِ الْعَامَّةِ . وَأُقِيمَتْ لَهُمْ رُسُومٌ تَصِلُ
إِلَيْهِمْ، وَكَرَامَاتٌ تَتَّصِلُ بِهِمْ . فَعَاشَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ وَكَانَتْ مَوَاتَا، وَرَغِبَ
الْأَحْدَاثُ فِي النَّادِبِ وَالْأَشْيَاخِ فِي التَّأْدِيبِ، وَانْبَعَثَتِ الْقُرَائِحُ، وَنَفَقَتْ
أَسْوَاقُ الْفَضْلِ وَكَانَتْ كَاسِدَةً، وَأُخْرِجَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ، صُرِفَتْ
فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ، عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْ أَهْلِ
الْمِلَّةِ (3)، وَتَجَاوَزَتْهُمْ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ. وَأُذِنَ لِلْمُوزِيرِ نَصْرُ بْنُ هَارُونَ فِي عِمَارَةِ
الْبَيْعِ (4) وَالْأَدْبَرَةِ ، وَاطْلَاقِ الْأَمْوَالِ لِلْفُقَرَاءِ .

من كتاب تجارب الامم

(I) عضد الدولة : تقدمت ترجمته قطعة I8 .

(2) المتكلمون : انظر قطعة رقم I03 .

(3) اهل الملة : المسلمون .

(4) البيع : معايد اليهود مفردها بيعة .

(124) حبس أرضا للشعراء الغرباء

حكى أبو عبد الله محمد بن حبوس (I) الفاسي، شاعر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي (2)، قال : «دَخَلْتُ مَدِينَةَ شَلْب مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَلِي يَوْمَ دَخَلْتُهَا، ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَطْعَمْ فِيهَا شَيْئًا، فَسَأَلْتُ عَمَّنْ يُقْصِدُ فِيهَا، فَدَلَّنِي بَعْضُ أَهْلِهَا عَلَى رَجُلٍ يُعْرِفُ بِابْنِ الْمَلِجِ. فَعَمَدْتُ إِلَى بَعْضِ الْوَرَّاقِينَ فَسَأَلْتُهُ سِجَاءَهُ (3) وَدَوَاهُ، فَأَعْطَانِيهِمَا، فَكَتَبْتُ أَيْبَاتًا أَمْتَدَحُهُ بِهَا، وَقَصَدْتُ دَارَهُ فَلَمَّا هُوَ فِي الدَّهْلِيْزِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَحَّبَ بِي، وَرَدَّ عَلَيَّ أَحْسَنَ رَدٍّ، وَتَلَقَّانِي أَحْسَنَ لِقَاءٍ. وَقَالَ : أَحْسِبُكَ غَرِيبًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ طَبَقَاتِ النَّاسِ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ الْأَبْيَاتَ الَّتِي قُلْتُ. فَوَقَعَتْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْعٍ، فَأَدْخَلَنِي إِلَى مَنَزِلِهِ، وَقَدَّمَ إِلَيَّ الطَّعَامَ، وَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي، فَبِمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مُحَاضَرَةٍ مِنْهُ. فَلَمَّا آتَى الْإِنْصِرَافَ، خَرَجَ ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ عَبْدَانِ يُحْمِلَانِ صُنْدُوقًا حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ. فَفَتَحَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ سَبْعِمِائَةَ دِينَارٍ مُرَابِطِيَّةٍ (4)، فَدَفَعَهَا إِلَيَّ وَقَالَ : هَذِهِ لَكَ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ صَرَّةً فِيهَا أَرْبَعُونَ دِينَارًا، وَقَالَ : هَذِهِ مِنْ عِنْدِي. فَتَعَجَّبْتُ مِنْ كَلَامِهِ، وَأَشْكَلُ عَلَى جِدِّهِ، وَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ هَذِهِ لِي ؟ فَقَالَ لِي : إِنِّي أَوْقَفْتُ أَرْضًا مِنْ

(I) ابن حبوس الفاسي : كان عالما محققا وشاعرا مفلحا مات سنة 570 هـ.

(2) عبد المؤمن بن علي : تقدمت ترجمته قطعة 73 .

(3) السجاءة من الكتاب : ما يشد به ج اسحية والواحدة سجاءة .

(4) مرابطية : نسبة الى دولة المرابطين .

بُجْمَلَةٍ مَالِي لِلشُّعْرَاءِ، غَلَّتْهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ دِينَارٍ، وَمُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ لَمْ يَأْتِنِي
أَحَدٌ لِيَتَوَالِيَ الْفِتْنِ الَّتِي دَهَمَتِ الْبِلَادَ، فَاجْتَمَعَ هَذَا الْمَالُ حَتَّى سَبَقَ إِلَيْكَ.
وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ حَرِّ مَالِي، يَعْنِي الْأَرْبَعِينَ دِينَارًا. فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ جَائِعًا فَقِيرًا،
وَخَرَجْتُ عَنْهُ شَبْعَانًا غَنِيًّا! (5)

المعجب ط سلا ص 128



(5) شبعانا : الاصح شبعان بدون تنوين لانه ممنوع من الصرف وقد
نون هنا للازدواج وقد قال تعالى . «غضبان أسفا» .

(125) الحكم بن الناصر والفقيه أبو ابراهيم

حكى الفقيه أبو القاسم مفرج بن محمد بن مفرج المشاور (1) فقال كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم (2) رحمه الله، فيمن يختلف إليه للتفقه والرواية . فأتى لعنده بالمسجد المنسوب لأبي عثمان بجوفى قصر قرطبة، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة، وذلك بين الصلاتين (3)، إذ دخل عليه خصي من أصحاب الرسائل، جاء من عند الخليفة الحكم (4). فوقف وسلم، وقال له : يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله، فإنه ينتظرك، وقد أمرت بإعجالك . فقال له : سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين، ولا عجلة، فارجع إليه، وفقه الله، وعرفه عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله عز وجل، مع طلاب العلم، أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله، صلى الله عليه وسلم . فهم يقيدونه عني، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المهود لهم في طاعة الله ورضاه، فذلك أوكد من مسيرى إليه الساعة . فإذا انقضى أمر من اجتمع إلي من هؤلاء المحتسبين (5) في ذات الله، الساعين في مرضاته، مشيت إليه إن شاء الله تعالى . فمضى الخصي يهينهم متضاجراً من توقفه، ثم عاد ساكن الطيش، فقال: يا فقيه، أنهيت قولك إلى أمير المؤمنين أبقاه الله، فأصغى إليه وهو يقول لك: جازاك الله خيراً عن الدين،

(1) المشاور : فقيه يشاوره القضاة في المضلات والنوازل الصعبة

(2) أبو إبراهيم : كان من اكابر علماء المالكية .

(3) الصلاتين : صلاة الظهر وصلاة العصر .

(4) الحكم : انظر قطعة 125 .

(5) المحتسبون : الذين يعلمون او يتعلمون حسبة اي راجين جزاءهم من الله

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمْتَعَهُمْ بِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ أَوْعَيْتَ
فَامْضِ إِلَيْهِ رَاشِدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَبْقَى مَعَكَ حَتَّى يَنْقَضِيَ
شُغْلُكَ. فَقَالَ لَهُ: حَسَنٌ جَمِيلٌ ، وَلَكِنِّي أَضْعَفُ عَنِ الْمَشْيِ إِلَى بَابِ السُّدَّةِ،
وَيَضَعُفُ عَلَيَّ رُكُوبُ دَابَّةٍ لِشَيْخُوخِي، وَضَعْفُ أَعْضَائِي، وَبَابُ الصَّنَاعَةِ الَّذِي
يَقْرُبُ إِلَيَّ مِنْ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْمَكْرَمِ أَحْوَطُ لِي، وَأَرْفَقُ بِي، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ، أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنْ يَأْمُرَ بِفَتْحِهِ لَدْخُلٍ إِلَيْهِ مِنْهُ، هَوْنٌ عَلَى الْمَشْيِ،
وَأَحَبُّ أَنْ تَعُودَ فَتُنْهِئَ ذَلِكَ عَنِّي، حَتَّى تَعْرِفَ رَأْيَهُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ تَعُودُ إِلَيَّ.
فَلِئَنِّي أَرَاكَ فَتَى شَدِيدًا، فَكُنْ عَلَى الْخَيْرِ مُعِينًا. فَمَضَى ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ حِينٍ وَقَالَ:
يَأْفِقِيهِ أَجَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا سَأَلْتَهُ. ثُمَّ جَلَسَ الْخِصْيَ جَانِبًا حَتَّى أَكْمَلَ
أَبُو إِبْرَاهِيمَ مَجْلِسَهُ بِأَكْمَلٍ وَأَنْسَجَ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ .. فَلَمَّا انْقَضَتْ عَنْهُ
قَامَ إِلَى دَارِهِ، وَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكِيمِ... فَتَعَمَّدَنَا تِلْكَ
الْعَشِيَّةَ، الْمُرُورَ بِهَذَا الْبَابِ الْمَعْهُودِ إِنْغِلَافُهُ، فَوَجَدْنَاهُ مَفْتُوحًا قَدْ حَفَّهُ الْخَدَمُ
وَالْأَعْوَانُ مُنْزَعَجِينَ ، مَا بَيْنَ كُنَاسٍ وَفَرَاشٍ ، فَاشْتَدَّ عَجَبُنَا لِذَلِكَ وَطَالَ
تَحَدُّثُنَا عَنْهُ .

ازهار الرياض ج I ص 285



(126) ابن عبدون عند الوزير أبي مروان

قَالَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ (I) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الْقَلَاءِ : بَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيزِ دَارِنَا، وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمْرَتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَغَانِي، فَجَاءَ النَّاسِخُ بِالْكَرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي كُتِبَتْ مِنْهُ لِأَقَابِلَ مَعَكَ بِهِ؟ قَالَ: مَا أُتَيْتُ بِهِ مَعِيَ. فَبَيْنَمَا أَنَا مَعَهُ فِي ذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ الدَّهْلِيزُ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَدِيءٌ (2) الْهَيْئَةِ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرَهَا صُوفٌ، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَاقَتْهَا بِغَيْرِ لِقَافٍ لَهَا، فَحَسِبْتُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. فَسَلَّمْتُ وَقَعَدْتُ، وَقَالَ: يَا بَنِي، اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ. هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكَلُّفِ، حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ نَزْوَةَ الصَّبَا، وَخُشُونَةَ هَيْئَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ بَسَكْتُ عَنْتِي سَاعَةً وَقَالَ: مَا هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي بَأْيَدِيكُمَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: مَا سُؤَالُكَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ اسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ الْأَغَانِي. قَالَ: إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الْكَاتِبُ مِنْهُ؟ قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا، وَجَعَلْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَلَى سَبِيلِ السَّخْرِيَةِ وَالضَّحِكِ. فَقَالَ: وَمَا لِكَاتِبِكَ لَا يَكْتُبُ؟ قُلْتُ: طَلَبْتُ مِنْهُ الْأَصْلَ الَّذِي يَكْتُبُ مِنْهُ لِأَعَارِضَ بِهِ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ، فَقَالَ لِي: لَمْ أَجِءْ بِهِ مَعِيَ. فَقَالَ: يَا بَنِي خُذْ كَرَارِيسَكَ وَعَارِضَ، فَإِنِّي كُنْتُ

(I) أبو بكر محمد: هو من عائلة بنى زهر المشهورة وقد كان أكثر أفرادها حكماء وأطباء أجلاء ووزراء فضلاء. وأبو بكر أول من اشتهر من هذا البيت الكريم، كان عالما بالراي فاضلا جامعا للدراية والرواية، توفي بطلبيرة سنة 1030 م.
(2) بدىء الهيئة: قبيحها.

أَحْفَظُ هَذَا الْكِتَابَ فِي مُدَّةِ صِبَايَ. فَتَبَسَّمتُ مِنْ قَوْلِهِ، فَلَمَّا رَأَى تَبَسُّمِي قَالَ:
يَا بَنِي أُمِّسِكَ عَلَيَّ. فَأُمْسَكْتُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ، فَوَاللَّهِ مَا أَخْطَأَ وَאוَأَ وَلَا فَاءً .
قَرَأَ هَكَذَا نَحْوًا مِنْ كُرَاسَيْنِ، ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِي وَسْطِ السِّفْرِ وَآخِرِهِ، فَرَأَيْتُ
حِفْظَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً. فَاشْتَدَّ عَجَبِي، وَقُمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى
أَبِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِالْخَبَرِ، وَوَصَفْتُ لَهُ الرَّجُلَ. فَقَامَ كَمَا هُوَ مِنْ قُورِهِ، وَكَانَ مُلْتَفًّا
بِرِدَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ، وَخَرَجَ حَاسِرَ الرَّأْسِ، حَافِي الْقَدَمَيْنِ، لَا يَرْفُقُ عَلَى
نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُوسِعُنِي لَوْمًا حَتَّى تَرَامِي عَلَى الرَّجُلِ وَعَائِقَهُ،
وَجَعَلَ يُقْبِلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ اعْذِرْنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمَنِي هَذَا
الْجِلْفُ إِلَّا السَّاعَةَ، وَجَعَلَ يَسْبِيْنِي وَالرَّجُلُ يُخَفِّضُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: مَا عَرَفَنِي
وَأَبِي يَقُولُ: هَبْهُ مَا عَرَفَكَ، فَمَا عُدْرُهُ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ؟ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الدَّارَ،
وَأَكْرَمَ مَجْلِسَهُ؛ وَخَلَا بِهِ مُتَحَدِّثًا طَوِيلًا، ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ؛ وَأَبِي بَيْنَ يَدَيْهِ
حَافِيًا، حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ وَأَمَرَ بِدَابَّتِهِ الَّتِي يَرْكَبُهَا؛ فَأَسْرَجَتْ؛ وَحَلَفَ عَلَيْهِ
لِيَرْكَبْنَهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَلَمَّا انْفَصَلَ قُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ
الَّذِي عَظَّمْتَهُ هَذَا التَّعْظِيمَ؟ قَالَ لِي: اسْكُتْ وَيَحَكَ! هَذَا أَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ،
وَأِمَامُهَا وَسَيِّدُهَا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ. هَذَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِوَن (3)،
أَيْسَرُ مَحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِي؛ وَمَا حَفَظَهُ فِي ذِكَايَ حَاطِرِهِ وَجَوْدَةَ قَرِيحَتِهِ.

المعجب ص 5

(3) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون: وصفه صاحب المعجب بقوله: «الوزير
الكاتب الأبرع ذو الوزارتين» - له قصائد كثيرة في بنى المظفر الذين
ملكوا مغرب الأندلس بعد انقراض الدولة الأموية بها.

(127) أنصفرها لجودة شعرها

وَقَدَّتْ حَسَنَاتُهُ (I) التَّيَمِّيَّةُ بِنْتُ أَبِي الْحُسَيْنِ الشَّاعِرِ ، عَلَى عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (2) بِشِكَايَةٍ مِنْ عَامِلِهِ ، جَابِرُ بْنُ كَيْدٍ ، وَلِىِ الْبَيْرَةِ .
وَكَانَ الْحَكَمُ قَدْ وَقَعَ لَهَا ، بِخَطِّ يَدِهِ ، تَحْرِيرَ أَمْلَاكِهَا فَلَمْ يَفِدْهَا . وَدَخَلَتْ
إِلَى الْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : فَأَقَامَتْ بِفَنَائِهِ ، وَتَلَطَّفَتْ مَعَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، حَتَّى
أَوْصَلَتْهَا إِلَيْهِ . فَعَرَفَهَا وَعَرَفَ أَبَاهَا ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ : (طويل)

| | |
|---|--|
| إِلَى ذِي النَّدى وَالْمَجْدِ سَارَتْ رَكَائِبِي | عَلَى شَحَطٍ (3) تَصْلَى (4) بِنَارِ الْهَوَاجِرِ |
| لِيَجْبُرَ صَدْعِي ، أَنَّهُ خَيْرُ جَابِرٍ | وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذِي الظُّلَامَةِ جَابِرٍ |
| فَإِنِّي وَأَيْتَامِي بِقُبْضَةِ كَفِّهِ | كَذِي رِيشٍ أَضْحَى فِي مُخَالِبٍ كَاسِرٍ |
| جَدِيرٌ لِمِثْلِي أَنْ يُقَالَ مُرَوَّعُهُ | لَمُوتِ أَبِي الْعَاصِي (5) الَّذِي كَانَ نَاصِرِي |
| سَقَاهُ الْحَيَا (6) لَوْ كَانَ حَيًّا لَمَا اعْتَدَى | عَلَى زَمَانٍ بَاطِشٍ بَطِشَ قَادِرٍ |
| أَيَمَحُو الَّذِي خَطَّتْهُ يَمْنَاهُ جَابِرُ | لَقَدْ سَامَ بِالْأَمْلَاكِ إِحْدَى الْكَبَائِرِ |

(I) حسانة : قال عنها صاحب نفح الطيب : تأدبت وتعلمت الشعر .
فلما مات أبوها كتبت الى الحكم تمدحه وتشكو اليه حالها وهي اذ ذاك
بكر لم تتزوج . فلما وقف على شعرها استحسنته وامر لها باجراء
مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن .

(2) الحكم الاول : تقدمت ترجمته (قطعة I5)

(3) على شحط : على بعد

(4) تصلى : تحرق والهواجر ج هاجرة وهي اشتداد الحرارة فى وسط النهار

(5) ابو العاصي : هو الحكم

(6) الحيا هنا : المطر

وَلَمَّا فَرَّغَتْ رَفَعَتْ إِلَيْهِ خَطَّ وَالِدِهِ وَحَكَتْ جَمِيعَ أَمْرِهَا ، فَفَرَّقَ لَهَا وَأَخَذَ
خَطَّ أَبِيهِ فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ . وَقَالَ : «تَعَدَّى ابْنُ لَيْبِدٍ طَوْرَهُ حَتَّى رَامَ
نَقْضَ رَأْيِ الْحَكَمِ ، وَحَسَبْنَا أَنْ نَسْلُكَ سَبِيلَهُ بَعْدَهُ ، وَنَحْفَظَ ، بَعْدَ مَوْتِهِ ،
عَهْدَهُ . انْصَرَفِي يَا حَسَّانَةَ ، فَقَدْ عَزَلْتَهُ لَكَ» . ثُمَّ وَقَعَ لَهَا بِمِثْلِ تَوْقِيعِ أَبِيهِ
الْحَكَمِ . فَقَبَّلَتْ يَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهَا بِجَائِزَةٍ ، فَانْصَرَفَتْ وَبَعَثَتْ لَهُ بِقَصِيدَةٍ تَمْدَحُهُ
فِيهَا . (*)

نفع الطيب



(*) ذكر المقرئ عدة نساء من الادبيات فى كتابه: نفع الطيب .

(128) أبو بكر بن زهر ويعقوب المنصور

كَانَ أَبُو بَكْرٍ (I) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زُهْرٍ الطَّبِيبِ بِمَرَاكُشَ، وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ صَغِيرٌ بِإِسْبِيلِيَّةَ فَقَالَ مُتَشَوِّقًا إِلَيْهِ : (مُتْقَارِب)

وَلِي وَاحِدٌ مِثْلُ فَرِيحِ الْقَطَا صَغِيرٌ تَخَلَّفَ قَلْبِي لَدَيْهِ
وَأَفْرَدْتُ عَنْهُ ، فَيَا وَحْشَتِي لَذَاكَ الشَّخِصِ وَذَاكَ الْوَجِيهِ !
تَشَوَّقُنِي وَتَشَوَّقُتُهُ فَيُبْكِي عَمَلِي وَأَبْكِي عَلَيْهِ
وَقَدْ تَعَبَ الشُّوقُ مَا بَيْنَنَا فَمِنْهُ إِلَى وَمِنْهُ إِلَيْهِ

فَسَمِعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ (2) بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، فَأَرْسَلَ الْمُهَنْدِسِينَ إِلَى إِسْبِيلِيَّةَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْتَاطُوا عِلْمًا بِبَيْتِ ابْنِ زُهْرٍ وَحَارَتِهِ ، ثُمَّ يَبْنُوا مِثْلَهُ بِحَضْرَةِ مُرَاكُشَ . فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَبَنُوا الدَّارَ وَفَرَشَهَا بِمِثْلِ فَرَشِهِ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِثْلَ آلَاتِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَقْلِ عِيَالِ ابْنِ زُهْرٍ وَأَوْلَادِهِ وَحَشَمِهِ وَأَسْبَابِهِ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ ، ثُمَّ احْتَالَ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَرَأَاهُ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِبَيْتِهِ وَحَارَتِهِ ، فَاحْتَارَ لِذَلِكَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ نَائِمٌ ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَحْلَامٌ فَقِيلَ لَهُ : ادْخُلِ الْبَيْتَ الَّذِي يُشْبِهُ بَيْتَكَ . فَدَخَلَهُ فَإِذَا وَلَدُهُ الَّذِي تَشَوَّقَ إِلَيْهِ يَلْعَبُ فِي الْبَيْتِ ، فَحَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ . وَلَا يُعْبِرُ عَنْهُ . هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا !!
نفع الطيب

(I) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (انظر قطعة 126) وهو عين ذلك البيت الشهير ومصباحهم المنير ولد بإشبيلية ونشأ بها وتميز في العلوم وبالأخص في الطب - حظى عند الموحدين - وكانت اخته وبنته عالمتين بالطب وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور وتعالجهن - يقال انه مات مسموما سنة 596 هـ 1199 م.
(2) يعقوب المنصور الموحدى تقدمت ترجمته (قطعة 63)

(129) من هذا الكلام الذى اعذوب موده

كَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ (I) - وَهُوَ أَمِيرٌ - فَرَّطَ فِي أَمْرِ مَالِقَةَ (2) ،
فَخَذَلَهُ أَصْحَابُهُ وَأَخْرَجَ مِنْهَا. فَلَجَأَ إِلَى رَنْدَةَ (3) ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً تَحْتَ
مَوْجِدَةٍ (4) أَبِيهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ، يَسْتَعِظُهَا، قَصِيدَةً حَسَنَةً قَالَ فِيهَا : (بسيط)

إِنْ كُنْتُ فِي حَيْرَةٍ مِنْ جُرْمٍ مُجْتَرِمٍ فَإِنَّ عُدْرَكَ فِي ظِلْمَانِهَا قَمَرٌ
فَوَضَّ إِلَى اللَّهِ فِيمَا أَنْتَ خَائِفُهُ وَثِقْ بِمُعْتَصِدٍ (I) بِاللَّهِ يَغْتَفِرُ.. الخ

قَالَ أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّخْمِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ اللَّبَّانَةِ (5):
أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ، كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الشَّعْرَ، خَرَجَ مِنْهَا، لِنَيَّْةٍ مِنْهُ ،
إِلَى أَقْصَى حَيٍّ فِي الْعَرَبِ، فَأَوَى إِلَى خَيْمَةٍ وَلَاذَ بِذِمَّةِ رَاغٍ مِنْ رُعَاتِهِمْ. فَلَمَّا
تَوَسَّطَ الْقَمَرُ، وَهَجَعَ السَّامِرُ (6)، تَذَكَّرَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّادِيَّةَ (I) وَرَوَّنَقَهَا ،

(I) المعتمد بن عباد : ابو القاسم محمد بن عباد صاحب اشبيلية تولى الامر
بعد ابيه المعتضد بالله الذى كان قاضيا على تلك المدينة ثم استقل
بها أيام ملوك الطوائف. كان المعتمد أندى ملوك الاندلس راحة
وأرحبهم ساحة، فقصده الادباء والشعراء أفواجا - وله شعر حسن،
وهو الذى اعتقله الامير يوسف بن تاشفين بأغصات قرب مراکش
فتوفى بها سنة 488 هـ. (1096 م.)

(2) مالقة : مرسى فى الجنوب الشرقى من الاندلس .

(3) رندة : قرية غرب مالقة .

(4) موجدة : من وجد يجد عليه : غضب .

(5) ابن اللبانة : اصله من دانية - كان المعتمد يستعذب شعره ولما
نكب المعتمد وفى له ابن اللبانة ورحل اليه يؤنسه بشعره ويؤانسه،
ولما مات رثاه بقصيدة موجدة توفى فى 496 هـ. 1103 م.

(6) السامر : من سمر ، لم ينم وتحدث ليلا . ويقال له ايضا السمير .

فَطَفِقَ يُنْسِدُ الْقَصِيدَةَ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ وَأَشَجَّاهُ. فَمَا أَكْمَلَهَا حَتَّى رُفِعَ رِوَاقُ
خَيْمَةٍ عَنْ رَجُلٍ وَسِيمٍ ضَخْمٍ تَدَلَّ سَيْمًا فَضْلُهُ عَلَى أَنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِهِ. فَقَالَ :
يَا حَضْرِي حَيَّاكَ اللَّهُ ! لِمَنْ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي اعْتَذُذَبَ (7) مَوْرِدُهُ وَاخْضَوْضَلُ (8)
مَنْبَتُهُ، وَتَحَلَّاتٍ بِقِلَادَةِ الْحَلَاوَةِ بِكُرُهُ، وَهَدَرَ بِشَقْشَقَةِ الْجَزَالَةِ بِكُرُهُ (9)،
فَقَالَ : هُوَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ، يُعْرِفُ بِابْنِ عَبَّادٍ. فَقَالَ الْعَرَبِيُّ : أَظُنُّ
أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ إِلَّا حَظٌّ يَسِيرٌ وَنَصِيبٌ حَقِيرٌ، فَمَهْلُ
هَذَا الشَّعْرِ لَا يَقُولُهُ مَنْ شُغِلَ بِشَيْءٍ دُونَهُ. فَعَرَفَهُ الرَّجُلُ بِعَظَمِ رِيَاسَتِهِ،
وَوَصَفَ لَهُ بَعْضَ جَلَالَتِهِ. فَتَعَجَّبَ الْعَرَبِيُّ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : يَمَنْ الْمَلِكُ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : هُوَ فِي الصِّمِيمِ مِنْ لَحْمٍ، وَالذَّنَابَةُ مِنْ يَعْرَبٍ.
فَصَرَخَ صَرَخَةً أَقْبَضَ الْحَيَّ بِهَا مِنْ هَجَعَتِهِ، ثُمَّ قَالَ : هَلُمُّوا ! هَلُمُّوا !
فَتَبَادَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ يَنْتَالُونَ عَلَيْهِ. فَقَالَ : مَعَشَرَ قَوْمِي، اسْمَعُوا مَا سَمِعْتُهُ،
وَعُوا مَا وَعَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَفَخْرٌ طَلَبَكُمْ، وَشَرَفٌ تَلَاصَقَ بِكُمْ !!... فَأَنْشَدَهُمُ الرَّجُلُ
الْقَصِيدَةَ وَعَرَفَهُمْ نَسَبَ الْمُعْتَمِدِ، فَخَامَرْتَهُمُ السَّرَّاءُ وَدَاخَلَتْهُمُ الْعِزَّةُ، وَرَكَبُوا مِنْ
طَرِبِهِمْ، مُتَوْنَ الْخَيْلِ وَجَعَلُوا يَتَلَاعَبُونَ عَلَيْهَا، بَاقِيَ اللَّيْلِ. فَلَمَّا أُرْسِلَ
اللَّيْلُ نَسِيمَهُ، وَشَقَّ الصُّبْحُ، أَوْ كَادَ أَدِيمُهُ، عَزَمَ عَمِيدُ الْقَوْمِ إِلَى عِشْرِينَ
مِنَ الْإِبِلِ فَدَفَعَهَا إِلَى الرَّجُلِ، وَفَعَلَ الْجَمِيعُ مِثْلَ مَا فَعَلَ. فَمَا رَأَدَ الضُّحَى إِلَّا
وَعِنْدَهُ هُنَيْدَةٌ مِنَ الْإِبِلِ. ثُمَّ خَلَطُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَجَعَلُوهُ مَقَرَّ سُرُورِهِمْ وَتَأْنِسِهِمْ.
دوزي: اخبار ابن عباد

(7) اعتذوذب : اى صار عذبا .

(8) اخضوضل : من خضل ندى وابتل .

(9) البكر بالكسر : اول من يولد من الاولاد، وهنا : الجارية التى لم
تتزوج . والبكر بالفتح : الفتى من الابل .

(10) الذؤابة : شعر فى مقدمة الرأس . وذؤابة كل شىء : اعلاه . ويعرب:
هنا العرب . ويعرب احد اجداد العرب .

الباب الرابع

الفصل الخامس

المرطباء والصيداة

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالذَّوَاءَ وَجَعَلَ
لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً »

يَعْتَبِرُ الْإِسْلَامُ الْإِعْتِنَاءَ بِالصِّحَّةِ مِنْ أَهَمِّ وَاجِبَاتِ الرَّاعِي وَالرَّعِيَةِ، إِذْ
يَتَعَذَّرُ عَلَى السَّقِيمِ الْقِيَامُ بِالْفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَمَا يَصْعَبُ
عَلَيْهِ التَّمَتُّعُ بِمَا يُوتَى مِنْ رِزْقٍ وَعَقْلٍ . وَلِذَا كَانَ الْخُلَفَاءُ وَالْمُلُوكُ يُسَارِعُونَ
إِلَى تَشْجِيعِ تَرْجَمَةِ كُتُبِ الْيُونَانِ، وَمِنْ بَيْنِهَا الْمُؤَلَّفَاتُ الطِّبِّيَّةُ، وَيَقْرَبُونَ ذَوِي
الْخَبَرَةِ وَالْإِخْلَاصِ مِنَ الْأَطِبَّاءِ، مُسْتَنِمِينَ كَانُوا أَوْ نَصَارَى أَوْ يَهُودَ، وَيُكْرِمُونَ
مُتَوَاهِمَهُمْ، وَيَمَهِّدُونَ لَهُمُ السَّبِيلَ لِيَتَفَرَّغُوا لِلْمَبْحَثِ، وَالتَّدْوِينِ، وَالتَّفْكِيرِ،
وَالْتَدْرِيسِ، مُخْتَلِفِينَ إِلَى الْمَنَازِلِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ، لِتَخْفِيفِ آلَامِ بَنِي الْإِنْسَانِ .
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَى الْجَمِيعِ وَمَا جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ .

بعض المراجع المهمة

- (I) حضارة العرب: لغسطف لبون (ترجمة عادل زعيتر) الباب الخامس
الفصل السادس .
- (2) تاريخ التمدن الاسلامي : لجرجي زيدان ج 3 ص 181 .
- (3) تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان (فصول في الطب والاطباء
في مختلف العصور) .
- (4) مفكرو الاسلام : لكارا ذى فو بالفرنسية ج 2
- (5) الطب العربي لبراون الانجليزى ترجمه الى الفرنسية الدكتور رونو .
- (6) مظاهر الاسلام : Visages de L'islam لجورج ريفوار بالفرنسية
ص 145 وما بعدها .
- (7) عيون الانباء فى طبقات الاطباء : لابن ابى أصيبعة .
- (8) معجم الاطباء من 650 هـ الى يومنا هذا : للدكتور احمد عيسى بك
طبعة 1942 .
- (9) الطب عند العرب : للدكتور لوكلار، بالفرنسية .

(130) تجربة طيبة كماوبة

حَدَّثَ سُلَيْمَانُ الْخُرَسَانِيُّ مَوْلَى الرَّشِيدِ (I)، أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِ الرَّشِيدِ بِالْحِيرَةِ وَهُوَ يَتَغَدَّى، إِذْ قَدِمَتْ لَهُ صَحْفَةٌ فِيهَا سَمَكَةٌ مَنُوعَةٌ السَّمَنِ فَحَاوَلَ الرَّشِيدُ أَكْلَ شَيْءٍ مِنْهَا فَمَنَعَهُ طَبِيبُهُ جَبْرِيلُ بْنُ بَخْتِشُوعٍ (2)، وَأَشَارَ إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ أَنَّ يُشِيلَهَا عَنِ الْمَائِدَةِ، وَيَعْرِزُهَا لَهُ. فَفَظَنَ لَهُ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ، وَغَسَلَ الرَّشِيدُ يَدَيْهِ، وَخَرَجَ جَبْرِيلُ، أَمَرَنِي الرَّشِيدُ بِاتِّبَاعِهِ وَأَنْ أَكْبِسَهُ فِي مَنْزِلِهِ وَهُوَ يَأْكُلُ، فَأَرَجَعُ إِلَيْهِ بِخَبَرِهِ. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ. وَأُخِسِبُ أَنْ أَمْرِي لَمْ يَخَفْ عَلَى جَبْرِيلَ. فَلَمَّا أَحْضَرَ لَهُ الطَّعَامَ وَفِيهِ السَّمَكَةُ، دَعَا بِأَقْدَاحٍ ثَلَاثَةَ، فَجَعَلَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا قِطْعَةً مِنَ السَّمَكِ وَصَبَّ عَلَيْهَا مِنْ خَمْرِ طَبْرِيَانَ (قَرْيَةٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ)، وَقَالَ : «هَذَا أَكُلْ جَبْرِيلُ، وَجَعَلَ فِي قَدَحٍ آخَرَ قِطْعَةً مِنْهَا وَصَبَّ عَلَيْهَا مَاءً بَشَلَجٍ شَدِيدِ الْبُرُودَةِ، وَقَالَ : «هَذَا أَكُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ إِذَا لَمْ يُخْلَطِ السَّمَكُ بِغَيْرِهِ» ، وَجَعَلَ فِي الْقَدَحِ الثَّالِثِ قِطْعًا مِنَ اللَّحْمِ مِنَ الْأَوَانِ مُخْتَلَفَةٍ مِنْ شَوَاءٍ، وَحَلَوَى، وَبَوَارِدٍ، وَبُقُولٍ وَمِنْ سَائِرِ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْوَانِ، مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا جُزْءًا يَسِيرًا، مِثْلُ اللَّقْمَةِ وَاللَّقْمَتَيْنِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا مَاءً بَشَلَجٍ وَقَالَ : «هَذَا أَكُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ يُغَيِّرُهُ» . وَدَفَعَ الْأَقْدَاحَ الثَّلَاثَةَ إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ

(I) الرشيد : انظر ترجمته في قطعة رقم 46

(2) جبريل بن بختيشوع : آل بختيشوع من النصارى النساطرة وقد نبغ منهم في الطب عدة افراد خدموا بنى العباس نحو ثلاثة قرون . وجبريل اخذ الطب عن والده وخدم جعفر بن يحيى البرمكي والرشيد والامين والمأمون ونال من سخائهم الاموال الطائلة مات 213 هـ . 828م .

وَقَالَ : «اَحْتَفِظْ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَبِهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى السَّمَكَةِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَتَّى تَضَلَّعَ، وَكَانَ كُلَّمَا عَطَشَ دَعَا بِقَدَحٍ مِنَ الْخَمْرِ الصُّرْفِ فَشَرِبَهُ. ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا انْتَبَهَ الرَّشِيدُ أُخْبِرَتْهُ بِالْخَبَرِ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْأَقْدَاحِ. فَوَجَدَ مَا فِي الْقَدَحِ الْأَوَّلِ قَدْ تَفَتَّتَ وَأَنْمَاعَ وَاخْتَلَطَ، وَمَا فِي الْقَدَحِ الثَّانِي قَدْ رَبَا وَصَارَ عَلَى النِّصْفِ مِمَّا كَانَ، وَنَظَرَ إِلَى الْقَدَحِ الثَّالِثِ وَإِذَا مَا بِهِ قَدْ تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ، وَحَدَّثَتْ لَهُ سَهْوُكَةً (3)، كَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يَتَّقِيًا حِينَ قَرَبَ مِنْهُ. فَأَمَرَ بِحَمْلِ خَمْسَةِ آلَافٍ دِينَارٍ إِلَى جَبْرِيلَ وَقَالَ : «مَنْ يَلُومَنِي عَلَى مَحَبَّةِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُدِيرُنِي بِهَذَا التَّدْبِيرِ؟» فَأَوْصَلَتْ لَهُ الْمَالُ .

مروج الذهب ج 3 ص 264

(3) سهوكة : ريح كريهة تجدها ممن عرق ومن اللحم المنتن او من السمك غير الطري .

(131) اخبار المتوكل عليه السلام

دَعَا الْمُتَوَكِّلُ (I) الطَّبِيبَ النَّصْرَانِي حَنِينَ بْنِ إِسْحَاقَ (2)، فَأَقْبَضَهُ
إِقْطَاعاً سَنِياً، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ أَشْيَاءٍ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَهَيِّبَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ
عَدُوّاً نُرِيدُ قَتْلَهُ، وَلَيْسَ يُمَكِّنُ إِعْلَانُ هَذَا ، وَنُرِيدُهُ سِتْراً . فَقَالَ حَنِينُ :
مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ، وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ غَيْرَهَا.
ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَّاهُ وَأَخْضَرَ سَيْفاً وَنَطْعاً ، فَقَالَ حَنِينُ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَا فِيهِ الْكَفَايَةُ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : فَلِئَنِّي أَقْتُلَكَ . قَالَ حَنِينُ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ
لِي حَقِّي غَداً فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبِّ نَفْسَا، فَلِئَنَّا
أَرَدْنَا امْتِحَانَكَ، وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ. فَقَبِلَ حَنِينُ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ، فَقَالَ
الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنَ الْأَمْرِ مِمَّا بَيْنَ الْخَالِئِينَ؟
فَقَالَ حَنِينُ : شَيْئَانِ ، هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ . أَمَّا الدِّينُ فَلِإِنَّهُ يَأْمُرُنَا
بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَائِنَا، فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ ؟! وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَلِإِنَّهَا
مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ أَبناءِ الْجَنَسِ، وَمَقْصُورَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ، وَهَذَا فَقَدْ جُعِلَ
فِي رِقَابِ الْأَطْبَاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِإِيمَانٍ مُغْلَظَةٍ أَنْ لَا يُعْطُوا دَوَاءً قَتَالاً (3) . فَقَالَ
الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَمَرَ بِالْخَلْعِ فَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ . فَخَرَجَ وَهُوَ
أَحْسَنُ النَّاسِ حَالاً وَجَاهاً .

مجانى الادب ج 4 ص 301 (عن ابى الفرج السطحي)

-
- (I) المتوكل : تقدمت ترجمته قطعة 85 .
(2) حنين بن اسحاق : يعد من النقلة اذ ترجم كتباً كثيرة من اليونانية
الى العربية وهو طبيب نصراني كان ابوه صيدلانيا بالحيرة، مات
سنة 260 هـ . 874 م .
(3) لا زال الاطباء الى اليوم يقسمون يمين يسمى بيمين آبىراط .

(132) المأج بالطرب

كَانَ بِجَوَارِ الْفَيْلَسُوفِ الْكِنْدِيِّ (I) رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ التَّجَارِ، لَهُ ابْنٌ قَدْ كَفَاهُ أَمْرَ بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَضَبِطَ دَاخِلَهُ وَخَارِجَهُ. فَعَرَضَ لِابْنِهِ هَذَا سَكْتَةً (2) فُجَاءَةً. فَجَزَعَ التَّاجِرُ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي مَا الَّذِي فِي أَيْدِي النَّاسِ وَمَا لَهُمْ عَلَيْهِ. وَحَيْثُ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْأَزْدِرَاءِ عَلَى الْكِنْدِيِّ، وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَدْعِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ (3) طَبِيبًا، إِلَّا رَكِبَ إِلَيْهِ وَاسْتَرْكَبَهُ لِيَنْظُرَ ابْنَهُ، وَيُشِيرَ عَلَيْهِ فِي الْعِلَاجِ، فَلَمْ يُجِبْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَطْبَاءِ لِكِبَرِ الْعِلَّةِ وَخَطَرِهَا، وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْهُمْ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ كَبِيرَ غَنَاءٍ. فَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ فِي جَوَارِ فَيْلَسُوفِ زَمَانِهِ، وَأَعْلَمَ النَّاسُ بِعِلَاجِ هَذِهِ الْعِلَّةِ، فَلَوْ قَصَدْتَهُ لَوَجَدْتَ عِنْدَهُ مَا تُجِبُّهُ، فَدَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ تَحْمَلَ عَلَى الْكِنْدِيِّ بِأَحَدِ إِخْوَانِهِ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ فِي الْحُضُورِ، فَأَجَابَ وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِ التَّاجِرِ. فَلَمَّا رَأَى ابْنَهُ وَأَخَذَ مَجَسَّهُ، أَمَرَ بِأَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقَى (I)، مَنْ قَدْ أَمَعَنَ فِي الْحَدَقِ بِضَرْبِ الْعُودِ، وَعَرَفَ الطَّرَائِقَ الْمُحْزَنَةَ، وَالْمَرْعَجَةَ، وَالْمَقْوِيَةَ لِلْقُلُوبِ وَالتُّفُوسِ. فَحَضَرَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدِيمُوا الضَّرْبَ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَأَنْ يَأْخُذُوهُ فِي طَرِيقَةٍ أَوْقَفَهُمْ عَلَيْهَا، وَأَزَاهُمْ مَوَاقِعَ النِّغَمِ بِهَا، مِنْ أَصَابِعِهِمْ عَلَى الدَّسَاتِيرِ وَنَقْلِهَا. فَلَمْ يَزَالُوا

(I) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي الملقب بفيلسوف العرب وله القدم الراسخة في الطب والفلسفة والمنطق والموسيقى والهندسة، وتبلغ تأليفه في هذه العلوم نحو مائتي كتاب أو رسالة علت مكانته عند المأمون والمعتصم . مات سنة 246 هـ . 860 م

(2) سكتة : أي سكتة قلبية .

(3) مدينة السلام : بغداد .

يَضْرِبُونَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ، وَالْكِنْدِيُّ آخِذٌ مَجَسَّ الْغَلَامِ ، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَمْتَدُّ نَفْسُهُ ، وَيَقْوَى نَبْضُهُ ، وَيَتَرَاوَجُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ شَيْئاً فَشَيْئاً إِلَى أَنْ تَحْرُكَ ثُمَّ جَلَسَ وَتَكَلَّمَ ، وَأُولَئِكَ يَضْرِبُونَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقَةِ دَائِماً لَا يَفْتُرُونَ . فَقَالَ الْكِنْدِيُّ لِأَبِيهِ : سَلْ ابْنَكَ عَنْ عِلْمٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَى عَمَلِهِ ، مِمَّا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، وَأَنْبِئْتُهُ . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَسْأَلُهُ ، وَهُوَ يُخْبِرُهُ . فَلَمَّا أَتَى عَلَى جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، غَفَلَ الضَّارِبُونَ عَنْ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانُوا يَضْرِبُونَهَا ، وَفَتَرُوا ، فَعَادَ الصَّبِيُّ إِلَى الْحَالِ الْأَوَّلِيِّ ، وَغَشِيَهُ السُّكَاتُ . فَسَأَلَهُ أَبُوهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِمَعَاوِدَةٍ مَا كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهِ ، فَقَالَ : هَيْهَاتَ ، إِنَّمَا كَانَتْ صَبَابَةً قَدْ بَقِيَتْ مِنْ حَيَاتِهِ ، وَلَا سَبِيلَ لِي وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي مُدَّةٍ مِنْ انْقِطَعَتْ مُدَّتُهُ ، إِذْ قَدْ اسْتَوْفَى الْعَطِيَّةَ وَالْقَسَمَ الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ لَهُ .

اخبار العلماء ص 246



(133) ملاحظة طبية لطيفة

جاء في كتاب ابن القفطي (I) أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قُرَّةَ (2)، اجْتَازَ يَوْمًا، مَاضِيًا إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ. فَسَمِعَ صِيَاحًا وَعَوِيلًا. فَقَالَ: مَاتَ الْقَصَابُ الَّذِي كَانَ فِي هَذَا الدُّكَانِ؟ فَقَالُوا: أَيْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدَنَا، الْبَارِحَةَ فُجْأَةً. فَقَالَ: مَا مَاتَ، خُذُوا بَنَاتِنَا إِلَيْهِ، فَعَدَلَ النَّاسُ وَحَمَلُوهُ إِلَى دَارِ الْقَصَابِ. فَتَقَدَّمَ إِلَى النِّسَاءِ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ اللَّطِيمِ وَالصِّيَاحِ، وَأَمْرَهُنَّ بِأَنْ يَعْمَلْنَ مَزُورَةً (3) وَأَوْمَأَ إِلَى بَعْضِ غُلَمَانِهِ أَنْ يَضْرِبَ الْقَصَابَ عَلَى كَعْبِهِ بِالْعَصَا، وَجَعَلَ يَدُهُ فِي مَجْسِيهِ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ يَضْرِبُ كَعْبَهُ إِلَى أَنْ قَالَ: حَسْبُكَ، وَاسْتَدْعَى قَدْحًا، وَأَخْرَجَ مِنْ كُمِهِ دَوَاءً، خَلَطَهُ فِي الْقَدْحِ بِقَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ، وَفَتَحَ فَمَّ الْقَصَابِ، وَسَقَاهُ إِيَّاهُ، فَأَسَاغَهُ، وَوَقَعَتْ الصَّيْحَةُ وَالزَّعَقَةُ فِي الدَّارِ وَالشَّارِعِ، بِأَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ أَحْيَا الْمَيِّتَ. فَتَقَدَّمَ ثَابِتٌ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَفَتَحَ الْقَصَابُ عَيْنَيْهِ، فَأُطْعِمَهُ مَزُورَةً، وَأَجْلَسَهُ، وَقَعَدَ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَإِذَا بِأَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ قَدْ جَاءُوا يَدْعُوْنَهُ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ، وَالدُّنْيَا قَدْ انْقَلَبَتْ، وَالْعَامَّةُ حَوْلَهُ يَتَعَادَوْنَ، إِلَى أَنْ دَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ. وَلَمَّا مِثْلَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ قَالَ لَهُ: يَا ثَابِتُ مَا هَذِهِ الْمَسِيحِيَّةُ (4)

-
- (I) ابن القفطي : انظر ترجمته في آخر الكتاب
 (2) ثابت بن قرة : هو الطبيب الحكيم الرياضي المترجم - خدم الخليفة المعتضد، وقد جعله هذا في جملة المنجمين، وكان يقبل عليه. يحادثه محادثة الخلان. مات سنة 288 هـ. 902 م
 (3) مزورة : طبيخ يتخذ من الحبوب أو البقول بغير لحم .
 (4) ما هذه المسيحية ؟ : إشارة إلى ما فعل سيدنا عيسى عليه السلام ، فانه احيا الميت باذن الله .

التي بَلَّغْتَنَا عَنْكَ ؟ قَالَ: يَا مَوْلَايَ كُنْتُ أَجْتَازُ عَلَى هَذَا الْقَصَابِ وَالْحَظْهُ يَشْرَحُ
 الْكَبِدَ وَيَطْرَحُ عَلَيْهَا الْمِلْحَ ، وَيَأْكُلُهَا، فَكُنْتُ أَسْتَقْدِرُ فِعْلَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ قَدَّرْتُ
 أَنَّ سَكَنَةَ سَتَلْحَقَهُ فَصُرْتُ أَرَاعِيهِ، وَإِذْ عَلِمْتُ عَاقِبَتَهُ انْصَرَفْتُ، وَرَكِبْتُ دَوَاءَ
 لِلْمَسْكَنَةِ أَسْتَصْحِبُهُ مَعِيَ فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَلَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ السَّكَنَةَ لِحَقَّتِهِ، دَخَلْتُ
 إِلَيْهِ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ نَبْضًا، فَضَرَبْتُ كَعْبَهُ إِلَى أَنْ عَادَتْ حَرَكَةُ نَبْضِهِ، وَسَقَيْتُهُ
 الدَّوَاءَ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَأَطْعَمْتُهُ مَزُورَةً وَاللَّيْلَةَ يَأْكُلُ رَغِيْفًا بِدَرَّاج (5). وَفِي
 غَدٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ .

من كتاب اخبار العلماء



(5) دراج : طير .

134 (أطباء في البمارستان

قَالَ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ (I) : مُهَذَّبُ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ هُوَ شَيْخُنَا الْكَبِيرُ، الْعَالِمُ الْفَاضِلُ. كَانَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ كَحَالًا (2)، وَخَدَمَ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْبِمَارِسْتَانِ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالطَّبِّ، وَقَرَأَ، وَنَسَخَ كُتُبًا عَدِيدَةً، مِنْهَا كِتَابُ الْقَانُونِ لابْنِ سِينَاءَ (3). فَأُطْلِقَ لَهُ الصَّاحِبُ صِفَتِي الدِّينِ بْنِ شُكْرٍ، وَزَيْرُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ (4)، أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ جَامِكِيَّةَ (5) عَلَى الطَّبِّ، وَارْتَقَى أَمْرُهُ إِلَى أَنْ صَارَ رَئِيسَ أَطِبَّاءِ دِيَّارِ مِصْرَ بِأَسْرَهَا، وَأَطِبَّاءِ الشَّامِ. وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ النَّظَرَ فِي أَمْرِ الْكَحَّالِينَ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ ابْنَهُ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ جِرَايَةَ، وَرَسَمَ لَهُ أَنْ يُقِيمَ بِدِمَشْقَ مَسْقِطَ رَأْسِهِ، وَيَتَرَدَّدَ إِلَى الْبِمَارِسْتَانِ، وَيَعَالِجَ الْمَرْضَى بِهِ. فَشَرَعَ هُنَاكَ فِي تَدْرِيسِ صِنَاعَةِ الطَّبِّ. وَأَقَمْتُ أَنَا

(I) ابن أبي أصيبعة : انظر ترجمته في آخر الكتاب .

(2) كحالا : يداوى العيون .

(3) ابن سينا : هو الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا استاذ حكماء عصره، وامام اطباء دهره، ويسميه الافرنج «أفسان». ولد قرب بخارى - قرأ العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية، وغاص على اسرارها حتى وقف على حقائقها ودقائقها. وعانى اسفارا متعددة، ولقى من الامراء والرؤساء اعزازا وحفاوة. وله نحو مائة تصنيف اشهرها «كتاب القانون» في الطب و«كتاب الشفاء» يحتوى على 18 مجلدا جمع فيه العلوم الفلسفية. مات سنة 429 هـ. 1037 م، (4) الملك العادل : هو الرابع من ملوك بني ايوب، تولى الامر على مصر سنة 596 هـ. 1200 م. وكانت مدته تسع عشرة سنة ، حارب الصليبيين وكان شجاعا خبيرا بالحيل .

(5) جامكية : مرتب خدام الدولة من العسكرية والملكية .

بِدَمَشْق لِأَجْلِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ. فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ كُتُبَ جِيلَانُوسَ (6)، وَلَا زَمَتَهُ فِي
وَقْتِ مُعَالَجَتِهِ لِلْمَرْضَى، فَتَدَرَّبَتْ مَعَهُ فِي ذَلِكَ. وَكَانَ مَعَهُ فِي الْبِيمَارِسْتَانِ
الْحَكِيمُ عِمْرَانُ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ الْأَطِبَّاءِ، فَتَضَاعَفَتْ الْفَوَائِدُ الْمُقْتَبَسَةُ مِنْ
اجْتِمَاعِهِمَا، وَمِمَّا كَانَ يَجْرَى بَيْنَهُمَا مِنَ الْكَلَامِ فِي الْأَمْرَاضِ وَمُدَاوَاتِهَا، وَمِمَّا
كَانَ يَصِفَانِهِ لِلْمَرْضَى مِنَ الْمُحْمُومِينَ، وَالْمَرُورِينَ (7) وَغَيْرِهِمْ. وَكَانَ
بِالْبِيمَارِسْتَانِ الشَّيْخُ رَضِيَ الدِّينَ الرَّحْبِيُّ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَطِبَّاءِ سِنًا،
وَأَشْهَرِهِمْ ذِكْرًا. فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَى ذِكَاةٍ، وَيَكْتُبُ لِمَنْ يَأْتِي إِلَى الْبِيمَارِسْتَانِ،
وَيَسْتَوْصِفُ مِنْهُ لِلْمَرْضَى أَوْرَاقًا يَتَعَمَّدُونَ عَلَيْهَا، وَيَأْخُذُونَ بِهَا مِنَ الْبِيمَارِسْتَانِ
الْأَشْرَبَةِ وَالْأَدْوِيَةِ الَّتِي يَصِفُهَا. فَكُنْتُ أَجْلِسُ مَعَهُ فَأُعَايِنُ كَيْفِيَّةَ اسْتِدْلَالِهِ
عَلَى الْأَمْرَاضِ، أَبْحَثُ مَعَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَمُدَاوَاتِهَا. وَكَانَ الشَّيْخُ
مُهَذَّبَ الدِّينِ، إِذَا تَفَرَّغَ مِنَ الْبِيمَارِسْتَانِ وَافْتَقَدَ الْمَرْضَى مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ
وَأَكَابِرِهَا وَغَيْرِهِمْ، يَأْتِي إِلَى دَارِهِ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي الْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ وَالْمِطَالَعَةِ،
فَإِذَا فَرَّغَ أَذِنَ لِلْجَمَاعَةِ فَيَدْخُلُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْتِي قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ مِنَ الْأَطِبَّاءِ
وَالْمُسْتَغْلِينَ، وَكَانَ يُقْرَأُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَرْسَهُ، وَيَبْحَثُ مَعَهُ فِيهِ، وَيَفْهَمُهُ
إِيَّاهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ، وَيَبْحَثُ فِي ذَلِكَ مَعَ الْمَتَسِيرِينَ مِنْهُمْ، إِنْ كَانَ الْمَوْضُوعُ
يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ بَحْثٍ، أَوْ فِيهِ إِشْكَالٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيرٍ، وَكَانَ أَبَدًا لَا يَفَارِقُهُ
إِلَى جَانِبِهِ، مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الطِّبِّيَّةِ، وَمَنْ كُتِبَ اللُّغَةُ. مَاتَ رَجُلُهُ
اللَّهُ سَنَةَ 628 هـ فِي 15 صَفَرٍ.

من كتاب عيون الانباء (231 - 244) باختصار



(6) جيلانوس : طبيب يوناني .

(7) الممرورين : الذين غلبت عليهم المرة وهاجت - المرة خلط من اخلاط

البدن وهو الصفراء او السوداء .

(135) الرعناء لمعالجة المسجونين وأهل السواد

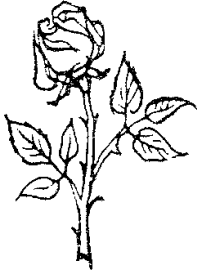
كَانَتْ مَمْرَلة سِنَان (I) كَبيرة عِنْدَ الْأَمراءِ وَالْوُزراءِ. فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ
الْوَزيرَ عَلِيَّ بْنَ عيسى بْنِ الجراح (2) وَقَعَ إِلَيْهِ فِي سَنَةِ، كَثُرَتْ فِيهَا الْأَمراضُ
وَالْأَوْباءُ، تَوَقيعاً نُسَخَتْهُ : «...فَكَرْتُ - مَدَّ اللَّهُ عَمْرَكَ - فِي أَمْرٍ مِنْ فِي
الْحُبُوسِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَخْلُونَ، مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَجَفَاءِ أَمَاكِنِهِمْ، أَنْ تَنَالَهُمُ
الْأَمراضُ وَهُمْ مُعَوَّقُونَ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي مَنَافِعِهِمْ ، وَلِقَاءِ مَنْ يُشَاوِرُونَهُ
مِنَ الْأَطِبَّاءِ فِي أَمْرَائِهِمْ، فَيَتَنَبَّغِي - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - أَنْ تُفَرِّدَ لَهُمْ أَطِبَّاءَ يَدْخُلُونَ
إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَيَحْمِلُونَ مَعَهُمُ الْأَدويةَ وَالْأَشربةَ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ
مِنَ الْمَزُورَاتِ (3)، وَتَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَدْخُلُوا سَائِرَ الْحُبُوسِ، وَيُعَالَجُوا مَنْ
فِيهَا مِنَ الْمَرْضَى، وَيُزِيحُوا عَنْهُمْ، فِيمَا يَصِفُونَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى،
فَفَعَلَ سِنَانُ، ثُمَّ وَقَعَ إِلَيْهِ تَوَقيعاً آخَرَ : «فَكَرْتُ فِيمَنْ بِالسَّوَادِ (4) مِنْ أَهْلِهِ،

(I) سنان بن ثابت بن قرة السابق الذكر : تخرج عن ابيه ولحق به
في الحنق والتمهر - خدم المقتدر والقاهر والراضي - وكان يشارف
بامر المقتدر مارستانات بغداد ومكلفا بامتحان الاطباء - له رسائل
ومصنفات عديدة في الطب والهندسة والهيئة وسائر العلوم الرياضية -
توفي ببغداد سنة 331 هـ. 943 م.

(2) علي بن عيسى بن الجراح البغدادي الكاتب الوزير، وزير للمقتدر
والقاهر - كان فاضلا ورعا متزهدا - كانت ايامه احسن ايام وزير.
توفي سنة 334 هـ. 946 م.

(3) المزورة : طبيخ يتخذ من الحبوب والبقول بغير لحم ويعطى للمرضى.
(4) السواد : المناطق القريبة من بغداد وسميت بالسواد لكثرة نخيلها
وخصب اراضيها .

وَأِنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَرَضَى لَا يُشْرِفُ مُتَطَيِّبٌ عَلَيْهِمْ، لِيَخْلُوَ السَّوَادُ
مِنَ الْأَطِبَّاءِ. فَتَقَدَّمَ - مَدَّ اللَّهُ عُمَرَكَ - بِإِنْفَازِ مُتَطَيِّبِينَ، وَخِزَانَةِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ
وَالْأَشْرِبَةِ، يَطُوفُونَ فِي السَّوَادِ، وَيَقِيمُونَ فِي كُلِّ صَقْعٍ مِنْهُ مُدَّةً مَا تَدْعُو
الْحَاجَةَ إِلَى مَقَامِهِمْ، وَيُعَالِجُونَ فِيهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى غَيْرِهِ. فَفَعَلَ سِنَانُ.
كتاب اخبار الحكماء



(136) امتحان الصبارة

قَالَ زَكَرِيَاءُ الطَّيْفُورِيُّ الإِسْرَائِيلِي، مُتَطَبِّبُ الْفَتْحِ بْنِ خَافَانَ (I) :
 كُنْتُ مَعَ الْأَفْشِيِّينَ (2)، فِي مَعْشَرِهِ، وَهُوَ فِي مُحَارَبَةِ بَابِك (3). فَلَمَّا بَلَغَتْ
 الْقِرَاءَةُ (4) بِالْقَارِيءِ إِلَى مَوْضِعِ الصِّيَادِلَةِ، قَالَ لِي: يَا زَكَرِيَاءُ، ضَبْطُ هَؤُلَاءِ
 الصِّيَادِلَةِ عِنْدِي أَوْلَى مِمَّا تَتَقَدَّمُ فِيهِ، فَأَمْتَحِنُهُمْ حَتَّى تَعْرِفَ مِنْهُمْ النَّاصِحَ،
 وَمَنْ لَهُ دِينٌ، وَمَنْ لَا دِينَ لَهُ. فَقُلْتُ: أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنَّ يُونُسَ لَقُوَّةُ
 الْكَيْمَانِيِّ (5)، كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَأْمُونِ (6) كَثِيرًا، وَيَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ
 لَهُ يَوْمًا: وَيْحَكَ يَا يُونُسَ، لَيْسَ فِي الْكَيْمِيَاءِ شَيْءٌ! فَقَالَ: بَلَى يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ، الصَّيْدَلَانِي لَا يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، كَانَ عِنْدَهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ،
 إِلَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ عِنْدَهُ... فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَضَعَ اسْمًا مِنَ الْأَسْمَاءِ

(I) الفتح بن خافان: وزير المعتصم فالتوكل - وقتل مع هذا الأخير
 اثر مؤامرة دبرها ابن الخليفة

(2) الافشيين حيدر بن كاوس التركي . كان في مقدمة قواد المعتصم - وقد
 سجنه هذا لما تحقق بكفره (يقال انه كان يظهر الاسلام ويخفي
 المجوسية) وخيانتة، حتى مات. فاخرجت جثته وصلبت ثم احرقت.
 (3) بابك الخرمي: خرج على المامون سنة 201هـ في شمال بلاد فارس
 وانتهت الفتنة التي اثارها سنة 221 في عهد المعتصم .

(4) القراءة : هنا قراءة الجرائد والازمة التي بها اسماء الرجال الذين
 صحبوا الجيش من اطباء وصيادلة وكتاب وغيرهم .

(5) الكيمائي: الذي يشتغل بعلم الكيمياء، وكانت غاية المغرمين بهذا
 العلم البحث عن «الحجرة الكريمة»: ولهذا قال المأمون ليس في
 الكيمياء شيء .

(6) المامون : تقدمت ترجمته قطعة 14 .

لَا يَعْرِفُ، وَيُوجِّهُهُ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّيَادِلَةِ فِي طَلَبِهِ لِابْتِيَاعِهِ، فَلْيَفْعَلْ. قَالَ
 الْمَأْمُونُ: قَدْ وَضَعْتُ الْإِسْمَ وَهُوَ «شَفْطِيشًا» (وَشَفْطِيشًا ضَيْعَةٌ مِنَ الضِّيَاعِ قُرْبَ
 مَدِينَةِ السَّلَامِ)، فَسَيَّرَ الْمَأْمُونُ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى الصَّيَادِلَةِ، يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ
 «شَفْطِيشًا». فَكُلُّ ذَكَرٍ أَتَى عَنْدهُ، وَأَخَذَ الثَّمَنَ، وَدَفَعَ شَيْئًا مِنْ حَانُوتِهِ .
 فَصَارُوا إِلَى الْمَأْمُونِ بِأَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِقِطْعَةِ حَجَرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 أَتَى بِقِطْعَةٍ وَتَدٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِبَعْضِ الْبُزُورِ. فَاسْتَحْسَنَ الْمَأْمُونُ نَصَحَ
 يُوسُفَ لِقُوَّةَ عَنْ نَفْسِهِ. قَالَ زَكَرِيَّا لِلْأَفْشِيِّينَ: فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ
 يَمْتَحِنَ الصَّيَادِلَةَ بِمِثْلِ مِحْنَةِ الْمَأْمُونِ فَلْيَفْعَلْ. فَامْتَحَنَهُمُ الْأَفْشِيُّونَ، وَأَذِنَ لِمَنْ
 ظَهَرَ صِدْقُهُ بِالْمَقَامِ فِي مَعْسِكَرِهِ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يُلْتَمِسُ مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ
 إِلَيْهِ صَيَادِلَةً لَهُمْ أَذْيَانٌ، وَمُتَطَيِّبِينَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَاسْتَحْسَنَ الْمُعْتَصِمُ فِعْلَهُ
 وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمَنْ سَأَلَ .

كتاب اخبار العلماء ص 129



الباب الرابع

الفصل السادس

العلوم

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ
بِالْعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَهُمَا
مَعًا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ » وَقَالَ : (يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِذَاذُ
الْعُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ ، فَيُرْجَحُ مِذَاذُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دَمِ
الشُّهَدَاءِ) .

إِنَّهُ لَمِنَ الصَّغْبِ أَنْ نَلِمَ فِي كَلِمَةٍ وَجِيزَةٍ بِجَمِيعِ مَا قَامَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ،
وَمَنْ انْضَوَى إِلَيْهِمْ مِنْ حُكَمَاءِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، فِي الْمِيدَانِ الْعِلْمِيِّ، وَأَنْ
نُعَدِّدَ الْأَعْلَامَ الْأَمْثَلِ مِنَ الْمُنَجِّمِينَ، وَالْفَلَكَائِيْنَ، وَالْمُهَنْدِسِينَ، وَالْفَلَّاسِفَةَ،
وَالْجُغْرَافِيِّينَ الْخ. الَّذِينَ شَمَّرُوا عَلَى سَاقِ الْجِدِّ لِلثَّقَلِ، وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّبْوِيبِ
وَالْتَّنْقِيحِ، وَالِاسْتِنْبَاطِ، فِي جَوْ كَثِيرًا مَا سَادَتْهُ الْحُرِّيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ. بَلْ يَكْفِينَا
أَنْ نَقُولَ إِنَّهُمْ «جَمَعُوا خُلَاصَةَ عُلُومِ الْأَقْدَمِينَ، مِنْ يُونَانَ، وَفَرْسِ، وَسَرِيَانِ
وَهُنُودِ، وَانْبَاطِ، وَمَصْرِيْنَ، وَغَيْرِهِمْ .. وَعَنَوْا بِهَا مُدَّةً مِنَ الدَّهْرِ، وَعَنْهُمْ
اِقْتَبَسَهَا الْأَفَرَنْجِ، حِينَ تَنَبَّهَتْ هِمَمُهُمْ مِنْ سَبَابَتِهَا، فِيمَا يَسْمُوْنَهُ بِعَصْرِ
الْإِنْبِعَاطِ» ، وَيَنْعَى عَلَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ مَسَخَوْا الْكَثِيرَ مِنْ أَسْمَاءِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى
صَارَ مِنَ الْمُتَعَذِّرِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ رَدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا .

وَلَقَدْ اِكْتَفَيْنَا هُنَا بِاخْتِيَارِ قِطْعٍ تَتَجَلَّى فِيهَا بَعْضُ مَظَاهِرِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ
الْمُبَارَكَةِ، مُحَيِّلِينَ الْبَاحِثِينَ عَلَى الْمَرَاجِعِ الْمُفِيدَةِ وَأَقْرَبِهَا لِلْمَطْلَبَةِ .

- (I) تاريخ التمدن الاسلامي : لجرجي زيدان (ج 2 العرب والعلوم الدخيلة).
- (2) تاريخ الآداب العربية : لبلاج (العلماء ص 387).
- (3) حاضر العالم الاسلامي : تعريب عجاج نوبهض وتعاليق الامير شكيب
ارسلان ج. I ص 137 . (الحركة العلمية في الحضارة العربية)
- (4) الاسلام والحضارة العربية : لكرد علي (ج I اثر العلوم في الغرب)
- (5) مفكرو الاسلام : لكارا ذى فو بالفرنسية - ج 2 .
- (6) العالم الاسلامي : لمايركوف بالفرنسية .
- (7) منتخبات من آثار الجغرافيين : للاستاذ بلاشير .
- (8) كتاب الفهرست : لابن النديم .
- (9) طبقات الامم : لابن صاعد (ترجمه الاستاذ بلاشر الى الفرنسية)

(137) عالم مخترع

مِنْ حِكَايَاتِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي الذِّكَا، وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ، وَاسْتِثْنَابِطِهَا،
 أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَمَّاسَ بْنَ فَرْنَاسٍ (1)، حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ، أَوَّلُ مَنْ اسْتَنْبَطَ
 بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ (2)، وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَابَ
 الْعُرُوضِ لِلْخَلِيلِ (3)، وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَى، وَصَنَعَ آلَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِنْقَالَةِ (4)
 لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَلَا مِثَالٍ (5). وَاحْتَالَ فِي تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ، وَكَسَا
 نَفْسَهُ الرِّيشَ، وَمَدَّ لَهُ جُنَاحَيْنِ، وَطَارَ فِي الْجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ
 الْاِحْتِيَالَ فِي وَقُوعِهِ، فَتَنَادَى فِي مُؤَخَّرِهِ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى
 زَمَكِهِ (6)، وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا .

وَقَدْ صَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةَ السَّمَاءِ، وَخَيَّلَ لِلنَّظِيرِ فِيهَا النُّجُومَ، وَالْغُيُومَ،
 وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ. وَكَانَ كَثِيرَ الْاِخْتِرَاعِ حَتَّى نُسِبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ وَعَمَلُ
 الْكِيمِيَاءِ وَكَثُرَ عَلَيْهِ الطَّعْنُ فِي دِينِهِ .

كتاب نفح الطيب، وكتاب المغرب في حلى المغرب

(1) ابن فرناس : هو قرطبي المولد والنشأة، وبيته من برابر تاكرونا
 كان يعيش في عهد الحكم الربضي ثالث سلاطين بنى امية بالاندلس.

(2) يصنع الزجاج من الحجارة : اى من الرمل والطباشير .

(3) الخليل : تقدمت ترجمته قطعة 102 .

(4) المنقالة : فى بعض النسخ النقالة وفى اخرى المثقال .

(5) على غير رسم : اى من غير ان يرى رسما لها او مثالا .

(6) زمك : ذنب الطير او اصل ذنبه .

(138) التشريع (٥)

قَالَ يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : قَدِمَ جُرْجَةُ بْنُ زَكْرِيَاءَ (I)، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ 221، إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأَى، وَأَهْدَى إِلَى الْمُعْتَصِمِ (2) هَدَايَا فِيهَا قِرْدَةٌ. فَلَبِثِي عِنْدَ يُوْحَنَّا (3)، فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَنَا أُعَاتِبُهُ عَنْ تَخَلُّفِهِ عَنْ حُضُورِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنِّي رَأَيْتُ سَلْمُويَةَ (4) ، وَبُخْتِيشُوعَ (4)، وَالْجَرِيشَ (4) الْمُتَطَبِّبِينَ وَقَدْ وَصَلُوا ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا غُلَامٌ مِنَ الْأَثْرَاكِ الْخَاصَّةِ، وَمَعَهُ قِرْدٌ مِنَ الْقُرُودِ الَّتِي أَهْدَاهَا مَلِكُ النَّوْبَةِ، لَا أَذْكُرُ أَنِّي رَأَيْتُ أَكْبَرَ مِنْهُ جُنَّةً، وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجٌ هَذَا الْقِرْدُ مِنْ حِمَاكِمْ قِرْدَتِكَ . وَكَانَ لِيُوْحَنَّا قِرْدَةٌ يُسَمِّيْهَا حِمَاكِمْ، كَانَ لَا يُصْبِرُ عَنْهَا

(*) فائدة: كان اطباء العرب يصنعون خيط الجراح من امعاء القط حتى اذا خيط الجرح التأم، وهضم الجسم الخيط دون حاجة الى نزعهِ . ولا زال هذا الخيط مستعملا في الجراحة الى يومنا هذا .

(I) جرجة او جرجيس بن زكرياء : ملك النوبة .
(2) المعتصم: هو ابن الرشيد ، ولى الخلافة بعد اخيه المأمون (218هـ . 227هـ).
وتوفى بسر من رأى

(3) يوحنا بن ماسوية: الطبيب النصراني الشهير ترجم كتباً للرشيد وخدم الامين والمأمون والمعتصم والمتوكل، وعلت منزلته عندهم وله كتاب في الجذام، لم يسبقه احد الى مثله، وكتاب في المايلخوليا واسبابها وعلاجها، مات سنة 243 هـ . 857 م .

(4) سلمويه، والجريش، وبختيشوع : من الاطباء واشتهر منهم هذا الاخير وكان من آل بختيشوع المشهورة بالطب والذي خدم منهم المعتصم هو بختيشوع ابن جبريل الذي نال منه ومن الوائق والمتوكل من بعده الهبات الواسعة مات سنة 257 هـ . 870 م . وكان هؤلاء الاطباء الثلاثة من المقربين عند المعتصم حتى كان يسمى سلمويه : ابي .

سَاعَةً . فَوَجَّهَ لِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اتِّخَاذِي لِهَذِهِ الْقِرْدَةِ غَيْرُ مَا تَوَهَّمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا دَبَّرْتُ تَشْرِيحَهَا، وَوَضَعْتُ كِتَابًا عَلَى مَا وَضَعَ جِيلَانُوسُ (5) فِي التَّشْرِيحِ، يَكُونُ جَمَالٌ وَضَعِي إِيَّاهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ فِي جِسْمِهَا قَلَّةٌ، تَكُونُ الْعُرُوقُ فِيهَا وَالْأَوْرَادُ، وَالْعَصَبُ دِقَاقًا ! فَلَمْ أَطْمَعْ فِي اتِّضَاحِ الْأَمْرِ فِيهَا مِثْلَ اتِّضَاحِهِ فِيمَا عَظُمَ جِسْمُهُ، فَتَرَكْتُهَا لِتَكْبُرَ، وَيَغْلُظَ جِسْمُهَا. فَأَمَّا إِذْ قَدْ وَافَى هَذَا الْقِرْدُ فَسَيَعْلَمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي سَأَضَعُ لَهُ كِتَابًا لَمْ يُوضَعْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ. ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِالْقِرْدِ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ كِتَابٌ حَسَنٌ، اسْتَحْسَنَهُ أَعْدَاؤُهُ فَضَلَّ عَنْ أَصْدِقَائِهِ .

عيون الانبياء ج I ص 178



(5) جيلانوس : طبيب يوناني .

(139) عمل كيمائي

قَالَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ ، أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شَهِيدٍ (I) :
 كُنْتُ ، أَيَّامَ اخْتِلَافِنَا إِلَى الزَّاهِرَةِ ، صَحَبْتُ رَجُلًا (2) ، وَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَتَدَارَسُ
 ضُرُوبَ الْعِلْمِ مِنْ أَدَبٍ ، وَخَبَرٍ ، وَفِقَةٍ ، وَطِبٍّ ، وَصِنَاعَةٍ ، وَحِكْمَةٍ ، عَلَى أَنَّهُ فِي
 الْعِلْمِ «وَأَوْ عَمْرُو» (3) ، وَكَانَ - وَلَا أَشْعُرُ - يَدَالِسُ وَيُوَالِسُ (4) ، قَدْ اسْتَهْتَرَ
 عَلَى الْفُلُوسِ ، وَاسْتَهْلَكَ عَلَى التَّدْلِيسِ (4) .. فَقَصَدْتُهُ يَوْمًا عَلَى جَهْلٍ بِتِلْكَ
 الْخَلِيقَةِ مِنْهُ ، لِأَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ .. فَأَلْفَيْتُهُ قَدْ خَلَا بَابَهُ ، وَغَابَ بُوَابُهُ ، فَوَلَجْتُ ،
 فَتَارَ إِلَى صَبِيٍّ غَرِيرٍ ، أَصَبْتُهُ هُنَاكَ قَائِلًا لِي : طَالَ انْتِظَارُنَا لَكَ ! . فَتَقَدَّمَنِي
 وَسِرْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَارِ ذَاتِ أَجْوَانٍ (5) ، قَدْ عُشِيَهَا دُخَانٌ كَقَطْعِ الْعِنَانِ (6) ،
 تَعَبَقُ مِنْهَا صُنَانٌ مِنْ زَرْنِيجٍ ، وَكِبْرِيتٍ ، وَزَنْجَفُورٍ (7) وَأَنْزَرُوتٍ (8) . فَتَذَكَّرْتُ

(I) ابن شهيد: كان جده احمد بن عبد الملك وزير عبد الرحمن الناصر.
 ولد بقرطبة ايام الحاجب ابن ابي عامر ، اتصل بالمظفر ابنه ثم باخيه
 الناصر وغيرهما من ملوك الطوائف . له ديوان شعر وكتاب التوابع
 والزوابع . مات سنة 426 هـ .

(2) رجلا : ان هذا الرجل هو الوزير الكاتب خالد بن يزيد الكيمائي ابو
 عبد الله الفرضي وكان الاشتغال بالكيمياء يومئذ غير محمود عندهم .
 (3) واو عمرو : اي لا فائدة فيه فهو زائد . وقد زيدت الواو للتمييز بين
 عمر وعمر .

(4) يوالس : يخادع . والتدليس : الغش ، ويدالس : يخادع كذلك .
 (5) اجوان ج جون مفردها جونة واصلها الهمز : وهي سفت مغشى بجلد .
 ويطلق على الخابية .

(6) العنان بالفتح : السحاب .
 (7) زنجفور : معدن متفتت يعمل منه الحبر الاحمر ويتبخر به لنوع
 من القمل يتشبث بالجلد .

(8) الانزروت : صمغ فارسي ويقال له ايضا عنزروت .

قَوْلُهُ تَعَالَى : «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ. هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»،
 فَاسْتَشْعَرْتُ الشَّرَّ، وَارْدَتْ الْفَرْ، ثُمَّ التَّفَتُّ فَوَإِذَا أَنَا بِكَدَاسٍ جَمْرٍ، وَآلَاتٍ تَبَرٍّ؛
 وَأَشْخَاصٍ سُودٍ وَصُفْرِ، ثُمَّ أَفْضَيْتُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ عِدَّةُ أَشْبَاحٍ كَأَنَّهَا قُبَاضُ
 الْأَرْوَاحِ، غَرَابِيبُ (9) بِأَيْدِيهِمْ كَلَالِيبُ، زَرَادِقُ (9)، قَدْ تَقَلَّدَتْ مَطَارِقُ .
 فَلَمَّا رَأَوْنِي صَاحُوا : «فَضَحَكُمْ الْوَاعِلُ (10)، فَامْحَقُوهُ مِنْ عَاجِلٍ». فَلَمَّا
 نَظَرْتُ إِلَى الْمَنِيَّةِ، وَخَشِيتُ فَضْحَ الْقَضِيَّةِ، ضَحَكْتُ إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ: «تَخَطُّتُمْ
 النَّعْمَةَ ! وَلَا هُدَيْتُمْ سَبِيلَ الْحِكْمَةِ ! أَهَكَذَا تَعْجَلُونَ وَلَا تَدُرُونَ مَنْ تُرِيدُونَ!؟
 قَالُوا : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قُلْتُ : مَنْ أَخَذَ الطَّلُقَ (11)، فَسَحَقَهُ بِالْمَدَقِّ، وَشَقَّ،
 بِيَدِ الذِّكَا، عَنْ زَهْرَةِ الْأَشْيَاءِ فَبَشَّرَ الْآبَاءَ بِالْأَبْنَاءِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: بِنَارٍ أَوْ
 بِمَاءٍ ؟ قُلْتُ : بِهِمَا جَمِيعًا، وَبِهَوَاءٍ . فَأَوْمَضُوا (12) إِلَى ضَاحِكِينَ، وَاسْتَقْبَلُونِي
 مُعْتَذِرِينَ. قُلْتُ: وَأَيْنَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالُوا: انْفَرَدَ يَرِيقُ مَاءَ بَيْضٍ، وَيَصْفِقُ
 دَمَ حَيْضٍ، وَغَرَضُهُ اسْتِخْرَاجُ دُهْنِ الْحَجَرِ الْكَرِيمِ (13). فَقُلْتُ: نَفْسُ (14)
 حَدِيثٍ أَوْ قَدِيمٍ ؟ فَنَادَوْا أَوَاهُ أَوَاهُ ! عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتُمْ ! ثُمَّ تَلَطَّفْتُ وَخَرَجْتُ
 تَطِيرُ بِي رَجُلَايَ، وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ دَمِي بِعُطْفِهِ .

ذخيرة ابن بسام ج I ص 186

-
- (9) الغرابيب : ج غريب وهو الاسود اللون والشيخ يسود شيبه بالخضاب.
 والزرادق : صفوف الناس .
 (10) الواغل : الداخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير استئذان.
 (11) الطلق : نبات له حب كالعدس واصل غليظ ملائق لبنا. يسهل البطن،
 واستعمال لبنه خطر - وقد يخلط بالعقاقير ويصنع منه دواء.
 (12) اومضوا : اشاروا
 (13) الحجر الكريم : اى الحجر الفلسفى Pierre Philosophale الذى يحول
 المعادن ذهباً .
 (14) النفس : الحيض من نفست المرأة كسمع اى حاضت

140 (النباتات والادوية المفردة

كَانَ رَشِيدُ الدِّينِ الصُّورِي (وُلِدَ بِمَدِينَةِ صُور سَنَةَ 573 هـ) وَحِيدَ زَمَانِهِ ، فِي مَعْرِفَةِ الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ ، وَمَاهِيَّاتِهَا ؛ وَاخْتِلَافِ أَسْمَائِهَا وَصِفَاتِهَا. قَدْ خَدَّمَ الْمَلِكَ الْعَادِلَ (I) أَبَا بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، فَأَبْنَاهُ الْمَلِكُ الْمُعْظَمَ ، فَحَفِيدَهُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ . وَلَهُ كِتَابٌ فِي هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ ؛ بَدَأَ فِي عِلْمِهِ أَيَّامَ الْمُعْظَمِ ... وَكَانَ يَسْتَصْحِبُ مَصُورًا ، وَمَعَهُ الْأَصْبَاغُ وَاللِّيْقَ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَنَوُّعِهَا ؛ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي بِهَا النَّبَاتُ ، مِثْلَ جِبَالِ لُبْنَانَ ؛ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهَا بِشَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ ، فَيُشَاهِدُ النَّبَاتَ ، ثُمَّ يُحَقِّقُهُ ؛ وَيُرِيهِ لِلْمَصُورِ ؛ فَيُعْتَبِرُ لَوْنَهُ ، وَمِقْدَارَ وَرْقِهِ وَأَغْصَانِهِ وَأُصُولِهِ ، وَيُصَوِّرُ بِحُسْبِيَّهَا ؛ وَيَجْتَهِدُ فِي مُحَاكَاتِهَا . ثُمَّ إِنَّهُ سَلَكَ فِي تَصْوِيرِ النَّبَاتِ مَسْلَكًا مُفِيدًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُرِي النَّبَاتَ لِلْمَصُورِ فِي إِبَانِ نَبَاتِيهِ وَطَرَاوَتِهِ ، فَيُصَوِّرُهُ ؛ ثُمَّ يُرِيهِ إِيَّاهُ أَيْضًا وَقْتَ كَمَالِهِ وَظُهُورِ بَزْرِهِ فَيُصَوِّرُهُ تِلْكَ ذَلِكَ ؛ وَيُرِيهِ إِيَّاهُ أَيْضًا فِي وَقْتِ ذَوِيهِ وَيَبْسِهِ فَيُصَوِّرُهُ ؛ فَيَكُونُ الدَّوَاءُ الْوَاحِدُ يُشَاهِدُهُ النَّاطِرُ إِلَيْهِ فِي الْكِتَابِ ، وَهُوَ عَلَى انْحَاءٍ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرَاهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ ، فَيَكُونُ تَحْقِيقُهُ لَهُ أُنْتَمَ وَمَعْرِفَتُهُ لَهُ أَبْيَنَ .

عيون الانباء ج 2 ص 219

(I) الملك العادل : تقدمت ترجمته (قطعة رقم I34)

(141) الفلسفة

قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ (I) : «لَمَّا دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَبِي يَعْقُوبَ يُوسُفَ (2) بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَجَدْتُهُ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ طَفِيلٍ (3)، لَيْسَ مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا. فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يُشْنِي عَلَيَّ، وَيَذْكُرُ بَيْتِي وَسَلَفِي، وَيَضُمُّ بِفَضْلِهِ إِلَى ذَلِكَ أَشْيَاءَ لَا يَبْلُغُهَا قَدْرِي. فَكَانَ أَوَّلُ مَا فَتَحَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ سَأَلَنِي عَنْ إِسْمِي، وَاسْمِ أَبِي، وَنَسَبِي، أَنْ قَالَ لِي: مَا رَأَيْتُمْ فِي السَّمَاءِ - يَعْنِي الْفَلَاسِفَةَ - أَقْدِيمَةً هِيَ أَمْ حَدِيثَةٌ؟ فَأَذْرَكْنِي الْحَيَاءُ وَالْخَوْفُ (4)، فَأَخَذْتُ أَتَعَلَّلُ، وَأُنْكِرُ اشْتِغَالَي بِالْفَلَسَفَةِ، وَلَمْ أُدْرِ مَا قَرَّرَ مَعَهُ ابْنُ طَفِيلٍ. فَفَهِمَ مِنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرُّوعَ وَالْحَيَاءَ، فَالْتَفَتَ إِلَى ابْنِ طَفِيلٍ، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ الَّتِي سَأَلَنِي عَنْهَا، وَيَذْكُرُ مَا قَالَهُ أَرِسْطُوطَالِيَس (5) وَأَفْلَاطُون (6)، وَجَمِيعَ الْفَلَاسِفَةِ، وَيَذْكُرُ مَعَ ذَلِكَ احْتِجَاجَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ. فَرَأَيْتُ مِنْهُ

(I) ابن رشد: ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد، ولد بقرطبة، وكان أبوه وجده قاضيين - ضاع الكثير من كتبه وبقي بعض ما ترجم منها الى اللاتينية والعبرية. مات سنة 595 هـ. II98 م
(2) ابو يعقوب يوسف الموحدى انظر قطعة 63 .

(3) ابو بكر بن طفيل: ولد بوادي آش بالاندلس، وتعلم على ابن باجة وعلم الطب بقرطبة، وكان قاضيا بمراكش وطبيب ابي يعقوب . له كتاب «حي بن يقظان» .

(4) خاف ابن رشد لانه كان الاشتغال بالفلسفة يعد ايام المرابطين، عند بعض الناس من الزندقة ، وقد احرق الكثير من كتبهم .

(5) ارسطوطاليس : هو العالم اليوناني الشهير .

(6) افلاطون : تلميذ ارسطو وقد ترجم المسلمون جل كتبهما واستفادوا منها وانتقدوها .

غَزَارَةً حَظٌّ لَمْ أَظُنَّهَا فِي أَحَدٍ مِنَ الْمُسْتَقِيلِينَ بِهَذَا الشَّأْنِ الْمَتَفَرِّغِينَ لَهُ، وَلَمْ يَزَلْ
يُبْسِطُنِي حَتَّى تَكَلَّمْتُ فَعَرَفَ مَا عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا انْصَرَفْتُ أَمَرَ لِي بِمَالٍ
وَخِلْعَةٍ وَمَرْكَبٍ .

وَقَالَ : «اسْتَدْعَانِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الطُّفَيْلِ يَوْمًا فَقَالَ لِي : سَمِعْتُ الْيَوْمَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَتَشَكَّى مِنْ قَلْقِ عِبَارَةِ أَرِسْطُوطَالِيْس، أَوْ عِبَارَةِ الْمُتَرْجِمِينَ عَنْهُ،
وَيَذْكُرُ غُمُوضَ أَغْرَاضِهِ، وَيَقُولُ : لَوْ وَقَعَ لِهَذِهِ الْكُتُبِ مَنْ يُلَخِّصُهَا، وَيُقَرِّبُ
أَغْرَاضَهَا، بَعْدَ أَنْ يَفْهَمَهَا فَهَمًّا جَيِّدًا، لَقَرَّبَ مَاخَذَهَا عَلَى النَّاسِ. فَإِنْ كَانَ فِيكَ
فَضْلُ قُوَّةٍ لِذَلِكَ فَافْعَلْ. وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَفِيَّ بِهِ لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ جُودَةِ ذَهْنِكَ،
وَصَفَاءِ قَرِيحَتِكَ، وَقُوَّةِ نُزُوعِكَ إِلَى الصَّنَاعَةِ (7) .. فَكَانَ هَذَا الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى
تَلْخِيصِ مَا لَخَّصْتُهُ مِنْ كُتُبِ الْحَكِيمِ أَرِسْطُوطَالِيْس .

المعجب ص 147



(7) الصناعة : هنا الفلسفة .

(142) الجغرافيا

قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ (I)، عَنْ مَلِكِ صِقْلِيَّةَ، رُوِجِرَ الثَّانِي 3 : وَشَأْنُ مَلِكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ الشَّيْءِ وَاسْتِعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ.. وَرِجَالُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَلُوحُ عَلَيْهِمْ رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ، لِأَنَّهُمْ مَتَمَتُّعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ، وَالْمَرَائِبِ الْفَارِهَةِ.. (الرحلة)

قَالَ الْإِدْرِيسِيُّ (3) : «إِنَّ الْمَلِكَ رُوِجِرَ، الْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ، الْمُقْتَدِرُ بِقُدْرَتِهِ، مَلِكُ صِقْلِيَّةَ وَإِيطَالِيَّةَ وَأَنْكَرْدَةَ وَقَلُورِيَّةَ لَمَّا اتَّسَعَ سُلْطَانُهُ، أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ بِلَادِهِ، وَيَعْلَمَ أَشْكَالَهَا وَحُدُودَهَا، وَمَسَاكِنَهَا بَرًّا وَبَحْرًا، فَطَلَبَ الْكُتُبَ الَّتِي أَلْفَتْ فِي الْجُغْرَافِيَّةِ وَالْأَقَالِيمِ، فَلَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فِيهَا مَشْرُوحًا مَفْصَلًا . فَأَحْضَرَ لَدَيْهِ الْغَارِفِينَ بِهَذَا الشَّأْنِ، وَبَاحَثَهُمْ فِيهَا، فَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ رَأْيُهُمْ وَصَحَّ عِنْدَهُ نَقْلُهُمْ أَبْقَاهُ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَرْجَاهُ. أَقَامَ فِي ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. فَلَمَّا تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ، أَمَرَ أَنْ يُقَرَّغَ لَهُ، مِنْ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ، دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ (*)»

(*) فائدة: المشهور أن الإدريسي هو الذي وقف على صنع هذه الدائرة. وعلى كل حال فقد جاء كتابه واصفا لما في أشكال الدائرة، وصورها، وقد ظل هذا الكتاب عمدة أوربا في الجغرافية، وخاصة فيما يتعلق بالبلاد الشرقية، مدة طويلة .

(I) ابن جبير : انظر ترجمته في آخر الكتاب .

(2) روجر الثاني: ملك صقلية من سنة 1101 إلى 1154 م.

(3) الإدريسي : أبو عبد الله محمد الشريف ولد بسبته، وتعلم بقرطبة، وسافر كثيرا، وأقام ببلاط روجر مدة طويلة، وهناك وضع كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وحلاه بعدة خرائط. مات سنة 560 هـ. 1166 م.

الجُرم، ضَخْمَةُ الجِسْمِ، فِي وَزْنِ أَرْبَعَمِائَةِ رُطْلٍ، فِي كُلِّ رُطْلٍ مِنْهَا مِائَةُ
وَإِثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا، ثُمَّ أَمَرَ الْفَعْلَةَ أَنْ يَنْقُشُوا عَلَيْهَا صُورَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ
بِبِلَادِهِ، وَأَطْوَالِهَا وَأَقْطَارِهَا، وَسُبُلِهَا، وَرِيفِهَا وَخُلُجَانِهَا وَبِحَارِهَا، وَمَجَارِيهَا
وَنَوَاجِعَ أَنْهَارِهَا، وَغَامِرِهَا وَغَامِرِهَا، وَمَا بَيْنَ كُلِّ بَلَدٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّرِيقَاتِ
الْمَطْرُوقَةِ، وَالْأُمِّيَالِ الْمَحْدُودَةِ، وَالْمَسَافَاتِ، وَالْمَرَاسِي، وَلَا يُغَادِرُوا فِيهَا شَيْئًا،
نَزْهَةً الْمَشْتَقِ



صورة ابن سينا التي أمكن التقاطها من اللوحة المرسومة على حائط
مكتبة باكسفورد (عن مجلة المستمع العربي)

(143) الزلازل

قال الشيخ ابن سينا (I) في كتابه الشفاء : «أما الزلزلة فإنها حركة تُعرض لجزء من أجزاء الأرض، بسبب ما تحته، ولا محالة أن ذلك السبب يُعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه. والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض ويحرك الأرض إما جسم بخاري دخاني قوي الإندفاع كالرياح الذي يشق الخوابي إذا تولد في العصير، وإما جسم مائي سيال، وإما جسم هوائي، وإما جسم ناري. وإما جسم أرضي. وأما الجسم الناري فإنه لا يحدث تحت الأرض وهو نار صرفة، بل يكون لا محالة في حكم الدخان القوي، وفي حكم الرياح المشتعلة... والجسم الأرضي لا تعرض له الحركة أيضاً إلا بسبب مثل الذي عرض لهذا الجسم الناري، فيكون السبب الأول الفاعل للزلزلة ذلك. وأما الجسم الريحي نارياً كان أو غير ناري، فإنه يجب أن يكون هو المنبعث تحت الأرض الموجب لتموج الأرض في أكثر الأمر». (*)



(*) فائدة: «على هذا النحو من التحري تقررت في كتاب ابن سينا فوائد قيمة، عن تكوين الجبال والمعادن والحجارة، واجتمعت له ملاحظات عن الظواهر الجوية كالسحب والرياح وقوس قزح الخ» .

سلسلة «اقرأ» ج 46

(I) الشيخ ابن سينا : تقدمت ترجمته في قطعة رقم I34

(144) بناء مرصد

لَمَّا قَدِمَ شَرِيفُ الدَّوْلَةِ (I) إِلَى بَغْدَادَ، أَمَرَ فِي سَنَةِ 378، بِرُصْدِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ فِي مَسِيرِهَا وَتَنْقُلِهَا فِي بَرُوجِهَا، عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْمَأْمُونُ فَعَلَهُ فِي أَيَّامِهِ، وَغَوَّلَ عَلَى ابْنِ سَهْلٍ وَيَجْنُ بْنُ رُسْتَمِ الْكُوفِيِّ (2) فِي الْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْهَنْدَسَةِ وَعِلْمِ الْهَيْئَةِ. فَبَنَى بَيْتًا فِي دَارِ الْمَمْلَكَةِ، فِي آخِرِ بُسْتَانٍ، مِمَّا يَلِي بَابَ الْحَطَّابِينَ، وَأَحْكَمَ أَسَاسَهَا وَقَوَّاعِدَهَا لِئَلَّا يَضْطَرِبَ بُنْيَانُهَا، أَوْ يَجْلِسَ شَيْءٌ مِنْ حَيْطَانِهَا. وَعَمَلَ فِيهَا آلَاتَ اسْتَخْرَجِهَا، وَرَصَدَ مَا كُتِبَ بِهِ مَحْضَرَانِ، فِيهِمَا خُطُوطُ الْحَاضِرِينَ بِمَا شَهِدُوا. وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ، وَهَذِهِ نُسْخَةُ الْمُحْضِرِ الْأَوَّلِ.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اجْتَمَعَ مَنْ ثَبَتَ خَطُّهُ وَشَهِادَتُهُ فِي أَسْفَلِ هَذَا الْكِتَابِ، مِنَ الْقَضَاةِ وَوُجُوهِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالْكَتَّابِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَالْمُهَنْدِسِينَ، بِمَوْضِعِ الرُّصْدِ الشَّرِيفِ الْمَيْمُونِ، عَظَّمَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ وَسَعَادَتَهُ، فِي الْبُسْتَانِ مِنْ دَارِ مَوْلَانَا السَّيِّدِ الْأَجَلِّ .. شَاهِنْشَاهُ شَرِيفِ الدَّوْلَةِ .. بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ، مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ، لِلْيَلِثَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرِ سَنَةِ 378، وَهُوَ الْيَوْمُ السَّادِسُ عَشَرَ مِنْ حَزِيرَانَ 1299 لِلْأَسْكَندَرِ، فَتَقَرَّرَ الْأَمْرُ فِيمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْآلَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا أَبُو سَهْلٍ وَيَجْنُ بْنُ رُسْتَمِ الْكُوفِيُّ، عَلَى أَنْ دَلَّتْ

(I) شريف الدولة : هو ابو الفوارس ابن عضد الدولة - خلف ابيه في ايام الخليفة العباسي الطائع لله. عرف بالعطف على الرعية. مات ببغداد سنة 379 هـ.

(2) ابو سهل الكوفي: هو المنجم الفاضل العالم بعلم الهيئة وصنع الآلات له مصنعات كثيرة في الهندسة والتنجيم، منها كتاب الاصول على تحريكات اقليدس، وكتاب الزيادات على ارشيماد .

عَلَى صِحَّةٍ مَدْخَلَ الشَّمْسِ رَأْسَ السَّرَطَانِ، بَعْدَ مُضِيِّ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مُعْتَدِلَةٍ
سَوَاءً، مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ، الَّتِي صَبَّاحُهَا الْمَذْكُورُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، وَاتَّفَقُوا
جَمِيعًا عَلَى التَّيَقُّنِ لِدَلِيلِكَ، وَالثَّقَّةِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُنَجِّمِينَ
وَالْمُهَنْدِسِينَ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَخِبْرَةٌ بِهَا، تَسْلِيمًا
لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَهُمْ، إِنَّ هَذِهِ الْآلَةَ جَلِيلَةٌ الْخَطَرِ، بَدِيعَةُ الْمَعْنَى، مُحْكَمَةُ
الصَّنْعَةِ، وَاضِحَةُ الدَّلَالَةِ، زَائِدَةٌ فِي التَّدْقِيقِ عَلَى جَمِيعِ الْآلَاتِ الَّتِي عَرَفْتُ
وَعَهَدْتُ، وَأَنَّهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ فِي الْأَمْرِ الْمَرْصُودِ، وَالْغَرَضُ
الْمُقْصُودُ، وَأَدَّى الرِّصْدُ بِهَا إِلَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَ سَمَتِ الرَّأْسِ مِنْ مَدَارِ رَأْسِ
السَّرَطَانِ سَبْعَ دَرَجٍ وَخَمْسِينَ دَقِيقَةً، وَأَنْ يَكُونَ الْمِيلُ الْأَعْظَمُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ
بُعْدِ مَنْطِقَةِ فَلَكَ الْبُرُوجِ عَنْ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ، ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَإِحْدَى
وَخَمْسِينَ دَقِيقَةً وَثَانِيَةً، وَأَنْ يَكُونَ عَرَضُ الْمَوْضِعِ الَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهُ وَوَقْعُ الرِّصْدِ
فِيهِ كَذَا وَكَذَا، وَذَلِكَ هُوَ ارْتِفَاعُ قُطْبِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَنْ أَفْقِ هَذَا الْمَوْضِعِ
وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَنُسَخَةُ الْمُحَضَّرِ الثَّانِي هِيَ :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. ثُمَّ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ، لِثَلَاثِ لَيَالٍ
خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ 378 .. وَالثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ أَيْلُولِ سَنَةِ 1299
لِلْأَسْكَندَرِ، جَمَاعَةٌ مِمَّنْ ثَبَتَ خَطُّهُ مِنَ الْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَالْمُهَنْدِسِينَ
وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْمُهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ، بِحَضْرَةِ الْآلَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا فِي صَدْرِ هَذَا
الْكِتَابِ، عَلَى أَنْ رَصَّدُوا مَدْخَلَ الشَّمْسِ رَأْسَ الْمِيزَانِ بِهَذِهِ الْآلَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ
بَعْدَ مُضِيِّ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ مِنَ الْيَوْمِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ، وَهُوَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ . فَكَتَبَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَطُّهُ بِصِحَّةٍ مَا شَاهَدَهُ مِنْ ذَلِكَ، فِي التَّارِيخِ. وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ

الوكيل . أَسْمَاءَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا لِذَلِكَ وَكَتَبَ خَطَّهُ آخِرَ هَذَيْنِ الْمُحَضَّرَيْنِ :
القَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ صَبْرٍ، والقَاضِي أَبُو الحَسَنِ الخَوَزِي، وَأَبُو إِسْحَاقَ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِلَالٍ، وَأَبُو سَعْدٍ الفَضْلِ بْنِ بُولِسٍ النَّصْرَانِي الشَّيرَازِي، وَأَبُو
سَهْلٍ وَيَجْنُ بْنُ رُسْتَمٍ، وَأَبُو الوَفَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحَاسِبِ، وَأَبُو حَامِدٍ
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّانَغَانِي صَاحِبِ الْأَصْطُرْلَاقِ، وَأَبُو الحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
السَّامِرِي وَأَبُو الحَسَنِ المَغْرِبِي .

كتاب اخبار الحكماء ص 230



(145) فكرة صائبة تحقت في زماننا

وَمِمَّا يُحْكِي أَنَّهُ كَانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمانِ، مَلِكٌ عَظِيمٌ ذُو خَطَرٍ جَسِيمٍ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ مِثْلَهُ الْبُدُورِ السَّافِرَةِ، وَالزَّيَاضِ الزَّاهِرَةِ، وَوَلَدَ ذَكَرٌ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ. فَبَيْنَمَا الْمَلِكُ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلُوكَتِهِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ، مَعَ أَحَدِهِمْ طَاوُوسٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَعَ الثَّانِي بُوقٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَمَعَ الثَّلَاثِ فَرَسٌ مِنْ عِجَاجٍ وَأَبْنُوسٍ. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: مَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ وَمَا مَنِّفَعَتُهَا؟ فَقَالَ صَاحِبُ الطَّاوُوسِ: إِنَّ مَنِّفَعَةَ هَذَا الطَّاوُوسِ، إِنَّهُ كُلَّمَا مَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، يُصَفِّقُ بِأَجْنِحَتَيْهِ، وَيَزِعِقُ. وَقَالَ صَاحِبُ الْبُوقِ: إِنَّهُ إِذَا وُضِعَ هَذَا الْبُوقُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، يَكُونُ كَالْمَحَافِظِ عَلَيْهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ عَدُوٌّ يَزِعِقُ عَلَيْهِ هَذَا الْبُوقُ، فَيُعْرِفُ وَيُمَسِّكُ بِالْيَدِ، وَقَالَ صَاحِبُ الْفَرَسِ: يَا مَوْلَايَ إِنَّ مَنِّفَعَةَ هَذَا الْفَرَسِ أَنَّهُ إِذَا رَكَبَهَا إِنْسَانٌ تَوَصَّلَهُ إِلَى أَيِّ بِلَادٍ أَرَادَ. فَقَالَ الْمَلِكُ: لَا أُنْعِمُ عَلَيْكُمْ حَتَّى أُجَرِّبَ مَنَافِعَ هَذِهِ الصُّورِ. ثُمَّ أَنَّهُ جَرَّبَ الطَّاوُوسَ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ صَاحِبُهُ، وَجَرَّبَ الْبُوقَ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ صَاحِبُهُ... فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ الْفَرَسَ تَقَدَّمَ ابْنُ الْمَلِكِ وَقَالَ: يَا وَالِدِي أَنَا أُرَكِّبُ هَذِهِ الْفَرَسَ وَأُجَرِّبُهَا وَأُخْتَبِرُ مَنِّفَعَتَهَا.. فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ الْحَكِيمُ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ، وَأَرَاهُ لَوْلَبَ الصُّعُودِ، وَقَالَ لَهُ: افْرِكْ هَذَا اللَّوْلَبَ، فَفَرَّكَهُ فَإِذَا بِالْفَرَسِ قَدْ تَحَرَّكَ وَطَارَتْ بِابْنِ الْمَلِكِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَزَلْ طَائِرَةً بِهِ حَتَّى غَابَ عَنِ الْأَعْيُنِ .. (*)

الف ليلة وليلة

(*) ان ما يحكى هنا خيالى ولكن لا يخلو من افكار صائبة ، ليست الساعة الناطقة وآلات الانذار (وبالخصوص انذار) والطيارات الا وليدة مثل هذه الافكار ؟ - ألم يتحقق مثلا اكثر ما جاء في كتاب المؤلف الفرنسى جول فارين؟

الباب الرابع

الفصل السابع

الفنون

قال الرصافي

أَرْقَى الشُّعُوبِ تَمَدُّناً وَحَضَارَةً

مَنْ كَانَ فِي الْفُنُونِ عَرِيفاً

إِنَّ مَظَاهِرَ الْفَنِ الْإِسْلَامِيِّ تَنَجَّلَتْ فِي أَكْثَرِ الْقِطَعِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ
وَبِالْخُصُوصِ فِي بَابِ الْعِمَارَةِ ، وَلِذَلِكَ اكْتَفَيْنَا هُنَا بِإِيرَادِ
عِدَّةِ صُورٍ طَرِيفَةٍ لِمَا أُنتَجَتْ بِغَضِّ مَهَرَةِ الصَّنَاعِ ، تَلْبِيَةً لِمَطْلَبِ
غَنِيِّ ذِي ذَوْقٍ سَلِيمٍ ، أَوْ إِرْضَاءٍ لِنَزْعَةِ دِينِيَّةٍ نَبِيلَةٍ .

(146) مباراة بين مصورين

كَانَ الْيَازُورِيُّ، أَحَدَ وُزَرَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ (I)، شَغُوفًا بِالنَّظَرِ إِلَى الصُّوَرِ
وَالْكِتَابِ الْمَزُوقَةِ، وَلَوْعًا بِالتَّحْرِيطِ بَيْنَ الْمَصُورِينَ. وَقَدْ حَدَّثَ مَرَّةً أَنَّهُ اسْتَدْعَى
ابْنَ عَزِيزِ الْمَصُورِ الْعِرَاقِيَّ لِمُبَارَاةِ الْمَصُورِ الْمَصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصِيرِ. فَلَمَّا
خَضَرَ الْإِثْنَانِ فِي مَجْلِسِهِ، قَالَ ابْنُ عَزِيزٍ : «أَنَا أَصَوِّرُ صُورَةً، إِذَا رَأَاهَا النَّاطِرُ
ظَنَّ أَنَّهَا خَارِجَةٌ مِنَ الْحَائِطِ». وَقَالَ الْقَصِيرُ : «أَمَّا أَنَا فَأَصَوِّرُهَا، فَإِذَا نَظَرَهَا
النَّاطِرُ ظَنَّ أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْحَائِطِ». فَقَالَ الْوَزِيرُ : «هَذَا أَعْجَبُ» وَأَمَرَهُمَا
أَنْ يَصْنَعَا مَا وَعَدَا بِهِ. فَصَوَّرَا صُورَتَيْنِ فِي حَائِطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ ، فَكَانَتْ
صُورَةُ الْقَصِيرِ بِثِيَابٍ بَيْضٍ، وَقَدْ ذَهَنَ أَكْنِيَّةً (2) بِالسَّوَادِ، فَكَانَتْ كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ
فِيهَا. وَصَوَّرَهَا ابْنُ عَزِيزٍ بِثِيَابٍ حُمْرٍ، وَقَدْ جَعَلَ أَكْنِيَّةً صَفْرَاءَ، فَكَانَتْ كَأَنَّهَا
خَارِجَةٌ مِنْهَا. فَاسْتَحْسَنَ الْيَازُورِيُّ مَهَارَتَهُمَا وَحَلَعَ عَلَيْهِمَا، وَوَهَبَ لَهُمَا كَثِيرًا
مِنَ الذَّهَبِ .



-
- (I) الفاطميون : هم اصحاب الدعوة الشيعية الذين قاموا بالمغرب وفتحوا
مصر فحكموها نحو القرنين (909 - 1171م) .
- (2) اكنية ج كن : وقاء كل شيء وستره، واكتنت المرأة غطت وجهها
حياء من الناس .
- (*) انظر كتاب : «التصوير في الاسلام» للدكتور زكي مبارك محمد حسن
(مصر 1936) .

(147) فلم الجبر « منبلو »

قَالَ الْقَاضِي التَّعَمَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ: ذَكَرَ الْإِمَامُ الْمِعْزُ لِدِينِ اللَّهِ (I) الْقَلَمَ، فَوَصَّفَ فَضْلَهُ، وَرَمَزَ فِيهِ بِبَاطِنِ (2) الْعِلْمِ، ثُمَّ قَالَ: «نُرِيدُ أَنْ نَعْمَلَ قَلَمًا نَكْتُبُ بِهِ بِلَا اسْتِمْدَادٍ مِنْ دَوَاةٍ، يَكُونُ مِدَادُهُ فِي دَاخِلِهِ، فَمَتَى شَاءَ الْإِنْسَانُ كَتَبَ بِهِ فَأَمَدَّهُ، وَكَتَبَ بِهِ فَأَمَدَّهُ، وَكَتَبَ بِهِ مَا شَاءَ، فَلِنْ تَرَكَهُ ارْتَفَعَ الْمِدَادُ وَكَانَ الْقَلَمُ نَاشِطًا مِنْهُ، يَجْعَلُهُ الْكَاتِبُ فِي كُمِهِ أَوْ حَيْثُ شَاءَ فَلَا يُؤْثِرُ فِيهِ، وَلَا يَرِشَحُ شَيْءٌ مِنَ الْمِدَادِ عَنْهُ، وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ مَا يَبْتَغِي مِنْهُ، وَيُرَادُ الْكِتَابَةُ مِنْهُ، فَيَكُونُ آلَةً عَجِيبَةً لَمْ نَعْلَمْ أَتْنَا سُبْقِنَا إِلَيْهَا، وَدَلِيلًا عَلَى حِكْمَةِ بَالِغَةٍ لِنَنْتَمِلَهَا وَنَعْرِفَ وَجْهَ الْمَعْنَى فِيهَا» فَقُلْتُ: «وَيَكُونُ هَذَا يَامُولَانَا عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ (3)؟» قَالَ: «يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فَمَا مَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ، حَتَّى جَاءَ الصَّانِعُ الَّذِي وَصَفَ لَهُ الصَّنْعَةَ، بِالْقَلَمِ مَعْمُولًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَوْدَعَهُ الْمِدَادَ، وَكَتَبَ بِهِ فَكَتَبَ، وَزَادَ شَيْئًا مِنَ الْمِدَادِ عَلَى مِقْدَارِ الْحَاجَةِ. فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ شَيْءٍ مِنْهُ فَأَصْلَحَهُ وَجَاءَ بِهِ، فَلِذَا هُوَ قَلَمٌ يُقَلَّبُ فِي الْيَدِ وَيَعْمَلُ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَلَا يَبْدُو مِنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْمِدَادِ. فَلِذَا أَخَذَهُ الْكَاتِبُ وَكَتَبَ بِهِ، كَتَبَ أَحْسَنَ كِتَابٍ مَا شَاءَ أَنْ يَكْتُبَ بِهِ، ثُمَّ إِذَا رَفَعَهُ عَنِ الْكِتَابِ أُمْسِكَ الْمِدَادُ.

(I) المعز لدين الله: هو الخليفة الفاطمي الرابع - في عهده فتحت مصر وبنيت القاهرة وجامعتها الأزهر. مات سنة 365 هـ، 975 م
انظر القطعة السابقة (الفاطمين).

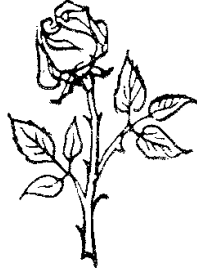
(2) باطن العلم: ان الشيعة ومنهم الفاطميون باطنية (انظر قطعة رقم 103)

(3) قال الوزير «يامولانا عليك سلام الله»: لانه يخاطب خليفة من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا كان يدعى لائمة الشيعة.

فَرَأَيْتُ صَنْعَةً عَجِيبَةً لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّ أَرَى مِثْلَهَا، وَتَبَيَّنَ فِيهِ مَثَلٌ حَسَنٌ فِي
أَنَّهُ لَا يَسْمَحُ بِمَا عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَلَا يَجُودُ لِغَيْرِ مُبْتَغٍ، وَلَا يَخْرُجُ
مِنْهُ مَا يَضُرُّ فَيُلْطِخُ يَدَ مَنْ يُمْسِكُهُ أَوْ ثَوْبَهُ أَوْ مَا لَصَقَ بِهِ. فَهُوَ نَفْعٌ لَا ضَرَرَ
وَجَوَادٌ لِمَنْ سَأَلَ، وَمُمْسِكٌ عَمَّنْ لَمْ يَسْأَلْ .

عن مخطوط بالقاهرة «المجالس والمسامرات»

للقاضي النعمان -- ذكرته الاذاعة المغربية



148 (المقصورة والمنبر «النومانيكيات»

لَمَّا بَنَى الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ (I) مَسْجِدَهُ بِمَرَاكُشٍ، صَنَعَ فِيهِ سَابَاطًا (2) يَدْخُلُ مِنَ الْقَصْرِ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ إِلَى الْجَامِعِ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ. وَنَقَلَ إِلَيْهِ مِنْبَرًا عَظِيمًا، كَانَ قَدْ صَنَعَهُ بِالْأَنْدَلُسِ، فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ، قَطَعَاتُهُ عُودٌ وَصَنْدَلٌ أَحْمَرٌ وَأَصْفَرٌ، وَصَفَائِحُهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَصَنَعَ مَقْصُورَةً مِنَ الْخَشَبِ لَهَا سِتَّةُ أَضْلَاحٍ تَسَعُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ. وَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِصُنْعِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ، يُقَالُ لَهُ الْحَاجُّ يَعِيشُ، وَهُوَ الَّذِي ابْتَنَى جَبَلَ الْفَتْحِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ، فِي مَدَّةِ الْخَلِيفَةِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ. وَكَيْفِيَّةُ هَذِهِ الْمَقْصُورَةِ أَنَّهَا وَضِعَتْ عَلَى حَرَكَاتٍ هَنْدَسِيَّةٍ تَرْفَعُ بِهَا لِخُرُوجِهِ وَتَخْفُضُ لِدُخُولِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ عَلَى يَمِينِ الْمِحْرَابِ بَابٌ دَاخِلُهُ الْمَنْبَرُ، وَعَنْ يَسَارِهِ بَابٌ دَاخِلُهُ دَارٌ فِيهَا حَرَكَاتُ الْمَقْصُورَةِ وَالْمَنْبَرِ. وَكَانَ دُخُولُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَخُرُوجُهُ مِنْهَا. فَكَانَ إِذَا قَرَّبَ وَقْتُ الرَّوَّاحِ إِلَى الْجَامِعِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، دَارَتْ الْحَرَكَةُ بَعْدَ رَفْعِ الْبَسِطِ عَنْ مَوْضِعِ الْمَقْصُورَةِ، فَتَطْلُعُ الْأَضْلَاحُ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ، لَا يَفُوتُ بَعْضُهَا بَعْضًا بِدَقِيقَةٍ، وَكَانَ بَابُ الْمَنْبَرِ مَسْدُودًا، فَإِذَا قَامَ الْخَطِيبُ لِيَطْلُعَ إِلَيْهِ انْفَتَحَ الْبَابُ وَخَرَجَ الْمَنْبَرُ فِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَسْمَعُ لَهُ حِسٌّ وَلَا يَرَى تَدْبِيرَهَا. يَقُولُ

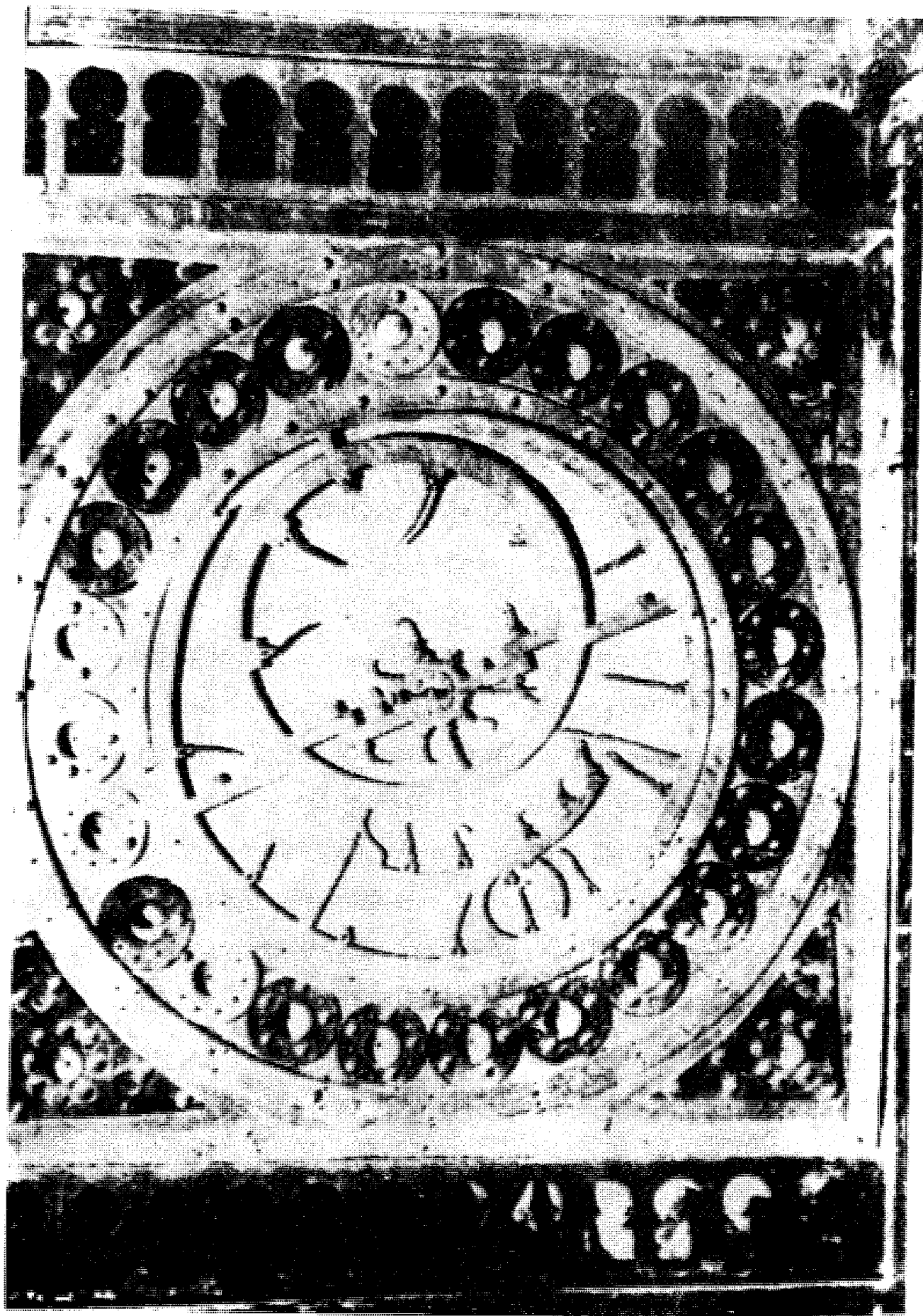
فِيهَا الْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَجِيرٍ الْحِمِيرِيُّ الْفَهْرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ : (كامل)

| | |
|--|---|
| طَوْرًا تَكُونُ بَيْنَ حَوْتِهِ مُحِيطَةٌ | فَكَانَتْهَا سُوْرٌ مِنَ الْأَسْوَارِ |
| وَتَكُونُ طَوْرًا عَنْهُمْ مَخْبُوءَةٌ | فَكَانَتْهَا سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ |
| وَكَانَتْهَا عَلِمَتْ مَقَادِيرُ الْوَرَى | فَتَصَرَّفَتْ لَهُمْ عَلَى مِقْدَارِ |
| فَإِذَا أَحْسَسَتْ بِالْأَمِيرِ يَزُورُهَا | فِي قَوْمِيهِ، قَامَتْ إِلَى الزُّوَارِ |
| يَبْلُو، فَتَبْلُو، ثُمَّ تَخْفَى بَعْدَهُ | فَتَكُونُ كَالهَالَاتِ لِلْأَقْمَارِ |

الحلل الموشية

(I) عبد المؤمن تقدمت ترجمته قطعه 73

(2) ساباط : مجاز مسقف - ويقال باللغة العامية «صابة».



الاسطرلاب المرتبطة بالساعة المائيه التي تعتبر أقدم ساعة من نوعها في العالم
(القرويين - في عهد بنى مرين)

149) حسابات مسجد دمشق

وَعَنْ يَمِينِ الْخَارِجِ مِنْ بَابِ جِزُونَ فِي جِدَارِ الْبِلَاطِ الَّذِي أَمَامَهُ، غُرْفَةٌ وَلَهَا هَيْئَةٌ طَاقٍ كَبِيرٍ مُسْتَدِيرٍ، فِيهِ طِيقَانٌ صُفْرٌ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابًا صِغَارًا عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَدَبَّرَتْ تَدْبِيرًا هَنْدَسِيًّا، فَعِنْدَ انْقِضَاءِ سَاعَةِ مِنَ النَّهَارِ، تَسْقُطُ صَنْجَتَانِ مِنَ صُفْرِ مِنْ فَمَيَّ بَارِزَيْنِ مُصَوَّرَيْنِ مِنَ صُفْرِ، قَائِمَيْنِ عَلَى طَاسَتَيْنِ مِنَ صُفْرِ، تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، أَحَدُهُمَا تَحْتَ أَوَّلِ بَابٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ وَالثَّانِي تَحْتَ آخِرِهَا، وَالطَّاسَتَانِ مَثْقُوبَتَانِ، فَعِنْدَ وَقُوعِ الْبُنْدُقَتَيْنِ فِيهِمَا تَعُودَانِ دَاخِلَ الْجِدَارِ إِلَى الْغُرْفَةِ، وَتُبْصِرُ الْبَارِزَيْنِ يَمْدَانِ أَعْنَاقَهُمَا بِالْبُنْدُقَتَيْنِ إِلَى الطَّاسَتَيْنِ، وَيَقْدِفَانَهُمَا بِسُرْعَةٍ، بِتَدْبِيرٍ عَجِيبٍ تَخْتَلِيهِ الْأَوْهَامُ سِحْرًا. وَعِنْدَ وَقُوعِ الْبُنْدُقَتَيْنِ فِي الطَّاسَتَيْنِ يُسْمَعُ لَهَا دَوًى، وَيَنْغَلِقُ الْبَابُ الَّذِي هُوَ لِتِلْكَ السَّاعَةِ لِلْحِينِ يَلُوجُ مِنَ الصُّفْرِ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ عِنْدَ انْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ حَتَّى تَنْغَلِقَ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا، وَتَنْقُضِيَ السَّاعَاتُ، وَتَعُودَ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِ !

وَلَهَا بِاللَّيْلِ تَدْبِيرٌ آخَرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْقَوْسِ الْمُنْعَطِفِ عَلَى تِلْكَ الطِّيقَانِ الْمَذْكُورَةِ، اثْنَتَى عَشْرَةَ دَائِرَةً مِنَ النُّحَاسِ مُحَرَّمَةٍ، وَتَعْتَرِضُ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ زُجَاجَةٌ مِنْ دَاخِلِ الْجِدَارِ فِي الْغُرْفَةِ، مَدْبَرٌ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا خَلْفَ الطِّيقَانِ الْمَذْكُورَةِ، وَخَلْفَ الزُّجَاجَةِ مِصْبَاحٌ يَدُورُ بِهِ الْمَاءُ عَلَى تَرْتِيبٍ مِقْدَارِ السَّاعَةِ. فَلِذَا انْقَضَتْ عَمَّ الزُّجَاجَةِ ضَوْءُ الْمِصْبَاحِ ، وَفَاضَ عَلَى الدَّائِرَةِ أَمَامَهَا شُعَاعُهَا، فَلَا حَتَّ لِلْأَبْصَارِ دَائِرَةً مُحَرَّمَةً، ثُمَّ انْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى أُخْرَى، حَتَّى تَنْقُضِيَ سَاعَاتُ اللَّيْلِ وَتَحْمَرُّ الدَّوَائِرُ كُلُّهَا .

وَقَدْ وَكَّلَ بِهَا فِي الْغُرْفَةِ مُتَفَقِّدٌ لِحَالِهَا، دَرَبٌ بِشَانِهَا وَانْتَقَالَهَا يُعِيدُ فَتَحَ الْأَبْوَابِ وَصَرَفَ الصَّنِجَ إِلَى مَوْضِعِهَا وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا النَّاسُ الْمَنْجَانَةَ.

(150) مَادِيَّة طَرِيفَة فِي دَارِ ظَرِيفَة

كَانَ بَغْدَادَ دَارُ قَدِيمَةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ ، مَعْظَمَةُ فِي نُفُوسِهِمْ ،
يَجْتَمِعُ فِيهَا دِجْلَةُ وَالْفَرَاتُ. فَعَمَّرَهَا الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَاخِرٍ، وَأَنْتَهَى خَبَرُهَا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ (I)، فَأَحَبَّ النَّظَرَ
إِلَيْهَا. فَاصْطَنَعَ لَهُ أَبُو الْفَضْلِ طَعَامًا، وَرَتَّبَ النَّاسَ عَلَى أَحْسَنَ مَا يَكُونُ،
وَفَرَّشَ مَجَالِسَهَا وَقِبَابَهَا وَمَحَالَهَا وَرِحَابَهَا بِاللَّوَانِ الْفَرَشِ، وَأَصْنَفَ الْأَمْتَعَةَ
مِنَ الدِّيَابِاجِ السُّنْدُسِيِّ الْمُنْسُوجِ لَهَا بِقَدْرِ أَطْوَالِهَا وَأَعْرَاضِهَا، الْمُثْقَلِ بِالذَّهَبِ،
وَالْأَرْمَنِ الرَّفِيعِ عَلَى أَصْنَافِهِ ، وَالْخَزَائِمِ الْمَقْطُوعِ الْمَرْقُومِ الْمُثْقَلِ بِالذَّهَبِ عَلَى أَجْنَاسِهِ
وَاللَّوَانِ، وَالْمَحْفُورِ الدَّجْلِيِّ الْقَدِيمِ، وَالْمَحْفُورِ الْأَرْمَنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ
الْفَرَشِ مِمَّا أَحَدَتْهُ الْعِرَاقِيُّونَ .

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى حِينِ طَيْبِ الزَّمَانِ، وَاجْتِمَاعِ خَيْرَاتِ كُلِّ أَوَانٍ، فِي زَمَنِ
الْوَرْدِ، وَوَقْتُ التَّيْرُوزِ الْفَارِسِيِّ (2)، وَهُوَ حِينَ تَكَامِلِ النَّبْتِ، وَزِيَادَةِ الْمِيَاءِ،
وَطُلُوعِ الثَّمَارِ، وَزَهْرِ الْأَشْجَارِ . وَاصْطَنَعَ فِي الْبُسْتَانِ الْأَعْظَمِ عَلَى الْبَرْكَةِ،
الَّتِي يَجْتَمِعُ بِفَنَائِهَا دِجْلَةُ وَالْفَرَاتُ، قَصْرًا مَبْنِيًّا مِنَ السُّكَّرِ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ،
بِأَبْوَابٍ تَدُورُ بِهِ، وَأَبْوَابٍ تَغْلُقُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقِهَا طَبَقَةٌ فَطَبَقَةٌ، تَطْلُعُ مِنْ تِلْكَ
الْأَبْوَابِ صَوَرٌ مِنَ السُّكَّرِ عَلَى هَيْئَةِ الْجَوَارِي وَالْغُلَّامَانِ، بِصُنُوفِ الْمَلَاهِي فِي
أَحْسَنِ الْمَلَابِسِ وَالْحُلَلِ، وَجَعَلَ عَلَى شُرَفَاتِهَا وَطَبَقَاتِهَا وَحَنَائِيهَا، أَنْوَاعَ الطَّيْرِ

(I) أحمد بن بويه: هو أمير الأمراء معز الدولة الديلمي - دخل بغداد
أيام الخليفة المستكفي أي سنة 334 هـ. 945 م. وكان يلقب بالسلطان
(2) النيروز : والنوروز : عند الفرس ، أول يوم من السنة الشمسية
وهو يوم تقام فيه الأفراح وتقدم فيه الهدايا للأكابر وللأصدقاء

وَالْحَيَوَانِ وَالْوُحُوشِ، وَجَعَلَ مِنْ وَرَائِهَا رِجَالًا تَنْفُخُ بِالْبُوقَاتِ وَالْمَرَامِيرِ، كُلُّ صِنْفٍ يَخْرُجُ مِنْهُ صَوْتُ يَلِيقُ بِصُورَتِهِ صَوْتُ مِثْلِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ السُّكَّرِ الْمَمُوهِ بِصُنُوفِ الْأَصْبَاغِ وَالنَّقُوشِ وَالذَّهَبِ. ثُمَّ نَصَبَ الْقِيَانُ (3) وَأَصْحَابَ الْمَلَاهِي عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، مُتَصَدِّرِينَ فِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ. وَحَضَرَ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ، وَوُلْدُهُ بِخْتِيَارٍ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ، كُلُّ مِنْهُمْ فِي قَوَادِهِ وَجُنْدِهِ وَكُتَابِهِ وَوُجُوهِ رِجَالِهِ وَحَاشِيَتِهِ، وَأَمَرَ بِعَرْضِ دِجْلَةٍ، فَمَدَّ مِنْ جَانِبِهَا الْغُرْبَى، الِذِي هُوَ الرُّكْنُ الْمُجْتَمِعُ فِيهِ دِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ، إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ الِذِي بِإِزَائِهِ حَبْلٌ مَقْتُولٌ، وَنَشَرَ عَلَى الْمَاءِ مِنَ الْوَرْدِ مَا غَطَّى دِجْلَةً مِنَ الْجَانِبِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، إِلَّا مَا خَرَقَتْهُ أَنْوَاعُ الْمَرَائِبِ مِنَ الطَّيَارَاتِ وَالزَّلَّالَاتِ وَالْحَدِيدِيَّاتِ وَالذِّيَابِ وَالشَّمَارِيَّاتِ الَّتِي رَكَبَهَا أَحْمَدُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ.. وَصَارَ ذَلِكَ الْوَرْدُ مُسْتَقْبِلُ الْمُنْحَدِرِ إِلَى الدَّارِ يَمْنَعُهُ الْحَبْلُ مِنَ الْجَرِيِّ مَعَ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ.

ثُمَّ تَلَقَّى أَحْمَدُ وَبَنِيهِ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْحَبَاءِ، فَكَانَ مِنْ صُنُوفِ ذَلِكَ دَنَانِيرٌ، وَدَرَاهِمٌ ضَرَبَهَا، فِي كُلِّ دِينَارٍ مِنْهَا وَدِرْهَمٌ خُمُسَةُ دَنَانِيرٍ وَخُمُسَةُ دَرَاهِمٍ، عَلَيْهَا صُنُوفُ الصُّورِ، فِي أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْوَاعُ الْبَزِّ مِنْ صُنُوفِ الْحَرِيرِ وَالتَّسْيِجِ وَالْخَزِّ وَأَصْنَافِ الْمَتَاعِ، وَأَعَدَّ مِنَ الْخَيْلِ وَالْمَرَائِبِ وَالْعِلْمَانِ بِصُنُوفِ الْمَلَابِسِ بِقَدْرِ مَا يَقْتَضِيهِ مَا قَدَّمْنَا ذَكَرَهُ.

ثُمَّ أَخَذَ فِي إِطْعَامِ الْجَمِيعِ حَتَّى عَمَّ سَائِرُهُمْ، صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، إِلَى أَنْ وَصَلَ ذَلِكَ بِأَصْحَابِ السُّفُنِ، فَأَتَى عَلَى سَائِرِهِمْ طَعَامًا وَشَرَابًا.

ثُمَّ أَهْدَى لِكُلِّ عَلَى قَدَرِهِ الْأَوَانِي وَالِدَوَابَّ وَالْمَرَائِبَ وَالْحُلُلَ، وَأَمَرَ بِنَهَبِ الْقَصْرِ السُّكَّرِ فَنَهَبَهُ الْحَشَمُ وَالْعِلْمَانُ وَالْعَامَّةُ حَتَّى أَتَوْا عَلَى آخِرِهِ.

ذيل زهر الآداب ص 277

(3) القيان : قينة وهي الجارية المغنية .

دراسات وكتب للمؤلف

أ (بالفرنسية :

- (I) الصداق والجهاز فى المغرب .
(المجلة الافريقية - الجزائر 1942)
- (2) « ميزانية » الموظف المغربى الصغير .
(المجلة الاقتصادية - بالمغرب 1938)
- (3) الهدايا فى البلاد الاسلامية .
(مجلة ادارة التعليم - 1949 - 1950)

ب) ترجمة :

- (I) من العربية للفرنسية :
رسالة الكندى من كتاب البخلاء (مجلة ادارة التعليم 1949)
- (2) من الفرنسية للعربية :
التربية الوطنية للنساء (تأليف الآنسة هـ. سورجان - نشر
اللجنة الوطنية لليونسكو 1959) .

ج) بالعربية :

- (I) ملخصات فى تاريخ الدول الاسلامية .
- (2) المطالعة الثقافية للمدارس الثانوية التقنية - ثلاثة أجزاء بالمشاركة
مع أساتذة من البعثة التعليمية للج. ع. م.
- (3) القراءة الثقافية للمدارس الثانوية 3 أجزاء - بالمشاركة مع
أساتذة من البعثة الثقافية للج. ع. م.
- (4) القراءة التوجيهية لأقسام الملاحظة - بالمشاركة مع الاستاذين
محمد الاخضر ومحمد حمدانى .
- (5) دراسات أدبية : رسالة الكندى - رسالة الصحابة - فصول عن
رسالة الغفران - بالمشاركة مع الاستاذين : عمر الدسوقي
ومحمد الصادق عفيفى .

ملاحظة

لقد تسربت أغلاط عدة في
النصوص أثناء شكلها ولم يتأت للمؤلف
تصحيحها فمعدرة.

هذا الكتاب

ليس بحثاً جديداً في الحضارة الإسلامية وتاريخ أطوارها
«وانما هو «شريط» صور ومشاهد ونصوص أدبية التخت من
مصنفات ألفها علماء أفاض ومؤرخون أمجاد ونسقت تنسيقاً
يشخص تلك الحضارة ومقوماتها بكيفية حبة ناطقة
... صور ومشاهد لالوان وضروب من النشاط السياسي
والفكري والفني ، في مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها ،
خلال عصورها الزاهرة ، عقول واعية منيظة ، عواطف نبيلة
متفتحة ، أيدي منجزة منشئة .

... صور ومشاهد تتيح للقارئ تقدير ما جادت به قرائح
المسلمين في خدمة الإنسانية وتفهم ما قدمه أسلافنا الكرام
للدركب البشري من عقائد صافية ومبادئ سامية ومثل عليا
وما أشرف حميدة .

... صور ومشاهد تحفز ذوى الهمم العالية على العمل
الخالق لربط ماضيها الزاهر بمستقبل تتفتح فيه الملكات
الطيبة ، والقيم الروحية الكريمة وتنتشر فيه رايات السلام
والاطمئنان .